مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

العدد الرّابع عشر - يناير 2025 م

سُلطان القاسميّ يُكرّم الفائزين بجائزة الشّارقَةِ للدّراساتِ اللّغويّة والمعجميّة في دورتها السّابِعة

اتّحاد المجامع اللّغويّة يحتفل باليوم العالميّ للّغة العربيّة تحت عنوان «المعجم التّاريخيّ: إنجاز القرن وأيقونته العلميّة»

مجمع اللّغة العربيّة في الشّارقة

يستقبل وفداً بولنديًا في تجربة علميّة ثقافيّة



نسخة رقميّة

مدينة كراكوف - بولندا

بَيْنَ يَدي العَدَد

إنّ اللّغة في جوهرها نظامٌ معرفيٌّ يُجلّي قدرة الإنسان على صياغة الأفكار المعقدة، وتحليلها، وإعادة تشكيلها بطرق جديدة؛ إذ إنّها ليست محض وسيلة للتّعبير، بل هي أداة لتشكيل الفكر ذاته؛ لذا فإن ثراء لغة ما هو انعكاس لثراء العقول التي تُفكّر بها، ولقدرتها على إنتاج نصوص ومعارف تثري الإنسانيّة جمعاء.

وفي هذا السياق، تتجلى اللّغة العربيّة بوصفها مثالاً حيًّا لهذا النّظام المعرفيّ الفريد؛ إذ تمتاز بثراء معجمها ودقة تعبيرها، ولعلّ ما يُجلي ثراءها الاستثنائي هو الإنجازات اللغويّة العلميّة والمعرفيّة المحقّقة بها وعنها. ومن أبرز هذه الإنجازات الحديثة مشروع المعجم التاريخي للغة العربيّة، الذي أُنجز برعايةٍ كريمة وإشرافٍ من صاحب السّمو الشّيخ الدكتور سُلطان بن محمد القاسميّ، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، والذي لم يكتفِ بحفظ التراث اللّغويّ بل أصبح شاهداً على عظمة هذه اللغة، حيث دخل موسوعة "غينيس" بوصفه أضخم وأكبر مشروع لغويّ على مستوى العالم.

ولا يقتصر هذا المشروع على كونه تكريمًا للّغة العربيّة، بل إنه شهادةٌ حيّةٌ على قدرتها على مواكبة العصر، وتأكيدٌ لأثر العرب وكتّابهم وعلمائهم في إثراء المعرفة الإنسانية. كما أنه يعكس إمكانية تحقيق المزيد من الإنجازات التي تعزّز مكانة اللّغة العربيّة عالميًا، وتبرز كونها معينًا حضاريًّا لا ينضب.

وكما شكّل هذا المشروع العملاق أنموذجًا لإنجاز معرفي استثنائي، فإن المواضيع التي يبسطها هذا العدد من المجلّة تمثل بدورها إسهامات مهمة في دعم إنتاج المعرفة باللّغة العربيّة وعنها إذ يُناقش هذا العدد قضايا متعددة تعكس تنوع المحاور والموضوعات اللّغويّة، ففي حقل البيان القرآنيّ نُطالع "تعدد وجوه تأويل بعض الآيات وأسبابه "للدكتور عامر خليل جراح، و"النّظميّة والتلازميّة في الإعجاز القرآنيّ" للدكتور مصطفى العناني. كما نسلط الضوء على "دلالة تركيبية لكلمة اليوم في سورة غافر" بقلم رئيس مجمع اللغة العربية بالخرطوم، وفي باب اللغويّات يطرح الأستاذ الدكتور صفوت السيد رؤيته حول "اللغة العربية بين الإشكال ووضوح المقال"، وتعيد المترجمة د.إيمان معروف تناول تراث أبي حيّان التوحيدي بوصفه مخزونًا لغويًّا ينهل منه المترجمون.

هذا إلى جانب دراسات معمّقة في صناعة المُعجمات، منها "الأبعاد المعرفيّة في صناعة المعاجم التاريخية العربية"، كما يقدّم العدد عرضاً لمجموعة من الكتب المهمة، أبرزها "الخطاب وبلاغة الأداء في الشعر الموجّه للأطفال" للدكتور أحمد حسين، وإضاءات على أعلام العربيّة من مثل "ابن بونة الجكني" و"الشافعي"، بالإضافة إلى حوار حصري مع الدّكتور الـهـوّاري غزالي عن كتابه "موسوعة الشعر الخيميائيّ".

إن ما تحقق للغة العربية اليوم هو دعوة صريحة للاستمرار في بناء المشاريع الكبرى التي تعزز حضورها عالمياً، وتجعلها لغة علم ومعرفة وإبداع. فما أنجزه العلماء العرب هو دليل على قدرتهم على الإضافة المستمرة، وتأكيد أن اللّغة العربيّة هي لغة الحضارة والمستقبل، وهو ما يشهد به القاصي والدّاني إذ يرى المستشرق الفرنسي إرنست رينان (1823-1892) أنه "من أغرب المُدْهِشات أن تنبتَ تلك اللغةُ القوميّةُ وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري عند أمّةٍ من الرُحّل، تلك اللّغة التي فاقت أخواتها بكثرةِ مفرداتها ودقّةِ معانيها وحسنِ نظامِ مبانيها، ولم يُعرف لها في كل أطوارِ حياتها طفولة ولا شيخوخة".

هيئة التّحرير

مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

مجلّة أدبيّة لغويّة تصدر عن

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

السّنة الثّالثة – العدد الرّابع عشر – يناير 2025 م

مجلّة أدبيّة لغويّة تُعنى بقضايا اللّغة العربيّة وآدابها

المراسلات

هاتف : 400 60 51 6 +971
فاكس : 401 60 51 6 +971
ص.ب : الشارقة ، 1973

shj_ala www.alashj.ae
Sharjah.ala info@alashj.ae
مجمع اللغة العربية بالشارقة

امسح الرمز
لزيارة موقع مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

لمشاركاتكم ومقترحاتكم يرجى التّواصل على البريد الإلكترونيّ

Magazine@alashj.ae



المحتويات











تعليمُ العربيّة الفصحى بين الأسلوب الجزئيّ والمَهْيَع الكلّيّ

وَصْفَةٌ من صيدليّة البيان والتّبيين

لقد أتى على العربيّة الفصيحة حينٌ من الدّهر كانت لسانَ قوم لا يعرفُ أبناءُ العرب سواها. بها يتواصلون، ومن خلال بيانها الجَزْل المُشرق يتفاخرون، وبأمثالها الشّرود وحِكمها البالغة يتمثّلون، وبها ينشُدُون الأشعار ويَرْوُون الأخبار. كانت القبائلُ العربيّة تعتزُّ بالعربيّة اعتزازَها بسلاحها، وتُفاخِرُ بها فَخارَها بِمَحْتِدِها وأرومَتِها، وتُحافظ عليها مُحافظَتها على بنيها وبناتها، بل كان بعضُ أفذاذهم وحُكمائهم قد يعفو عنك إذا أخطأتَ في حقّه أو أسْأتَ إليه، ولكنّه ينفعلُ ويغضب، ويُزَمْجِرُ ويَزْأرُ، ويُزبِدُ ويُرْعِدُ إذا سمع لحْنًا أو رأى سِتْرًا من سُتور العربية قد انتُهِكَ أو عبارةً من عباراتها قد هُدِمت. تلقّى أبناءُ العرب القُدامى العربيّة من معينها الصّافي، ومواردها الثّرّة النّقيّة، واسْتَقَوْها من أفواه الفُصحاء الأبْيِناء، فسالت على أفواههم شِعرًا حُلْوًا عَذْبًا زُلالا، يستسيغُهُ أهلُ الأذواق السّليمة، وتطربُ له الفِطرُ السّوِيّةُ، وتهتزُّ له نفوسُ أهل الأدب وعُشّاقُ القريض، وينجذِبُ إليه هُواةُ التّرسّل الجَزْل البديع.



امحمد المستغانمي

الأمين العامّ لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

ولِيَبلُغَ الوليدُ فيهم مَبْلَغَ الإبانة والتّبيين، ويَمْتلكَ زِمام الفصاحة والإفصاح، كان العربُ يبعثون أبناءهم في مرحلة الصِّبا إلى البوادي العربيّة، يَرْتوون من مشاربها، ويسمعون من أقحاحها، ويأمُّون مجالس شُعرائها وخُطبائها إلى أن تُصبح العربيّة في ألسنتهم سليقةً يعرفون شواردها وأوابدها، ويألفون دقائقها ولطائفها، وهذه هي السّبيلُ المُثلى لتعلُّم أيّ لغة في العالم؛ إذ لا سبيلَ أضمنُ، ولا مَوْرِدَ أنقى، ولا منهلَ أصفى، ولا أسلوبَ أجدى لتعلّم اللغة وبلوغ مُرتقيات الفصاحة فيها إلا أن يعيش المتعلّم في جَوِّها، ويترعرعَ في رحابها، ويمشِيَ في أوديتها وشِعابها، ويتنسّمَ عبير حدائقها وحيطانها.



في هذه البيئة المليئة بالشّعر، الحافلة بالأدب، المُفعَمة بالحكمة، كان الفتى العربيُّ ينشأُ فيشربُ مع لبان أمّه لبانَ العربيّة الفُصحى، فيعرفُ أفعالها وأسماءها، ويحفظُ أجملَ العبارات التي تدورُ على أفواه جهابذتها، ويسمعُ أبلغَ أمثال العرب وأروعَ حِكَمهم، وعُيونَ قصصهم وحكاياتهم، ونوادر أخبارهم وأسمارهم، وطرائف حلّهم وتَرحالهم، فتألفها أُذنُه، وتعشقُها نفسُه، ويُرَدّدُها لسانُه، فتدخل في رصيده المعرفيّ دونما عناء.

كان الفتى العربيُّ ينشأُ فيشربُ مع لبان أمّه لبانَ العربيّة الفُصحى، فيعرفُ أفعالها وأسماءها، ويحفظُ أجملَ العبارات التي تدورُ على أفواه جهابذتها، ويسمعُ أبلغَ أمثال العرب وأروعَ حِكَمهم، وعُيونَ قصصهم وحكاياتهم، ونوادر أخبارهم وأسمارهم، فتألفها أُذُنُه فتدخل في رصيده المعرفيّ دونما عناء.



هذه تَقْدِمةٌ كتبتُها لأتَوَسَّلَ بها إلى تقديم النُّصح إلى بني قومي، ونُصْح كلّ إنسانٍ تتوقُ نفسُهُ إلى تعلُّم العربيّة وإتقانها تحدُّثا وكتابة.

نسمعُ كلَّ يومٍ في القرية العالميّة الصّغيرة التي يتجاورُ فيها بنو الإنسان اليوم أنَّ أُناسًا من دولة كذا، وآخرين من جنس كذا، يرغبون أن يتعلّموا العربيّة، وقد استهواهم نظامُها اللّغويّ ونسيجُها البنيويّ، وفُتِنوا بإيقاعها الصّوتيّ، وأُعجِبوا بثرائها المُعجميّ، وبُهِتوا بالمزايا التي تتفرّدُ بها، والخصائص التي تُزيّنُها وتُميِّزُها عن سائر أخواتها من اللغات.

هذا شيءٌ عظيمٌ، وانفتاحٌ على العربيّة والعرَب كريمٌ، نُثَمّنُهُ ونُباركُهُ، ونُثني عليه ونُزَكّيه، بل إنّنا في بلادنا العربيّة، نكتسبُ بانتشار العربيّة وذُيوعها وشُيوعها، إخوَةً لنا يعضدُوننا ونعْضُدُهم، ويُؤازِرُوننا ونُؤازِرُهم؛ لأنّنا نُؤمنُ بقول نبيّنا الأكرم صلّى الله عليه وسلّم: «مَنْ تكلَّمَ العربيّة فهو عربيّ».

وهذه حقيقةٌ يُدرِكُها القائمون على تعليم العربيّة، المُنافِحون عنها في المحافل الدّوليّة، المُعلّموها في المدارس، الرّافعو راياتها عاليًا في الملتقيات والمؤتمرات العالميّة،...يُدرِكُها كلُّ ذي لُبٍّ رشيد وفِكْرٍ سديد، يُحسِنُ التّمييز والملاحظة والتّدبُّرَ في خصائص الشّعوب والأجناس والأمم حيثُ تدلُّ المُلاحظةُ والاستقراء أنَّ الأجانبَ من كلّ القارّات، إذا درسوا العربيّة وانكبّوا عليها، وأمعنوا النّظرَ في نصوصها، وأكبّوا على قراءة آدابها وشيء من تراثها، فإنّهم سرعان ما يتحوّلون إلى أُناسٍ لا يتحدّثون العربيّة فقط، وإنّما يُفَكّرون بالعربيّة، تخرُجُ الحكمةُ العربيّة من أفواههم ناضرةً طيّبة، وتجري أمثالُ العربيّة على ألسنتهم ولهواتهم عذبةً رقراقةً، وتسيلُ قرائِحُهم بأفكار وأنماطٍ من التّفكير كأنّهم من أقحاح الأعراب وقُطّان البوادي العربيّة.

ذلك أنَّ المُتعلّمَ، لا بُدَّ أن تتلَوّنَ نفسُهُ ويصطبِغَ ذِهنُهُ بِصِبغة الأدب الذي يقرأُهُ،

إنّ المتأمّل في المناهج التي تُدَرَّسُ بها العربيّةُ اليوم لأبنائها وغير أبنائها من النّاطقين بغيرها، لَيَحزَنُ حين يرى أنَّ التّركيزَ فيها يتمحوَرُ بالدّرجة الأولى على تعليم الكلمات بأصنافها، ثمّ تعليم قواعد النّحو والصّرف، وشيء من القراءة...



والشّعر الذي يسمعه، والحِكَم والأمثال التي يُرَدّدُها. وكُلّما توغّلَ في دراسة الأنساق التّعبيريّة الفصيحة البليغة، فإنَّ لسانَهُ يزدادُ انطلاقا، وقريحتَهُ تزدادُ خُصوبةً، وتفكيرَهُ بالعربيّة يزدادُ إنتاجا، ويصلُ إلى مُبتغاه، ويُحقّقُ ما كان يتوخّاهُ.

في ضوء هذا الحديث، أقـول: إنّ المتأمّلَ في المناهج التي تُدَرَّسُ بها العربيّةُ اليوم لأبنائها وغير أبنائها من النّاطقين بغيرها، لَيَحزَنُ حين يرى أنَّ التّركيزَ فيها يتمحوَرُ بالدّرجة الأولى على تعليم الكلمات بأصنافها، ثمّ تعليم قواعد النّحو والصّرف، وشيء من القراءة، ثمّ إذا واصلَ المتعلّمُ رِحلَتَهُ التَّعَلُّميّةَ بِجِدّ، يَسْقونه شيئا من دروس البلاغة والعَروض.

وهذا، لَعَمْرُ الله، ليسَ المَهْيَعَ السّويَّ والمنهج القويّ لتعليم العربيّة وتخريج طلّاب فُصحاء أبيناء، وكُتّابٍ مُترسّلين وخُطباء مصاقِع وأدباء مُحَنّكين يعيشون واقِعَهم، ويُواكِبون المشهدَ الثقافيّ الذي يَحْيَوْنَ بين ظهرانيه.

ولستُ بقولي هذا، أُنكِرُ دَوْرَ قواعد النَّحو والصّرف، أو أَغمِطُ فضيلةَ دروس البلاغة والعَروض أو أحطُّ من شأن علوم الآلة عامّة في تعليم لُغةٍ سليمة صحيحة، على وَفق ما وصلتنا عن فُصحاء العرب وعلماء العربيّة.

لستُ أُنكِرُ شيئا من ذلك بتاتا، وإنّما أقولُ: تدريسُ علوم الآلة مباشرةً، ليس هو الطّريقَ المحمود ولا السّبيل المُمَهّدة إلى بناء المَلَكة اللغويّة السّليمة عند مَنْ يبحثُ عنها ويتطلّعُ إليها... وإنّما تُبنى المَلَكَةُ اللغويّةُ، كما أسلفتُ في مقدّمة هذا المقال، حينَ يعيشُ المُتعلّمُ في حِضن الفصاحة، ويدْرَجُ في حِجر البيان العربيّ المُشرق.

وهنا أتوَقّعُ وأنتظرُ سؤالا من قارئي العزيز منطوقُهُ وفَحواهُ: وأينَ الباديةُ العربيّةُ الصّافيةُ لُغتُها، النّقيّةُ لَهجتُها، المُشرِقُ بيانُها اليوم حتّى نُرسِلَ إليها أبناءَنا، ونرسل معهم النّاطقين بغير العربيّة ليتعلّموها ويَرْتَوُوا من معينها الصّافي العَذب الزّلال؟؟

الجوابُ: إنَّ البيئة العربيّةَ الكفيلة بتخريج أجيال من التّلاميذ المُتَفَوّقين



البيئة العربيّةَ الكفيلة بتخريج أجيال من التّلاميذ المُتَفَوّقين والطّلاّب المُبدعين هي القراءةُ. واحةُ القراءة التي نسعى دائما، ويسعى أولو النُهى والحِجى في كلّ بُقعة من بقاع المعمورة لغرس أشجارها في نفوس المُتعلّمين.



والطّلاّب المُبدعين هي القراءةُ. واحةُ القراءة التي نسعى دائما، ويسعى أولو النُهى والحِجى في كلّ بُقعة من بقاع المعمورة لغرس أشجارها في نفوس المُتعلّمين، والعِناية بفسائلها ونخيلها، ورعاية ثمراتها وغلاّتها، وتنقية أجوائها، وتهيئتِها لاستقبال أبنائنا وبناتنا.

إنّ الفتى في مقاعد الدّراسة، والطّالب في قاعات المعاهد والكلّيّات، لا يفصُحُ لسانُ أحدٍ منهما إلا إذا مارس القراءةَ بُكرَةً وعشيّا...إلا إذا اصطلح مع الكِتاب وتأبّطه أينما حلّ وحيثما ارتحل، واتّخذهُ خليلا مُؤانسا، ورفيقا مُجالسا، ولستُ أُملي على أحدٍ ماذا يقرأ، وإنّما المطلوب أن يقرأ، ونرغبُ له أن يعيش مع الكتاب، أيّ كتاب شاء. نُحِبُّ له، كما نُحِبُ لأنفسنا وأبنائنا، أن يجلسَ جلساتٍ مُغلَقَةً، لا يسمعُ فيها همسا لصديق، ولا رِكْزًا لقريب أو حبيب، وإنّما يجلسُ مع الكِتاب، يتصفَّحُهُ، يقرأُ عناوينه، وينظُرُ في فهارسه، ويتدبّرُ في فصوله ومباحثه...يختارُ من الكتب ما يروقُ له، وينتقي منها ما يتّفقُ مع اهتماماته، وينسجِمُ مع رؤيته وأهدافه وطُموحاته.

المهمّ الذي نُوصي به هو أن يقرأ، الأمــرُ الــذي لا مناص له منه هو أن يبدأ رحلة القراءة ويُبحِرَ في لُجَجِها، والقراءةُ المَرْجُوّةُ منه هي القراءةُ السّليمةُ الصّحيحةُ التي يضبطُ فيها أواخرَ الكَلِمِ، أحيانا يجهرُ بقراءته، وأطوارا يُخافِتُ بها.

فإذا أصبح خِدْنًا للقراءة، حبيبا للكتاب، شغوفا بأوعية العلم، لا يفوتُ يومٌ من أيّامه، ولا تخلو ليلةٌ من لياليه، ولا تنقضي ساعةٌ من ساعاته إلا وقد قرأ وحلّل واستفاد وتدبَّرَ ووعى، ففي ذلك الوقت، وفي تلك اللحظة، نُهَنِّئُهُ ونُبارِكُ مَسعاهُ، ونُبشّرُهُ بأنّه عمّا قريبٍ يُصبِحُ من أهل الثقافة وأولي العِلم، وصُنَّاع المعرفة الذين تُزَيَّنُ بهم المجالس، وتزدانُ بهم المُلتقيات، ويُسَرُّ لسماع حديثهم الطّيّب القاصي والدّاني، ويُصبِحُ من الذين يُشارُ إليهم بالبنان تكريمًا وتبجيلا وتوقيرا.

ويَحسُنُ في هذا الطّور من التّعلّم، أن يُشرِفَ على طالب العلم مُعلِّمٌ خبيرٌ خِرّيتٌ، مُحِبٌّ للعربيّة، ماهرٌ بدروسها، عارفٌ بدروبها ومسالكها، مُتقِنٌ لقواعدها، شَغوفٌ بأشعارها وأخبار أُدبائها، له



نصيبٌ وافرٌ من الأدب وإتقان العربيّة.

هذا المعلّمُ المُشْرِفُ، دَوْرُهُ في هذا الطّور من التّعليم، هو توجيهُ النّاشئة إلى قراءة ما ينفع، ومساعدتهم في اختيار الكتب التي تُناسبُهُم وتُواتيهم، ويُفتّقُ أكمامَ القراءة السّليمة في جنباتهم ونفوسهم، ويُحَبّبُها إليهم.

ثمّ يأتي في المرحلة الثانية بعد مرحلة القراءة، إتقانُ علوم الآلة من نَحْوٍ وصرفٍ وإملاء وعروض وبلاغة وغيرها، وينبغي لسالك هذا الفجّ من التّعلّم أن يتدَرّجَ في دراسة قواعد العربيّة، ويتلطّفَ في التّعرّف على مباحثها برِفق وتُؤدَة وتبَصُّر.

في هذه المرحلة، يُوَجَّهُ طالبُ العربيّة إلى دراسة النّحو في الكتب النّحويّة المُيَسَّرة مثل القواعد الأساسيّة للسّيّد أحمد الهاشمي، وجامع دروس العربيّة لمصطفى الغلايينيّ، وأحد شروح قطر النّدى وبلّ الصّدى، فإذا أتقنها وأحاط بمباحثها عِلْمًا، عبَرَ هذا الجِسرَ إلى الضّفّة الأخرى حيثُ أسفارُ النّحو الكبرى التي نُسِجَت على الخلاصة الألفيّة مثل أوضح المسالك وشرح ابن عقيل وغيرها، ويُنصَحُ بمثل ذلك في علوم البلاغة والعروض سواء بسواء.

في كلّ ذلك، يضعُ المتعلّم نُصْبَ عينيه أنّه يدرُسُ علومَ الآلة لتطبيق قواعدها في فعل القراءة الذي يُمارسُهُ يوميّا، وكلّما أخطأ أو الْتَبَسَ عليه أمرٌ أو اسْتَبْهَمَ شيئا من قواعد هذه العلوم، فمفتاحُ النّجاح هو السّؤال.

وقديما سُئلَ أحدُ الحكماء وقد كان عالما حَبْرًا نِحريرا: بِمَ حصّلتَ هذه



مصطفى الغلاييني

العلوم؟؟ فقال: بلسانٍ سَؤول، وذِهنٍ عَقول.

أقول: إذا رزقك الله تبارك وتعالى لسانا لافظا، وقلبا حافظا، فقد أكرمك وتغشّاك بأعظم رحماته.

بعد القراءة المُستمرّة وتعلّم علوم الآلة، يَحسُنُ بالمتعلّم أن يشحذَ همّة الحِفظ والاستظهار وهي الخطوة الثالثة، وهنا أعودُ بقارئي الكريم إلى النّشأة في بوادي العرب وبطون القبائل العربيّة... الحِفظُ المُتقَنُ هو الذي يُكَوّنُ الخزّانَ اللغويّ لدى المتعلّم...لا بُدّ من أن ينهلَ من موارد الشّعر العربيّ الفصيح ابتداء من المعلّقات ودواوين شعراء عصر ما قبل الإسلام، مرورا بعصر بني أميّة فبني العبّاس، وصولا إلى الشّعر الحديث والمعاصر.

وبعد حفظ نصيبٍ وافٍ ووافرٍ من الشّعر، فإنَّ عليه أن يهتمَّ بحُسْن تلاوة عدد من سور القرآن الكريم وحِفظها، وإذا أتَمّ حفظ القرآن الكريم كلّه، فذلك الفوزُ المبين، وتلك النّعمةُ الكُبرى، ثمّ يطوف على دواوين مُتون السّنّة النّبويّة فيحفظ جملة وافرة من أحاديث نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم الذي آتاه ربّهُ جلّ جلاله جوامع الكلِم.

لماذا الحِفظُ ونحنُ في عصر الانفجار المعلوماتيّ والذّكاء الاصطناعيّ؟ لهؤلاء السّائلين أقول: إنّه لا يتسنّى لدارس العربيّة، مهما كانت عبقريّته، ومهما كان ذكاؤه، وأينما وُجِدَ، فإنّه لن يبلُغَ إلى درجة عاليةٍ في الإبانة والتّبيين والفصاحة والإفصاح إلّا إذا أحكم حفظَ كثير من الأنساق التعبيريّة والجُمَل العربيّة الفصيحة البليغة؛ لأنَّ الذّهن البشريّ، لا يستطيعُ أن يُبدِعَ في استعمال اللغة إلا إذا قلّد المجيدين المُتقنين لها...بعد التّقليد يأتي الإبداع وتنفتقُ أكمامُه. لا بدّ من عبارات بليغة تطوفُ بذهن المتكلّم وتُراوِدُهُ، وتفتِنُهُ وتُغازلُه، حتّى إذا تكلّم نسج على منوالها، وغَزَلَ غزلا يُحاكيها ويُضاهيها.

من أين تأتي هذه العبارات وما السّبيلُ إلى تحصيلها؟ الجواب: من حفظ القرآن الكريم والاكتراع من معين الشّعر، والتّضلُّع من موارد الحكم والأمثال.

ثمّ تأتي الخطوة الرّابعة التي نوصي بها المتعلّمين، ألا وهي: إمضاءُ عَقْد عمل مع مؤسّسة التّدريب الذّاتي. وحين نقول: التّدريب الذاتي فإنَّ المُرادَ أن يجتهد المتعلّمُ في الاستفادة من كلّ ما قرأ ودرس، وينسج على منوال الذين قرأ لهم، ويقتفي آثارهم، ...يُحاولُ تقليد الكُتّابَ المُبدعين،

التّدريبَ هو مفتاحُ المفاتيح، وروحُ كلّ العمليّة التّعلُّميّة التّعليميّة إذ مهما درس المتعلّمُ من مباحث علوم العربيّة، فإنَّ التّدريب الذّاتيّ اليوميّ المستمرّ هو المَركَبُ الآمِنُ الذي يسلُكُ به فِجاجَ التّحدّيات.



ويُحاكِيَ الشّعراء المطبوعين المُفلقين الذين سبقوه في الميدان.

ولعلّي لا أكونُ مبالغا إذا قلت: إنَّ التّدريبَ هو مفتاحُ المفاتيح، وروحُ كلّ العمليّة التّعلُّميّة التّعليميّة السّابق ذِكرُها؛ إذ مهما درس المتعلّمُ من مباحث علوم العربيّة، ومهما كان مستوى مُعلّمه، ومهما كانت طرائقُه وأساليبُه، فإنَّ التّدريب الذّاتيّ اليوميّ المستمرّ هو المَركَبُ الآمِنُ الذي يسلُكُ به فِجاجَ التّحدّيات ويقتحمُ به عقبات التّعلّم، ويجعلهُ يمتلِكُ ناصيةَ اللّغة، وأسُسَ التّعامل مع نسيجها المعجميّ ونظامها النّحويّ والصّرفيّ، وقانونها الصّوتيّ الإيقاعيّ.

اكْتُبْ مثلما كتب السّابقون، اقرأ نصًّا بليغا وأعِدْ صَوْغَهُ بأسلوبك الخاصّ، أعِد النّظر فيه، ثمّ فَكّرْ وقدّرْ، ثمّ فَكّرْ وقَدِّرْ...وَظّف الألفاظ الجميلة التي تعلّمتَها والكلمات الجديدة التي وَعَيْتَها، والأنساق التعبيريّة التي اكتسبتها وربِحْتَها من سوق القراءة، أدرِجْ بعض الحكم فيما كتبت، وارجع البصر فيما خطَّتْهُ أناملُك، وانظر هل ترى من فطور؟؟

اعرِضْ عملك على معلّم ماهر عارفٍ بالعربيّة، أعِدِ التّجربة ثانيةً، اقرأ قصيدةً لشاعر تُحبّه، انثُرْ أبياتها بأسلوبك الخاصّ، اقرأ ما كتبتَ بصوتٍ مرتفع، خاطِبِ السّماءَ ونجومَها الجميلة، تحدّثْ مع أمواج البحر، وانظُرْ إلى أشجار البساتين، وينابيع الواحات... أوقِدْ في نفسك جَذوةَ الخيال.. لا بأسَ أن تتخيّلَ ما ليس بواقع...اقرأ ما جادت به قريحتُك قراءةً جهريّة، أرسل ما سالَ به قلمُك إلى من تُحبُّ ويُكنُّ لك الوُدّ صافيا، واقرأ له ما كتبت، تشاوَرْ مع معلّمك ومعلّمتك...

إنَّ عمليّة التّدريب، إذا أحسنَ المتعلّم استثمارها، وإذا أحسن القائمون على التربية والتعليم توظيفَها، فإنّنا سنَجْني بحقّ نتائجَ تعلو ولا يُعلى عليها، وإنّ الطلاب سينجحون، وإنّ الآباءَ سيفرحون، وإنَّ الأساتيذ سيُسَرّون، وإنَّ مدراء المدارس والجامعات سيبتهِجون، وإنَّ حديقة الفصاحة ستنتعشُ رُباها، وتُزهِرُ رياحينُها، ويضوعُ شذى ورودها وأزاهيرها، وبهذه الخُطوات، نُحقّقُ بعض ما نصبو إليه، وتتطلّعُ مُؤسّساتنا إليه من تعليم العربيّة والتّمكين لها في عالم تتزاحمُ فيه اللغات العالميّة.

والنّاطقون بالعربيّة والنّاطقون بغيرها من غير الجنس العربيّ سواءٌ في ضرورة اتّباع خطوات هذه الوَصْفة، والأمرُ في الحقيقة يصدُقُ في تعليم اللغات جميعها. ورجاؤنا كبيرٌ أن تجِدَ هذه الكلماتُ آذانا صاغية وقلوبا واعية لدى القائمين على شؤون التّعليم في جميع أقطار العروبة والإسلام، ولو أنّهم فعلوا ما يُوعظون به، لكان خيرًا لهم وأحسنَ مآلًا، ولكان صنيعُهم أقومَ سبيلا، ولعَمَّ الخيرُ في ديارنا، وجَنَيْنا أجيالا من المثقفين الأمناء الأتقياء الأسْوِياء الفُضلاء في عالم يموج بالصّراعات والفتن، والله تعالى وليُّ التّوفيق والهادي إلى سواء الصّراط.

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

مَجمَعُ اللّغة العَربيّة بالشّارقة في الصّحف



في مقرّه الجديد الّذي افتتح بمكرمة صاحب السّمو حاكم الشّارقة

مجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا يناقش سبل تنسيق العمل وبناء الشراكات في خدمة اللّغة العربيّة

•• الشارقة-الفجر:

في إطار جهوده لتعزيز اللغة العربيّة والحفاظ على هويّتها وثقافتها، استضاف مجلس اللّسان العربيّ بموريتانيا، الّذي افتتح بمكرمة من صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، ندوة بعنوان: "تنسيق العمل وبناء الشّراكات في خدمة اللّسان العربيّ"، بمشاركة 20 جهة من الهيئات والمؤسسات والجمعيّات الّتي تعمل على دعم وتطوير اللّغة العربيّة في موريتانيا والعالم العربيّ. وتناولت النّدوة موضوعات متعدّدة تتعلق بالتّحديات والفرص الّتي تواجه اللّغة العربيّة، والمشاريع والبرامج والأنشطة التي تقوم بها الهيئات المشاركة في النّدوة لتعزيز مكانة اللّغة العربيّة وتنمية قدرات متحدّثيها ومتعلّميها، ... الخبرات والمعارف والمقترحات بين المشاركين، ومناقشة أفضل الممارسات المتبعة لإثراء أساليب تعليم اللّغة العربيّة، وابتكار البرامج والأدوات التي تساهم في تيسير تعلّمها وتعليمها، بما يتلاءم مع التّطوّرات التّقنيّة والمعرفيّة المتقدّمة.

وناقشت النّدوة الطّرق والوسائل المناسبة لتحسين التّواصل والتّفاعل والتّعاون بين الهيئات العاملة في مجال اللّغة العربيّة، والّتي تضمّ أعضاء منسقيّة "سدنة اللّغة العربيّة"، الّتي تضمّ العديد من الهيئات من أجل تمكين اللّغة العربيّة، وتهدف إلى تنسيق الجهود والمشاريع المشتركة بين الهيئات المختلفة في خدمة اللّسان العربي، إذ جاءت النّدوة بهدف استعراض وتحليل الإنجازات والمبادرات الّتي تمّ تنفيذها خلال "شهر اللّغة العربيّة"، الّذي يوافق شهر ديسمبر من كل عام. يشار إلى أنّ المقرّ الجديد لمجلس اللّسان العربيّ تمّ افتتاحه في العاصمة الموريتانيّة نواكشوط بمكرمة من صاحب السّمو الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، وبرعاية فخامة الرّئيس محمد ولد الشّيخ الغزواني، رئيس الجمهوريّة الإسلاميّة الموريتانيّة؛ ويضمّ المجلس نخبة من العلماء ويتولّى مهمّة النّهوض بلغة الضّاد في موريتانيا وخارجها.



«مجلّة مجمع اللّغة العربيّة» تضيء على الاستدامة اللّغويّة

الشارقة (الاتحاد)

رصدت «مجلّة مجمع اللّغة العربيّة» بالشّارقة في عددها الثّامن موضوعات متنوعة تتعلّق باللّغة العربيّة وآفاقها وتحدّياتها، مؤكّدة مكانة الشّعر في الثّقافة العربيّة والإسلاميّة، وأهمّيّة البلاغة والإيجاز في النّظم الشّعريّ، كما أضاءت المجلّة على أهمّيّة الاستدامة اللّغويّة كمفهوم يهدف إلى حماية اللّغة العربيّة، والحفاظ على هُويّتها وسلامتها وتنوّعها.

وفي افتتاحيّة العدد الثّامن، أكّد الدّكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العامّ لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، تحت عنوان «الشّعر في أعين العرب» أنّ الشّعر ديوان العرب وسجل مآثرهم، وأنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم كان متذوّقاً للشّعر، عالماً بما يحويه من حكم صائبة وتوجيهات سديدة، حيث يقول عليه الصّلاة والسّلام: «إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشّعر لحكمة».

وتناول العدد الثّامن من المجلّة إطلاق صاحب السمو الشيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، 31 مجلّداً جديداً من المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة، والتي تغطّي 6 أحرف، هي «الرّاء والزّاي والسّين والشّين والصّاد والضّاد»، ليصبح العدد الكلي للحروف التي تم تحريرها حتى الآن 15 حرفاً، من الهمزة إلى الضّاد، وليرتفع عدد المجلدات المنجزة من المشروع إلى 67 مجلداً.

وتحت عنوان «الشّارقة تحتضن أوّل مؤتمر للمستشرقين»، تناولت المجلّة فعاليات «مؤتمر الشّارقة الأوّل لدراسات اللّغة العربيّة في أوروبا: واقع وآفاق»، الذي نظّمه المجمع برعاية كريمة من صاحب السمو الشيخ الدّكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، في دارة الدّكتور سلطان القاسمي.

وحول «الاستدامة اللّغويّة»، كتب الدّكتور علي عبدالقادر الحمادي، موضّحاً أنّ الاستدامة اللّغويّة يراد بها أن تبقى اللّغة خالية من التّلوث اللّغويّ ومهدّدات الانقراض، أو ضمور عناصرها الحيويّة، آمنة من المكوّن الدّخيل على المكوّن الأصيل، مشيراً إلى أنّ إتقان المؤلّفين للتّدقيق اللّغوي يعدّ واحداً من عناصر الاستدامة اللّغويّة التي ينبغي التركيز عليها.

وفتحت المجلّة في عددها الثّامن الباب أمام أقلام عدد من الباحثين والأكاديميّين للكتابة في موضوعات بحثيّة ومقالات معرفيّة متخصّصة في الدّراسات النّحويّة، والمعجميّة والأدبيّة، والقرآنيّة.

أبرزت إطلاق 31 مجلّداً جديداً من «المعجم التّاريخيّ» تغطّي 6 أحرف



www.alkhaleej.ae

الملف

المعجم التاريخي للعربية..

المعجم التاريخي للغة العربية

موسوعة شاملة تتجول في تاريخ وحاضر ثقافتنا



مناقشة تطوير مهارات المعلمين

■ الشارقة: «الخليج»

أكدت الدكتورة سوسن المكي، مؤسسة «معهد المستقبل في باريس»، أن المعلم ينجح بامتياز عندما ينظر إلى كل طالب على أنه «مشروع عبقري»، ويعطيه القيمة الإنسانية الحقيقية، ويتحمل مسؤولية رعايته، وصقل مواهبه، ودعم مهاراته، ومساعدته على الاستفادة منها مدى الحياة.

■ امحمد المستغانمي يكرم سوسن المكي ■

جاء ذلك خلال محاضرة علميّة نظمها مجمع اللغة العربية، ضمن فعاليات «المجلس اللغوي الثامن» تحت عنوان «معلم اللغة العربية الناجح.. الإعداد والأساليب»، بحضور الدكتور امحمد صافي المستغانمي، الأمين العام لـ«مجمع اللغة العربية بالشارقة»، ونخبة من الأكاديميين ... والجمهور، وممثلي وسائل الإعلام ... الجلسة إلى أن «مجمع اللغة العربية بالشارقة» نظم «المجلس اللغوي الثامن» بهدف تحفيز المعلمين والمعلمات، والتّمكين للسان العربي في نفوس أبناء الجيل، واستقطاب الكفاءات اللغوية التي يتمتع بها العالم العربي والإسلامي.

واستعرضت الدكتورة سوسن المكي، مختلف المفاهيم النظرية والأنشطة والتطبيقات العمليّة التفاعلية التي تساعد المعلمين والمع... العملية التعل...



أخبار المجامع

- المَعْجَمِ التّاريخي لِلُّغَةِ العَرَبية يدخل غينيس بوصفِه أضخمَ مَشروعٍ لُغَويّ عالَميّ
- سلطان القاسميّ يترأّس الاجتماع الثّالث لمجلس أمناء مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة
- سُلطان القاسميّ يلتقي رؤساء المجامع اللغويّة ويناقش آفاق الدّراسات اللّغويّة
- سُلطان القاسميّ يُكرّم الفائزين بجائزة الشّارِقَة للدّراساتِ اللّغويّة والمعجميّة في دورتها السّابِعة
- مجمع اللّغة العربيّة يتألّق في مَعرضِ الشّارقة الدّوليّ للكتاب في نسخته الثّالثة والأربعين
- اتّحاد المجامع اللّغويّة يحتفل باليوم العالميّ للّغة العربيّة تحت عنوان «المعجم التّاريخيّ: إنجاز القرن وأيقونته العلميّة»

المُعجمُ التّاريخيّ للُّغةِ العَرَبيّةِ

يدخل غينيس

بوصفِه أضخمَ مَشروعٍ لُغَويّ عالَميّ





تَسَلَّمَ صاحِبُ السُّموِّ الشَّيْخُ الدُّكْتُورُ سُلْطانُ بْنُ مُحَمَّدٍ القاسميّ، عُضْوُ المَجْلِسِ الأَعْلَى حاكِمُ الشّارِقَةِ الرَّئيسُ الأَعْلَى لِمَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبيةِ بِالشّارِقَةِ، صَباحَ يوم الأَرْبعاءِ الموافق لـ18 ديسمبر 2024 شَهادَةً مِنْ مُوسُوعَةِ غينيس لِلأَرْقامِ القياسيةِ بِمُناسَبَةِ حُصولِ المَعْجَمِ التّاريخي لِلُّغَةِ العَرَبيةِ عَلَى لَقَبِ أَكْبَرِ وأَضْخَمِ مَشْروعٍ لُغَوي تاريخيّ عَلَى مُسْتوى العالَمِ بـ 127 مُجَلَّدًا.

وَبارَكَ صاحِبُ السُّموِّ حاكِمُ الشّارِقَةِ الحُصولَ عَلَى هَذا اللَّقَبِ الَّذي يُثْبِتُ أَهَمّيّةَ العَمَلِ الكَبيرِ والقيمَةِ العِلْميةِ غَيْرِ المَسْبُوقَةِ الَّتي قَدَّمَها المَعْجَمُ التّاريخي لِلُّغَةِ العَرَبيةِ، مُشيرًا سُمُوُّهُ إِلَى أَنَّ هَذا التَّكْريمَ هُوَ شُكْرٌ وَعِرْفانٌ لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ في المَعْجَمِ مِنَ الباحِثينَ والدّارِسينَ والمُراجِعينَ والمُحَرِّرينَ

> **هَذا التَّكْريمَ هُوَ شُكْرٌ وَعِرْفانٌ لِكُلِّ مَنْ عَمِلَ في المَعْجَمِ مِنَ الباحِثينَ والدّارِسينَ والمُراجِعينَ والمُحَرِّرينَ والمُدَقِّقينَ وَدارِ النَّشْرِ وَمَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبيةِ بِالشّارِقَةِ، وَغَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ العُلَماءِ في المَعاجِمِ اللُّغَويةِ العَرَبيةِ في كُلِّ الوَطَنِ العَرَبي**

والمُدَقِّقينَ وَدارِ النَّشْرِ وَمَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبيةِ بِالشّارِقَةِ، وَغَيْرِهِمْ، وَكَذَلِكَ العُلَماءِ في المَعاجِمِ اللُّغَويةِ العَرَبيةِ في كُلِّ الوَطَنِ العَرَبي.

وأَضافَ سُمُوُّهُ أَنَّ الشّارِقَةَ دَوْمًا تَفْخَرُ بِما تُقَدِّمُهُ مِنْ عُلومٍ مُوَثَّقَةٍ وَمَشْروعاتٍ عِلْميةٍ وَثَقافيةٍ لِكُلِّ الأُمَّةِ العَرَبيةِ والعالَمِ، خاصَّةً أَنَّهُ يَتِمُّ فيها تعاوُنٌ كَبيرٌ بَيْنَ العُلَماءِ مِنْ مُخْتَلَفِ البُلْدانِ، وَهُوَ ما يَزيدُ مِنْ قيمَةِ هَذِهِ المُؤَلَّفاتِ الضَّخْمَةِ الَّتي تَحْفَظُ تاريخَ وَعُلومَ وَلُغَةَ الأُمَّةِ العَرَبيةِ، لافِتًا سُمُوُّهُ إِلَى أَنَّ المَشْروعاتِ المُوسوعيةَ سَتَتَواصَلُ لِتُقَدِّمَ مَزيدًا مِنَ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ في الحُقولِ المُتَنَوِّعَةِ.

حَضَرَ التَّكْريمَ كُلٌّ مِنْ: مُحَمَّدُ حَسَنِ خَلَف، مُديرُ عامِّ هَيْئَةِ الشّارِقَةِ لِلإِذاعَةِ والتِّلْفِزْيُونِ، عُضْوُ مَجْلِسِ أُمَناءِ مَجْمَعِ اللُّغَةِ العَرَبيةِ بِالشّارِقَةِ، وَخالِدُ بْنُ بَطي الهاجِري، مُديرُ عامِّ المَدينَةِ الجامِعيةِ بِالشّارِقَةِ، والدُّكْتُورُ

سلطان القاسميّ يترأّس الاجتماع الثّالث لمجلس أمناء مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة

ترأّس صاحب السّموّ الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمّد القاسميّ عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، اجتماع مجلس أمناء المجمع الذي عُقد في مقره بالمدينة الجامعيّة، وذلك صباح يوم الثّلاثاء الموافق لـ05 نوفمبر.



أشاد سموّه بالجهود البارزة والإنجازات المميزة التي حقّقها المجمع في تعزيز مكانة اللّغة العربيّة ونشرها على نطاق واسع، مع الحفاظ على إرثها العريق وتاريخها الثّريّ. كما أثنى سموّه على دور العلماء والباحثين والإداريّين والمنسّقين الذين أسهموا في تنفيذ البرامج والمبادرات التي تعكس التزام المجمع بخدمة لغة الضّاد وتطويرها.

ناقش المجلس خلال الاجتماع مختلف القضايا المرتبطة بعمل المجمع على مدار العام، متناولاً الإنجازات المتحقّقة التي تعزّز دوره المحوريّ في خدمة اللّغة العربيّة وذلك في إطار السّياسات والأهداف

> **أشاد سموّه بالجهود البارزة والإنجازات المميزة التي حقّقها المجمع في تعزيز مكانة اللّغة العربيّة ونشرها على نطاق واسع، مع الحفاظ على إرثها العريق وتاريخها الثّريّ.**

التي أقرّها مجلس الأمناء سابقًا، لضمان تحقيق التّقدم المنشود بما يواكب تطلّعات المجمع المستقبليّة، وكان من بين الإنجازات التي ناقشها اكتمال المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة بـ127 مجلداً وشارك فيه 13 مجمعاً وأكثر من 700 من الخبراء والباحثين والمحرّرين والمراجعين والمدقّقين، والطّباعين والإداريّين والفنيّين.

وتضمنت إنجازات المجمع المشاركة في الكثير من المشاريع والمناسبات الخارجيّة ومنها تدشين مقرّ مجلس اللّسان العربيّ في موريتانيا، وقاعة الدّراسات العربيّة في جامعة الفارابيّ، ومهرجان اللّغة العربيّة في جامعة القلب المقدّس في ميلانو، بالإضافة إلى المشاركة في معارض الكتب في مختلف المدُن العربيّة، كما نظّم المجمع عددًا من المجالس اللّغويّة شارك بها عددٌ من الشّعراء والخبراء والمختصّين، إلى جانب تنظيمه لدورات تدريبيّة









وندوات وملتقيات تختصّ بالمجالات المتّصلة باللّغة العربيّة. وتضمّن الاجتماع استعراض الفعاليات والمؤتمرات التي نظّمها المجمع مثل مؤتمر الشّارقة الثّاني لدراسات اللّغة العربيّة في أوروبا والذي شارك به 42 مستشرقاً ومستعرباً.

وتخلّل الاجتماع الاطلاع على أبرز إصدارات المجمع ومنها طباعة ستّة أعداد من مجلّة المجمع، وطباعة الإصـدار الثّالث للمجمع "الأمالي الكبرى" وهي طبعة مصحّحة اعتماداً على ثلاث نسخ خطيّة.

كما اطّلع المجلس على مستجدّات جائزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمعجميّة، إذ أنهت لجان التّحكيم تقييم المشاركات واختيار الفائزين الذين من المقرّر تكريمهم في 81 ديسمبر القادم بالتّزامن مع اليوم العالميّ اللّغة العربيّة.

كما تخلّل الاجتماع مناقشة إعداد مشروع الموسوعة العربيّة الشّاملة للعلوم والفنون والآداب لتكون موسوعةً فريدة من نوعها ودقيقةً في أبواب العلوم بحيث تؤرّخ للأعلام والمصطلحات ولتاريخ العرب والمسلمين بطريقة مميزة. حضر الاجتماع أعضاء المجلس كلٌّ من: الدكتور أحمد الضّبيب مدير جامعة الملك سعود بالمملكة العربيّة السّعوديّة سابقًا، والدّكتور إبراهيم السّعافين رئيس قسم اللّغة العربيّة بجامعة الشّارقة سابقاً، والدّكتور عبدالله بن سيف التّوبي مدير مركز التّعريب والتّرجمة والاهتمام باللّغة العربيّة بسلطنة عُمان، والدّكتور امحمد صافي المستغانمي أمين عامّ مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، ومحمد حسن خلف مدير عامّ هيئة الشّارقة للإذاعة والتّلفزيون.

سُلطان القاسميّ يلتقي رؤساء المجامع اللغويّة ويناقش آفاق الدّراسات اللّغويّة



التقى صاحب السّموّ الشيخ الدكتور سلطان بن محمد القاسميّ، عضو المجلس الأعلى للاتّحاد حاكم الشّارقة، الرّئيس الأعلى لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، برؤساء المجامع اللّغويّة العربيّة وأعضاء مجلس أمناء مجمع اللّغة العربيّة في مقرّ المجمع بالمدينة الجامعيّة صباح يوم الثّلاثاء الموافق لـ5 نوفمبر، وأشاد سموّه خلال اللّقاء بإنجاز المعجم التّاريخي للّغة العربيّة الذي أُصدر في بـ127 مجلدًا، معتبرًا إياه إنجازًا تاريخيًا وهديّة ثمينة للأمّة العربيّة جمعاء.

وفي مستهل اللّقاء، رحّب صاحب السّمو بالعلماء الحضور، مباركًا لهم هذا الإنجاز العظيم الذي جاء بفضل التّعاون الشّامل بين المجامع اللّغويّة العربية كافّة والجهود المشتركة التي بُذلت خلال السنّوات الماضية. وأكّد سموّه أنّ أسماء جميع المشاركين في هذا المشروع الجليل ستُكتب بالذّهب تقديرًا لجهودهم في إتمام هذا العمل غير المسبوق.

وأوضح سموّه أنّ العمل على المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة استغرق سبع سنوات فقط، ليشمل كل ما نطق به العرب منذ عصر ما قبل الإسلام وحتّى وقتنا الحالي. ووصف سموّه اكتمال المعجم بأنه "يوم مشهود في تاريخ الأمّة العربيّة"، مقدمًا شكره وامتنانه لكل العلماء والمجامع اللغويّة في الدّول العربية الذين كانت لهم يدٌ بيضاء في إنجازه، كما خصّ بالشّكر اتحاد المجامع العربيّة في القاهرة لدوره في وضع الأسس والقواعد التي أسهمت في إكمال هذا المشروع.

> **وصف سموّه اكتمال المعجم بأنّه "يوم مشهود في تاريخ الأمّة العربيّة"، بعد أن استغرق العمل عليه سبع سنوات فقط، ليشمل كل ما نطق به العرب منذ عصر ما قبل الإسلام وحتّى وقتنا الحالي.**

وتطرق صاحب السمو خلال حديثه إلى سُبل نشر المعجم التّاريخيّ وتعزيز الاستفادة منه، مشيرًا إلى تحدّيات اقتناء وحمل المجلدات الضّخمة. وأعلن سموّه عن خطوات عمليّة لتوفير المعجم عبر منصّات متعدّدة، إذ أُطلقت نسخة إلكترونيّة كاملة على الموقع الرسميّ، إضافة إلى تطبيقات خاصة بالهواتف الذكيّة تسهّل على الباحثين والشّباب الوصول إلى محتويات المعجم. كما أعلن عن مشروع "معجم جي بي تي"، الذي يعتمد على الذّكاء الاصطناعي لتمكين المستخدمين من التحاور مع المعجم والحصول على المعلومات المطلوبة بسرعة ودقّة، مشيرًا إلى أن المشروع سيكتمل خلال الأشهر القليلة المقبلة.

كما تحدّث سموه عن مشروع الموسوعة العربيّة الشّاملة التي سيبدأ













العمل عليها بالتعاون مع نخبة من العلماء الذين أسهموا في إنجاز المعجم التّاريخيّ. وأوضح سموه أن هذه الموسوعة ستكون مرجعًا دقيقًا وشاملاً للعلوم والآداب والفنون، وستتميز بترتيب متقنٍ يسهّل عمليّة البحث ويختصر الوقت على الباحثين.

وفي ختام حديثه، أكّد صاحب السّموّ حاكم الشّارقة أهميّة دور المجامع اللغويّة العربيّة في نشر الوعي اللّغويّ والثّقافيّ من خلال النّدوات والمحاضرات المتخصّصة التي تُبرز مكانة العلماء وتُعرّف النّاس بجهودهم الكبيرة. وأكد سموه أن مثل هذه الأنشطة تُسهم في الارتقاء بالثّقافة العربية وتعزّز مكانتها، كما أكّد دعم الشّارقة للثقافة والفكر على المستويين العربيّ والعالميّ.

ومن جانبهم، عبّر رؤساء المجامع اللّغويّة العربيّة عن تقديرهم وامتنانهم لصاحب السّموّ حاكم الشّارقة على دعمه اللامحدود للّغة العربيّة، مشيرين إلى أنّ اكتمال المعجم التّاريخيّ في فترة زمنيّة قياسية يُعد إنجازًا غير مسبوق مقارنة بمشروعاتٍ مماثلة حول العالم. كما أثنوا على القيمة العلميّة والتّاريخيّة للمعجم، وعدّوه مرجعًا أساسيًّا للباحثين والدارسين في مختلف المجالات.

سُلطان القاسميّ يُكرّم الفائزين بجائزة الشّارِقَة للدّراساتِ اللّغويّة والمعجميّة في دورتها السّابِعة



أكّدَ صاحِبُ السُّموِّ الشَّيخُ الدُّكتورُ سُلطان بن محمدٍ القاسِمي، عُضوُ المَجلِسِ الأَعلَى حاكِمُ الشّارِقةِ الرَّئيسُ الأَعلَى لمَجمَعِ اللُّغةِ العَربيَّةِ بالشّارِقةِ، أَنَّ العَملَ المعرِفيَّ المُتميِّزَ مِنَ العُلماءِ والعارِفينَ ومواصَلَةَ البَحثِ العِلميِّ في مُختلِفِ العلومِ وتَوثِيقها ونَشرِها هو كَسبٌ كَبيرٌ لِلأُمَّةِ ولِلأجيالِ المُقبلةِ، وهو ما ظَلَّت تَعمَلُ عليهِ الشّارِقةُ منذُ عُقودٍ إذ تحرِصُ على تَكريمِ الباحِثينَ الذينَ يَعمَلونَ بجِدٍّ واجتِهادٍ والاحتِفاءِ بِهِم.

جاء ذلكَ، خلالَ تَكريمِ سُموِّهِ، صَباحَ يومِ الأَربعاءِ المُوافِقِ لـ 81 دِيسمبر 2024، في مَجمَعِ اللُّغةِ العَربيَّةِ بالشّارِقةِ، الفائِزينَ بالدَّورةِ السّابعةِ مِن جائِزةِ الشّارِقةِ للدِّراساتِ اللُّغويَّةِ والمُعجَميَّةِ.

وأوضَحَ صاحِبُ السُّموِّ حاكِمُ الشّارِقةِ أَنَّ الشّارِقةَ تَعمَلُ وِفقَ بَرامِجَ مَدروسةٍ تُوفِّرُ الوَسائِلَ والإمكانيّاتِ لِكُلِّ مَن يَجتَهِدُ ويَعمَلُ، وتُقدِّمُ كُلَّ ذلكَ جُهدًا خالِصًا لكُلِّ طالِبِ عِلمٍ ومُستَفيدٍ منه، في مُختلِفِ العُلومِ والدِّراساتِ التّاريخيَّةِ والجُغرافيَّةِ وفي اللُّغةِ العَربيَّةِ، مُشيرًا سُموُّهُ إلى ضَرورةِ التَّأكُّدِ مِنَ المَعلوماتِ والبَحثِ الدَّقيقِ والتَّحليلِ والتَّفسيرِ مِمّا يُسهِمُ في تَقديمِ العِلمِ الصَّحيحِ بِنِيَّةٍ خالِصةٍ وعِلميَّةٍ كامِلةٍ.

وهنّأ صاحِبُ السُّموِّ حاكِمُ الشّارِقةِ الفائِزينَ بجَوائِزِ الدَّورةِ السّابعةِ على مُشارَكَتِهِم القَيِّمةِ وأَفكارِهِم النَّيِّرةِ التي أَنتَجَت أَبحاثًا عِلميَّةً رَصينةً مُتميِّزةً لإثراءِ المَكتبةِ العَربيَّةِ في حُقولِ اللُّغةِ العَربيَّةِ المُتنوِّعةِ.

وفازَ بالمَركزِ الأَوَّلِ في مِحوَرِ اللُّغويّاتِ: "كُتبُ التُّراثِ اللُّغويَّةِ المُحقَّقةُ في جميعِ فُروعِ عُلومِ اللُّغةِ العَربيَّةِ"، الدُّكتورُ أحمَد خَليفِ الأَعرَجِ عن تَحقيقِ كِتابِ "الجَنَى الدّاني في حُروفِ المَعاني للحَسَنِ بن قاسِمِ المُرادي"، وفازَت بالمَركزِ الثّاني






الدُّكتورةُ هالةُ جَمالِ القاضي عن تَحقيقِ كِتابِ "كِتابُ الأَفعالِ لابنِ القوطيَّةِ".

وفــازَ بالمَركزِ الأَوَّلِ في مِحوَرِ المُعجَميّاتِ: "المَعاجِمُ المُتخصِّصةُ في العُلومِ الإنسانيَّةِ والشَّرعيَّةِ" الدُّكتورُ فيصلُ الحُفيّانِ عن كِتابِه "قامُوسُ القُرآنِ الكَريمِ؛ مُعجَمُ الأَخلاقِ»، بَينَما فازَ الدُّكتورُ مُحمدُ عبدُ الرَّزاقِ بالمَركزِ الثّاني عن كِتابِه «مُعجَمُ التَّأويلِ».

وَقَدَّمَ الدُّكتورُ فيصلُ الحُفيّانِ، في كَلِمةٍ إنابةً عن زُملائِه الفائزينَ في هذِهِ الـدَّورةِ، الشُّكرَ والتَّقديرَ إلى صاحِبِ السُّموِّ حاكِمِ الشّارقةِ على رِعايَةِ سُموِّه وتَحفيزِهِ للعُلماءِ، واهتِمامِ إمارَةِ الشّارقةِ دَومًا وارتِباطِها بالعِلمِ والمَعرفَةِ وتَكريمِ المُتميِّزينَ في مُختلِفِ الحُقولِ العلميَّةِ والأَدبيَّةِ والفنِّيَّةِ وغيرِها، وأَعرَبَ عن سَعادَتِهِم بالفَوزِ والتَّكريمِ مِن صاحِبِ السُّموِّ حاكِمِ الشّارقةِ، مُشيرًا إلى أَنَّ كُلَّ مَن يَحصُلُ على التَّكريمِ مِن الشّارقةِ يَشعُرُ بالفَخرِ والفَرَحِ وخُصوصيَّةِ التَّكريمِ، حيثُ إنَّ قيمَةَ الجَوائزِ التي تُقدِّمُها إمارَةُ العِلمِ والمَعرفَةِ تَكمُنُ في حياديَّتِها وإعطاءِ الحَقِّ لأَصحابِهِ مِنَ المُتفوِّقينَ والمَبرُوزينَ مِمّا يُشَجِّعُهُم على مَزيدٍ مِنَ العَمَلِ الدَّؤوبِ والتَّفَوُّقِ.

وتَفَضَّلَ صاحِبُ السُّموِّ حاكِمُ الشّارِقةِ، في خِتامِ حَفلِ التَّكريمِ، بالتِّقاطِ الصُّورِ التَّذكاريَّةِ مَعَ الفائزينَ، ومَجلِسِ أُمَناءِ الجائزةِ واللَّجنَةِ العِلميَّةِ.

وأَعــلَــنَ الدُّكتورُ امحَمَّدُ صافي المُستغانمي، الأَمينُ العامُّ لمَجمَعِ اللُّغةِ العَربيَّةِ بالشّارقةِ، في خِتامِ حَفلِ التَّكريمِ عن مَحاوِرِ جائزةِ الشّارقةِ للدِّراساتِ اللُّغويَّةِ والمُعجَميَّةِ في دَورتِها الثّامنةِ المُقبلةِ، وهيَ: مِحوَرُ اللُّغويّاتِ: الدِّراساتُ اللِّسانيَّةُ النَّصِّيَّةُ، ومِحورُ المُعجَميّاتِ: المَعاجِمُ المُؤَلَّفَةُ في مُصطَلَحاتِ عُلومِ اللُّغةِ العَربيَّةِ.

مجمع اللّغة العربيّة يتألّق في مَعرضِ الشّارقة الدّوليّ للكتاب في نسخته الثّالثة والأربعين



شارك مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة في فعاليّات الدّورة الـ43 من معرض الشّارقة الدّوليّ للكتاب، عبر جناح خاصّ يحتضن الأجزاء الـ127 من "المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة"، والّذي يتيح للزّوّار التّعرّف على المشروع العربيّ الرّائد الّذي قاده مجمع اللّغة العربيّة لخدمة علوم اللّغة العربيّة، كما نظّم المجمع في المعرض سلسلة من الأنشطة الثّقافيّة تتضمن جلسات حواريّة ونقاشات حول مشروع Sالمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّةA، وتوظيفه في الأبحاث الأكاديمية وتطوير تقنيات الذّكاء الاصطناعيّ، إلى جانب تنظيم لقاء تفاعليّ مع عدد من الأكاديميّين والطلّاب البولنديّين للحديث عن تجاربهم في الشّارقة وتعلّم اللّغة العربيّة بين أهلها، وجلسة نقديّة تسلّط الضّوء على مسيرة الأديب والنّاقد الهواري غزالي.

مؤتمر خاصّ يسلّط الضوء على إنجازات المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة

عُقد مؤتمر خاصّ ضمن فعاليّات معرض الشّارقة الدّوليّ للكتاب 4202 للإعلان عن إنجازات مشروع المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، الّذي يعدّ من أبرز الإنجازات اللّغويّة في العصر الحديث. حضر المؤتمر عدد من الشّخصيّات البارزة، من بينهم محمّد حسن خلف، عضو مجلس أمناء مجمع اللّغة العربيّة، والدّكتور امحمّد صافي المستغانمي، الأمين العامّ لمجمع اللّغة العربيّة والمدير التّنفيذيّ للمشروع، والدّكتور محمّد السّعودي، مقرّر عامّ الفريق الأردني. كما شهد الحدث حضور سعادة أحمد بن ركاض العامري، الرّئيس التّنفيذيّ لهيئة الشّارقة للكتاب، وعدد من رؤساء وممثّلي مجامع اللّغة العربيّة.







عُقد مؤتمر خاصّ ضمن فعاليّات معرض الشّارقة الدّولي للكتاب 2024 للإعلان عن إنجازات مشروع المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة.

أشاد المختصّون الّذين أسهموا في إنجاز المعجم بأهمّيّته بوصفه نقلة نوعيّة في توثيق اللّغة العربيّة وتاريخها. يمثّل المشروع مرجعًا شاملًا للأجيال الحاليّة والمستقبليّة، حيث يتضمّن 127 جزءًا تحتوي على 12,141 جذرًا و348,406 شاهدًا لغويًّا مستخلصًا من القرآن الكريم والحديث النّبويّ والشّعر والنّثر، ليصل مجموع محتواه إلى حوالي 14 مليون كلمة. وشارك في إعداد المشروع فريق عمل مكوّنًا من 780 خبيرًا من 20 مؤسّسة عربيّة تشمل مجامع لغويّة وجامعات ومراكز بحثيّة.

وأكّد المتحدّثون على الدّور الكبير لصاحب السّمو الشّيخ سلطان بن محمّد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشّارقة، في دعم المشروع. أوضح الدّكتور المستغانمي أنّ التّوجيهات المستمرّة لسموّه واستخدام أحدث التّقنيّات كانت عوامل حاسمة في تسريع إنجاز المعجم، ممّا يعكس رؤية ثاقبة للحفاظ على اللّغة العربيّة وتطويرها.

سلّط المؤتمر الضّوء على الفرق بين المعاجم العامّة والمعجم التّاريخيّ، إذ تعنى المعاجم العامّة بتحديد المعاني الحاليّة للكلمات، بينما يركّز المعجم التّاريخيّ

على تتبّع تطوّرات الكلمات دلاليًّا وزمنيًّا منذ ظهورها في النّقوش والمخطوطات القديمة وحتّى العصر الحديث. هذا النّهج يجعل المعجم التّاريخيّ سجلًّا توثيقيًّا غنيًّا لتاريخ اللّغة العربيّة.

وأشار الدّكتور محمّد السّعودي إلى أهمّيّة المعجم في خلق لغة مصطلحيّة جديدة تخدم العلوم والفكر والثّقافة. كما نوّه إلى أنّ المعجم يعتبر مصدرًا قيّمًا للتّفاعل مع الثّقافات الأخرى، ما يعزّز من الحضور العربيّ في المحافل العلميّة العالميّة. وأكّد أنّ المعجم سيظلّ مشروعًا مستمرًّا، يخضع لمراجعات دوريّة لإضافة المفردات الجديدة وتوثيق التّطوّرات الدّلاليّة.

تحدّث المشاركون عن الأدوات الحديثة المستخدمة في المشروع، ومنها تطبيق إلكترونيّ وموقع إلكترونيّ يسهّلان البحث في المعجم. كما أطلق صاحب السّمو الشّيخ سلطان مشروع «المعجم GPT» الّذي يعتمد على تقنيّات الذّكاء الاصطناعيّ لتوفير تجربة أكثر سهولة للمستخدمين، ممّا يجعل علوم اللّغة العربيّة متاحة بطرق عصريّة ومبتكرة.

> **أطلق صاحب السّمو الشّيخ سلطان مشروع «المعجم GPT» الّذي يعتمد على تقنيّات الذّكاء الاصطناعيّ لتوفير تجربة أكثر سهولة للمستخدمين، ممّا يجعل علوم اللّغة العربيّة متاحة بطرق عصريّة ومبتكرة.**

استعرض المؤتمر المراحل المختلفة الّتي مرّ بها المشروع منذ تأسيس مجمع اللّغة العربيّة في الشّارقة بمرسوم أصدره صاحب السّمو في 18 ديسمبر 2016، وحتّى إصدار أوّل ثمانية مجلّدات تجريبيّة في عام 2020. وتوّج المشروع بالإعلان عن الانتهاء من طباعة المعجم الكامل في سبتمبر 2024.

في ختام المؤتمر، أكّد المتحدّثون أنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة ليس فقط إنجازًا لغويًّا بل إرثًا حضاريًّا يعزّز مكانة اللّغة العربيّة عالميًّا. ويمثّل المشروع خطوة مهمّة نحو الحفاظ على هويّة اللّغة وتطويرها بما يتناسب مع تحدّيات العصر.

ندوة اللّغة العربيّة في عيون الطّلاب البولنديّين

ضمن فعاليات الدّورة الثّالثة والأربعين من معرض الشّارقة الدّولي للكتاب، عُقدت ندوة حواريّة بعنوان «اللّغة العربيّة في عيون الطّلاب البولنديّين»، سلّطت الضّوء على تجربة الطّلاب البولنديّين في تعلّم اللّغة العربيّة في مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة. شاركت في النّدوة الدّكتورة بربارا ميخالاك بيكولسكا، رئيسة قسم اللّغة العربيّة ومديرة معهد الاستشراق في جامعة ياجيلونسكي بمدينة كراكوف، بولندا، إلى جانب عدد من الطّلاب البولنديّين الذين حضروا إلى الشّارقة في إطار برنامج التّعاون الثّقافي بين المؤسّستين.







محاور النّدوة

افتتحت الدّكتورة بربارا النّدوة باستعراض العلاقات الثّقافيّة والأكاديميّة بين جامعة ياجيلونسكي ومجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، والتي بدأت منذ عام 8102. وأشارت إلى تاريخ قسم اللّغة العربيّة في الجامعة، الذي يُعدّ من أقدم أقسام الدّراسات العربيّة في أوروبا، إذ تأسس عام 9191. كما أكدت أهميّة تعليم اللّغة العربيّة في تعزيز الحوار بين الثّقافات.

تحدّث الطّلاب المشاركون عن الأسباب التي دفعتهم إلى تعلّم اللّغة العربيّة، مشيرين إلى جمالها وثرائها الثّقافيّ ودورها المحوريّ في التّاريخ والحضارة. وأبرزوا التّحديات التي واجهوها، مثل تعلّم الأبجديّة العربيّة، وفهم اختلاف اللّهجات العربيّة، واستيعاب المفردات متعدّدة المعاني. ورغم ذلك، أكّدوا أنّهم يفضّلون العربيّة الفصحى كونها أداة للتّواصل الرّسميّ والثّقافيّ.

أثر التّجربة على الطّلاب

تناول الطلاب تجاربهم في الشارقة، حيث أعربوا عن إعجابهم بالبيئة الثّقافيّة الغنية التي وفّرتها المدينة. وأشادوا بزيارة مجمع القرآن الكريم ومخطوطاته النّادرة، والمدينة الجامعيّة، والمرافق الثّقافيّة الأخرى. وأكّدوا أن هذه التّجربة أسهمت في تعزيز مهاراتهم اللغوية والثقافية.

"تناول الطلاب تجاربهم في الشارقة، حيث أعربوا عن إعجابهم بالبيئة الثّقافيّة الغنية التي وفّرتها المدينة. وأشادوا بزيارة مجمع القرآن الكريم ومخطوطاته النّادرة، والمدينة الجامعيّة، والمرافق الثّقافيّة الأخرى.

كما أشار الطّلاب إلى كيفية تأثير تعلّم اللّغة العربيّة على فهمهم للثّقافة العربيّة، مشدّدين على أنّ اللّغة ليست مجرد وسيلة للتّواصل، بل جسر لفهم أدقّ التّفاصيل الثّقافيّة والحضاريّة.

نصائح للمتعلّمين

اختُتمت النّدوة بنصائح قدمها الطلاب للمتعلّمين الجدد للّغة العربيّة، منها التّركيز على الممارسة اليوميّة، التّفاعل مع النّاطقين بها، الاعتماد على الموادّ البصريّة مثل الأفلام والمسلسلات، والحرص على تطوير مهارات الاستماع والكتابة. وأكدّوا أهميّة التّوجه إلى الدّول العربيّة لتعزيز المهارات من خلال التّجارب المباشرة.

التعاون المستقبلي

وأشادت النّدوة بدور الشارقة في دعم اللّغة العربيّة وتعزيز مكانتها عالميًا، وأكدّت على استمرار التّعاون بين جامعة ياجيلونسكي ومجمع اللّغة العربيّة في مشاريع أكاديميّة وثقافية مستقبليّة تهدف إلى تعزيز الحوار الحضاريّ بين الشّعوب.

اتّحاد المجامع اللّغويّة يحتفل باليوم العالميّ للّغة العربيّة تحت عنوان

«المعجم التّاريخيّ: إنجاز القرن وأيقونته العلميّة»









احتفل اتّحاد المجامع اللّغويّة العلميّة العربيّة ظهر اليوم بمناسبة اليوم العالميّ للّغة العربيّة لعام 2024، تحت شعار: "المعجم التّاريخيّ: إنجاز القرن وأيقونته العلميّة"، وذلك بمقرّ الأمانة العامّة للاتّحاد بمدينة السّادس من أكتوبر.

افتُتِح الحفل بكلمةٍ ألقاها الأستاذ الدّكتور حسن الشّافعيّ، رئيس الاتّحاد، أعقبها إدارة فعاليّات الاحتفال من قبل الأستاذ الدّكتور عبد الحميد مدكور، الأمين العامّ للاتحاد. كما تمّ عرض فيلمٍ وثائقيٍّ تناول أبرز محطّات مشروع المعجم التّاريخيّ.

وألقى الأستاذ محمّد حسنٍ خلف، عضو مجلس أمناء مجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، والمدير العامّ لهيئة الإذاعة والتّلفاز بالشّارقة، كلمةً نقل خلالها تحيّات صاحب السّموّ الشّيخ الدّكتور سلطان بن محمّدٍ القاسميّ، عضو المجلس الأعلى، حاكم الشّارقة، للحضور، مشيدًا بدور المشاركين في مشروع المعجم من إداراتٍ علميّةٍ وتنفيذيّةٍ وخبراء ومحرّرين.

كما قدّم الأستاذ الدّكتور امحمّد صافي المستغانمي، الأمين العامّ لمجمع اللّغة العربيّة بالشّارقة، كلمةً تناولت مراحل إنجاز المشروع وآفاقه المستقبليّة.

وتضمّن الحفل كلماتٍ عن بعدٍ، منها كلمةٌ للأستاذ الدّكتور محمود أحمد السّيّد، رئيس مجمع اللّغة العربيّة بدمشق، وأخرى للأستاذ الدّكتور أحمد شحلان، عضو المجلس العلميّ باتّحاد المجامع، من المغرب.

وألقى الأستاذ الدّكتور مأمونٌ وجيه، المدير العلميّ لمشروع المعجم التّاريخيّ، كلمةً تناولت تفاصيل مراحل العمل وأهمّيّة المشروع في توثيق وتطوير اللّغة العربيّة.

اختتمت الكلمات بكلمةٍ للأستاذ الدّكتور محمّد المرسيّ، عضو مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة وعضو لجنة شهادة الكفاءة في اللّغة العربيّة بالاتّحاد، حيث تناول المشروع الثّاني للاتّحاد الخاصّ بشهادة الكفاءة، مستعرضًا ما تحقّق فيه حتّى الآن.

شهد الحفل حضورًا مميّزًا من شخصيّاتٍ بـارزةٍ، منها: الأستاذ الدّكتور عبّاسٌ شومان، الأمين العامّ لهيئة كبار العلماء بالأزهر الشّريف، الذي ألقى كلمةً عن دور الأزهر في خدمة اللّغة العربيّة، والدّكتورة مهى عمر جاد، مديرة إدارة الثّقافة وحوار الحضارات بجامعة الدّول العربيّة، ممثّلةً عن الجامعة العربيّة. كما حضر الأستاذ الدّكتور علي النّعيم، مدير معهد المخطوطات العربيّة، وعددٌ من أعضاء مجمع اللّغة العربيّة بالقاهرة، وأساتذة الجامعات، والباحثين، والإعلاميّين.

عبر منصّة «زوم» ، شارك عددٌ كبيرٌ من أعضاء مجلس اتّحاد المجامع اللّغويّة العلميّة العربيّة من مختلف الدّول العربيّة.

في ختام الحفل، كُرِّمَ المشاركون في مشروع المعجم التّاريخيّ، من أساتذةٍ وخبراء ومحرّرين، تقديرًا لجهودهم البارزة في إنجاز هذا العمل الرّائد.







مجمع اللّغة العربيّة في الشّارقة يستقبل وفداً بولنديّا في تجربة علميّة ثقافيّة

استقبل مجمَع اللّغة العربيّة بالشّارقة وفدًا طلابيًّا من جامعة ياجيلونسكي البولنديّة، في زيارة امتدّت على مدار عشرة أيام خلال الفترة من 04 وحتى 14 نوفمبر 2024 وشملت الزّيارة برنامجًا متكاملاً يجمع بين الجوانب الأكاديميّة والثّقافيّة والتّرفيهيّة. تأتي هذه الزِّيارةُ ضِمنَ الجُهودِ المُبارَكَةِ التي يَقودُها صاحِبُ السُّموِّ الشَّيخِ الدُّكتورِ سُلطانَ بنَ مُحمَّد القاسميِّ، عُضوِ المَجلسِ الأعلى حاكِمِ الشَّارقةِ -حَفِظَه الله- لِتعزيزِ مَكانةِ اللُّغةِ العَربيَّةِ بَينَ اللُّغاتِ العالَميَّة، إذ يُولي سُموُّهُ اهتمامًا مُنقطِعَ النّظير بدعمِها والنُّهوضِ بِها. وَجاءَت هذه الزِّيارةُ في إطارِ السَّعي إلى تَعزيزِ التَّعاوُنِ بَينَ الشَّارِقةِ والمُؤَسَّساتِ الأكادِيميَّةِ الدُّوَلِيَّة، وضَمَّ الوَفدُ سِتَّةَ عَشَرَ طالِبًا وطالِبةً يَدرُسونَ اللُّغةَ العَربيَّةَ وآدابَها في جَامِعَةِ ياجيلونسكي، وهي إِحدى أَعرَقِ الجَامِعاتِ في بولندا وأُوروبا الشَّرقيَّةِ. وَتَهدِفُ هذه الزِّيارَةُ إلى تَقديمِ تَجرِبَةٍ فَريدَةٍ لِلطُّلَّابِ تُمكّنهم مِن مُمارَسَةِ اللُّغةِ العَربيَّةِ عَمَليًّا مَع أَهلِها النَاطِقينَ بِها، مِمّا يُسْهِمُ في تَعميقِ فَهمِهِم للُّغةِ





ومُكوِّناتِها الثَّقافِيَّةِ والحَضارِيَّةِ.

استهل الوفد زيارته بجولة تعريفية في مرافق مجمَع اللّغة العربيّة بالشّارقة، حيث تعرفوا على جهوده المبذولة في خدمة اللغة العربية، بدءاً من مشروع المُعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، الذي يُعد أحد أهمّ الإنجازات اللّغويّة في العصر الحديث، وصولاً إلى الوسائل التّعليميّة الحديثة المستخدمة في تدريس اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها. وأبدى الوفد إعجابهم بالبنية التحتيّة المتقدمة للمجمع، بما في ذلك القاعات الدّراسية المجهّزة بأحدث التّقنيات، والمكتبة الغنيّة بالمراجع النادرة.

وأعربَ الطلابُ عن إعجابِهم البالغِ بالجهودِ الكبيرةِ التي تُبذَلُ للحفاظِ على اللّغةِ العربيّةِ ونشرِها، مؤكدينَ أنَّ هذهِ الزيارةَ فتحت أمامَهم آفاقًا جديدةً لفهمِ اللغةِ بعمقٍ أكبر، بعيدًا عن إطارِ القواعدِ والتراكيبِ فقط. وأشارَ أحدُ الطلابِ إلى أنَّ التجربةَ التي أتاحَها مجمعُ اللغةِ العربيةِ لهم، من خلالِ التعمُّقِ في الجوانبِ العمليةِ للغةِ، مثلت إضافةً مميزةً لما تعلَّموه نظريًّا في بولندا، خاصةً فيما يتعلقُ بالتواصلِ المباشرِ مع الناطقينَ بالعربيةِ الفصحى.

جاءَتْ هذه الزِّيارةُ في إطارِ السَّعي إلى تَعزيزِ التَّعاوُنِ بَينَ الشَّارِقةِ والمُؤَسَّساتِ الأَكاديمِيَّةِ الدُّوَلِيَّةِ، وضَمَّ الوَفدُ سِتَّةَ عَشَرَ طالِبًا وطالِبةً يَدرُسونَ اللُّغةَ العَربِيَّةَ وآدابَها في جامِعَةِ ياجيلونسكي، وهي إِحدى أَعرَقِ الجامِعاتِ في بولندا وأُوروبا الشَّرقِيَّةِ. وَتَهدِفُ هذه الزِّيارَةُ إلى تَقديمِ تَجرِبَةٍ فَريدَةٍ لِلطُّلَّابِ تُمكّنهم مِن مُمارَسَةِ اللُّغةِ العَربِيَّةِ عَمَلِيًّا مَع أَهلِها النَاطِقينَ بِها.





دروس تعليميّة مكثّفة

اشتمل البرنامج الأكاديميّ للوفد الطلابيّ البولنديّ على دروس تعليميّة مكثّفة ومصمّمة بعناية لتلبية احتياجات الطّلبة على تنوّع مستوياتهم، إذ وُزّع الطلبة على ثلاث مجموعات تعليميّة وفقاً لمستوياتهم في اللغة العربية: مبتدئ، ومتوسّط، ومتقدّم، وقُدّمت لهم حصتان يومياً لكل مجموعة، واستمرت كل حصة لمدة ساعة ونصف، وهو ما أتاح للطلاب فرصة الاستفادة القصوى من الوقت المخصص للتعلّم مع ضمان التنوع في الموادّ المقدّمة.

ركزت دروس المستوى المبتدئ على تعليم مخارج أصوات الحروف العربيّة بشكل صحيح، وتقديم مجموعة من المفردات الأساسيّة والقواعد النحويّة، مع تدريبهم على تطبيقها عملياً في التحدث والكتابة لا سيّما في المواقف اليوميّة. أما طلاب المستوى المتوسّط، فقد حظوا بدروس تهدف إلى تحسين مهارات الاستماع والتّحدث بطلاقة بالإضافة إلى الكتابة والقراءة، إذ شملت الـدّروس نصوصاً قرائيّة ومقاطع مسموعة تتناول مواضيع ثقافيّة عربيّة متنوّعة.

أمّا طلبة المستوى المتقدّم فقد استفادوا من تحليل النصوص الأدبيّة والثّقافية العميقة، ومناقشة موضوعات متقدمة تتعلق بالتّرجمة وفهم المعاني الدقيقة للكلمات، إضافةً إلى استعراض تاريخ اللّغة العربيّة وتطوّرها. وقد أسهمت هذه الدّروس في تمكين الطّلبة من التّفاعل بشكل عمليّ مع اللغة، مما زاد من ثقتهم وقدرتهم على استخدامها في حياتهم اليوميّة.



جولاتٌ ثقافيّة ترفيهيّة

شكلت الجولات الثقافية والترفيهية جزءاً أساسياً من برنامج زيارة الوفد الطلابيّ البولنديّ، إذ حرص مجمَع اللّغة العربيّة بالشّارقة على تقديم تجربة شاملة تتيح للطلاب التّعرف على الجوانب الثقافية والتراثية التي تميّز الإمارةَ الباسمة. وقد صُمّمت الجولات بهدف تعزيز ما يتعلمه الطلاب في الدروس الأكاديميّة، وربطهم بالثّقافة العربيّة في سياقها العمليّ والحياتيّ.

شملت الجولات زيارة بيت الحكمة، حيث



شكّلت الجولات الثّقافيّة والتّرفيهيّة جزءًا أساسيًا من برنامج زيارة الوفد الطلابيّ البولنديّ، إذ حرص مجمَع اللّغة العربيّة بالشّارقة على تقديم تجربة شاملة تتيح للطلاب التّعرف على الجوانب الثقافية والتراثية التي تميّز الإمارةَ الباسمة حيث صُمّمت الجولات بهدف تعزيز ما يتعلّمه الطّلاب في الدروس الأكاديميّة، وربطهم بالثّقافة العربيّة في سياقها العمليّ والحياتيّ.





أُتيحت للطلاب فرصة استكشاف هذه التّحفة الثقافيّة التي تجمع بين التّصميم المعماريّ الحديث والمحتوى الثّقافي الغنيّ، وتعرّف الطلاب على كيفيّة دمج التكنولوجيا مع الثقافة في هذا المعلم الفريد. كما شملت الجولات كذلك زيارة مجمع القرآن الكريم، الذي يُعد مركزاً عالمياً لعلوم القرآن الكريم، حيث اطّلع الوفد على المخطوطات النّادرة والمتاحف السّبعة التي يحتضنها المجمع. وإلى جانب المعالم الثّقافيّة، زار الوفد السّوق المركزيّ للتعرف على التراث المحلي وتجربة أجواء الأسواق العربيّة التّقليديّة. كما تضمّنت الجولات زيارة جزيرة النّور، التي تمثل وجهة تجمع بين الفن والطبيعة، ما أتاح للطلاب الاستمتاع بجماليات المكان والتفاعل مع الثقافة بطريقة فنية.

ولتعزيز التّجربة الترفيهيّة، نُظّمت رحلة إلى صحراء مليحة، حيث استمتع الطلاب برحلة سفاري عايشوا معها ثقافة العرب وبيئتهم المُلهِمة، تلتها زيارة إلى مدينة خورفكان السّاحرة، وهو ما أتاح لهم التّفاعل مع الطبيعة الخلابة واستكشاف التّنوع الجغرافي في دولة الإمارات العربيّة المتّحدة.

ختام البرنامج الثّقافيّ

اختُتمت زيارة الوفد الطلابي البولنديّ بحفل ختاميّ مليء بالمشاعر الإيجابيّة، إذ عبّر الطّلاب عن امتنانهم الكبير لما أتاحه لهم مجمع اللغة العربية في الشّارقة من تجربة تعليمية وثقافية ثرية. وشهد الحفل إلقاء عدد من الطلاب كلمات وأبيات شعرية باللغة العربية، أظهرت التقدم الكبير الذي أحرزوه في مهارات اللّغة، مما عكس عمق تأثير البرنامج عليهم.

أشاد الوفد بالدور الاستثنائيّ لمجمع اللغة العربية في دعم اللغة العربية وتعليمها للنّاطقين بغيرها، مثمّنين الجهود المبذولة لإحياء التّراث الثّقافي العربي وتعزيزه. وأعرب الطلاب عن رغبتهم في استمرار التعاون بين جامعة ياجيلونسكي والمجمع، مع التّطلع لتوسيع نطاق البرامج والأنشطة المشتركة مستقبلاً.

كما أكد المشرفون على الزيّارة أن هذه التّجربة لم تكن مجرّد رحلة تعليميّة، بل كانت جسراً للتّواصل بين الثّقافتين العربيّة والبولنديّة، مما يعزز قيم الحوار والتّفاهم بين الشّعوب. وأشاروا إلى أن المعرفة التي اكتسبها الطلاب خلال الزيارة ستبقى محفورة في ذاكرتهم، وستنعكس إيجابيًّا على مسيرتهم الأكاديميّة والعمليّة.

بهذا، تكون إمارة الشارقة قد أضافت فصلاً جديداً إلى سجلها الحافل كمركز عالمي للإشعاع الثقافي واللغوي، مؤكدة دورها الرائد في بناء جسور الحضارة والانفتاح الثّقافي بين الشّرق والغرب.

















نظراتٌ في البيانِ القرآنيّ

- تَعَدُّدُ وُجوهِ تَأْويلِ الآيةِ: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ عنـــدَ المُفَـــسِّـرين وأَسْـبَـابُـــهُ
- النَّظْمِيَّةُ والتّلَازُمِيَّةُ فِي الإعْجَـازِ القُـــرْآنيِّ
- الدَّلَالَةُ التّــرِكِيبِيّةُ لكلِمَةِ (اليومَ) الظَّـرْفِ الزَّمَــانـــيِّ فـــي (ســورة غـــافـــر)

تَعَدُّدُ وُجُوهِ تَأْوِيلِ الآيةِ:

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾

عندَ المُفَسِّرِين وأَسْبَابُهُ

اختلفَ المفسِّرونَ في تأويلِ الآيةِ الكَريمةِ:﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدّثّر:6]، وهو اختلافُ تعدّدٍ لا تناقُض، حتى إنّ عدّةَ التّأويلاتِ بلغت أحدَ عشرَ تأويلًا وَفْق القرطبيِّ الذي رصدَ التّأويلاتِ كلَّها، وجمعَها في تفسيرِه (الجامعُ لأحكام القرآن) مُستفيدًا من سابِقيه، ونرى أنَّ سببَ الاختلافِ أوِ التّعدّدِ بحسبِ استقراءِ التّأويلاتِ يعودُ إلى أمورٍ منها: اختلافُ معاني ﴿تَمْنُن﴾ فهو منَ المشترَك، واختلافُ مفعولاتِه ومتعلّقاتِه، وكذلك اختلافُ مفعولاتِ ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ ومتعلَّقاتِه، واختلافُ العلاقةِ بين ﴿تَمْنُن﴾ و﴿تَسْتَكْثِرُ﴾. نشيرُ إلى أنّ اختلافَ التّأويلاتِ يرجعُ إلى اختلافِ القراءاتِ، وبهما تختلفُ وجوهُ الإعرابِ الذي هو فرعٌ عنِ المعنى كما هو معلومٌ، وإلى غيرِ ذلك، وتفصيلُ هذا الإجمالِ يتّضحُ ببيانِ تعدّدِ القراءاتِ والإعرابِ ووجوهِ التّأويلِ، وهو الآتي:



د/ عامر خليل الجرّاح

تخصص البلاغة واللّسانيّات التداوليّة

قراءات الآية

تعدّدَتْ قراءاتُ الآيةِ في الفعلَين اللّذَين تقومُ عليهما، وهما (تَمْنُنْ)، و(تَسْتَكْثِرْ)، ونسوقُها كما يأتي: «قرأ الجمهور: ﴿تَمْنُن﴾، بفكّ التّضعيفِ، والحسنُ وأبو السمّال: بشدّ النّون.«أي: {ولا تَمُنَّ}، و"قرأ الجمهور:﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ برفعِ الراء... وقرأ الحسنُ وابنُ أبي عبْلَةَ: بجزم الرّاء». أي:﴿تَسْتَكْثِرْ﴾.

وهذا الاختلافُ في قراءة الفعلِ ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ يؤثّرُ في المعنى وفي الإعراب بطبيعةِ الحال، كما سيتبيّنُ.

إعرابُ الآيةِ

لا خلافَ عندَ جميعِ المفسّرين والمُعْربين أنّ الأداةَ (لا) ناهيةٌ، والفعلَ (تمننْ) مجزومٌ بها، واختلفُوا في إعرابِ الفعلِ (تَسْتَكْثِرُ) مفردًا وجملةً؛ فقيل في الفعل (تَسْتَكْثِرُ) :

* هو مرفوعٌ، وجملتُه في محلِّ نصبٍ على الحال، أي: (لا تعطِ مستكثرًا أو رائيًا لما تعطيه كثيرًا، أو طالبًا للكثير)، أو في محلِّ نصبٍ حالٌ مُتوقَّعةٌ أي (لا تمنن مقدِّرًا أن تستكثر)، وقيل: هو مرفوعٌ بحذفِ (أن) وإبطالِ عملِها، كما رُوي: أحضرُ الوغَى بالرّفع، ويصيرُ المعنَى: (لا تمنُنْ أن تستكثرَ).

- هو مجزومٌ بحسبِ قراءةِ الحسنِ: وفيه ثلاثةُ أوجُهٍ:

1. الإبدالُ من (تمننْ). كأنّه قيل: (ولا تمننْ لا تستكثرْ)، على أنّه منَ المنّ في قوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة:262]؛ لأنّ من شأنِ المنّان بما يُعطي أن يستكثرَه، أي: يراه كثيرًا ويعتدُّ به، أو لأنّه جوابُ النّهيِ.
2. أن يُسكّنَ تخفيفًا.
3. أن يُعتبرَ حالَ الوقفِ.

- هو منصوبٌ بإظهارِ (أنْ) بحسبِ قراءةِ ابنِ مسعود: (ولا تمنن أن تستكثرَ)، أو بإضمارِها بحسبِ قراءةِ الأعمشِ، على حدِّ قولِ الشّاعرِ:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى

وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي؟

فالفعلُ (تستكثر) قُرئَ بالرّفعِ والجزمِ والنّصبِ، والجمهورُ على أنّ الرّفعَ أشهرُ وأنّ الجملةَ حاليَّةٌ؛ وقال الأخفش فيه: "هو أجودُ المعنيَين" ؛ أي أجودُ منَ الجزمِ.

وُجوهُ التّأْويل

نبدأُ بما أوردَه القُرطبيُّ في تفسيرِه؛ إذِ استقصَى جميعَ الوجوهِ التي ذكرَها سابقُوه، فجاءت في "أحدَ عشرَ تأويلا:

الْأَوَّلُ- لَا تَمْنُنْ عَلَى رَبِّكَ بِمَا تَتَحَمَّلُهُ مِنْ أَثْقَالِ النُّبُوَّةِ، كَالَّذِي يَسْتَكْثِرُ مَا يَتَحَمَّلُهُ بِسَبَبِ الْغَيْرِ.

الثَّانِي: لَا تُعْطِ عَطِيَّةً تَلْتَمِسُ بِهَا أَفْضَلَ مِنْهَا [من أمور الدنيا]، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعِكْرِمَةُ وَقَتَادَةُ. قَالَ الضَّحَّاكُ: هَذَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، لِأَنَّهُ مَأْمُورٌ بِأَشْرَفِ الْآدَابِ وَأَجَلِّ الْأَخْلَاقِ، وَأَبَاحَهُ لِأُمَّتِهِ، وَقَالَهُ مُجَاهِدٌ.

الثَّالِثُ: عَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا: لَا تَضْعُفْ أَنْ تَسْتَكْثِرَ مِنَ الْخَيْرِ، مِنْ قَوْلِكَ حَبْلٌ مَنِينٌ إِذَا كَانَ ضَعِيفًا، وَدَلِيلُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ مِنَ الْخَيْرِ.

الرَّابِعُ: عَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا وَالرَّبِيعِ: لَا تُعْظِمْ عَمَلَكَ فِي عَيْنِكَ أَنْ تَسْتَكْثِرَ مِنَ الْخَيْرِ، فَإِنَّهُ مِمَّا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ. قَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: لَا تَسْتَكْثِرْ عَمَلَكَ فَتَرَاهُ مِنْ نَفْسِكَ، إِنَّمَا عَمَلُكَ مِنَّةٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ، إِذْ جَعَلَ اللَّهُ لَكَ سَبِيلاً إِلَى عِبَادَتِهِ.

قَالَ الْحَسَنُ: لَا تَمْنُنْ عَلَى اللَّهِ بِعَمَلِكَ فَتَسْتَكْثِرَهُ.

السَّادِسُ: لَا تَمْنُنْ بِالنُّبُوَّةِ وَالْقُرْآنِ عَلَى النَّاسِ فَتَأْخُذَ مِنْهُمْ أَجْرًا تَسْتَكْثِرُ بِهِ

السَّابِعُ: قَالَ الْقُرَظِيُّ: لَا تُعْطِ مَالَكَ مُصَانَعَةً.

الثَّامِنُ: قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: إِذَا أَعْطَيْتَ عَطِيَّةً فَأَعْطِهَا لِرَبِّكَ.

التَّاسِعُ: لَا تَقُلْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي.



الْعَاشِرُ: لَا تَعْمَلْ طَاعَةً وَتَطْلُبَ ثَوَابَهَا، وَلَكِنِ اصْبِرْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يُثِيبُكَ عَلَيْهَا.

الْحَادِيَ عَشَرَ- لَا تَفْعَلِ الْخَيْرَ لِتُرَائِيَ بِهِ النَّاسَ» .

ثمّ يُتابعُ القُرطبيُّ مُبديًا رأيَه مُرجّحًا بين الأقوالِ السّابقة بقولِه: "هَذِهِ الْأَقْوَالُ وَإِنْ كَانَتْ مُرَادَةً فَأَظْهَرُهَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَا تُعْطِ لِتَأْخُذَ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَيْتَ مِنَ الْمَالِ، يُقَالُ: مَنَنْتُ فُلَانًا كَذَا أَيْ أَعْطَيْتُهُ. وَيُقَالُ لِلْعَطِيَّةِ الْمِنَّةُ، فَكَأَنَّهُ أُمِرَ بِأَنْ تَكُونَ عَطَايَاهُ لِلَّهِ، لَا لِارْتِقَابِ ثَوَابٍ مِنَ الْخَلْقِ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ عليه السلام مَا كَانَ يَجْمَعُ الدُّنْيَا" .

والواقعُ أنّ ما رجّحَه القُرطبيُّ هو ما ذهبَ إليه أكثرُ المفسّرين ابتداءً من مُقاتلِ بن سليمانَ (ت150هـ) الذي رأى أنّ التأويلَ: "ولا تُعطِ عطيّةً لتُعطى أكثرَ من عطيّتِك" ، وكذلك الإمامُ أحمدُ بنُ حنبل (ت241هـ) الذي «قال: [لا] تمننْ بما أعطيتَ، فتأخذَ أكثرَ» ، ويظهرُ لنا أنّ معنَى (تمنن) هنا هو تُعطِي، وأقرّ الثّعلبيُّ (ت427هـ) غلبةَ القولِ بذلك الوجهِ حين قال: «فقال أكثرُ المفسّرين: ولا تعطِ شيئًا لتُعطَى أكبرَ منه» ، وذلك من أنّ الفعلَ (مَنَّ) جاء بمعنى أعطَى، فهو منَ المشترك الذي تتعدّدُ معانيه كما تذكرُ المعاجمُ، وهنا أمران وجبَ الوقوفُ عليهما:

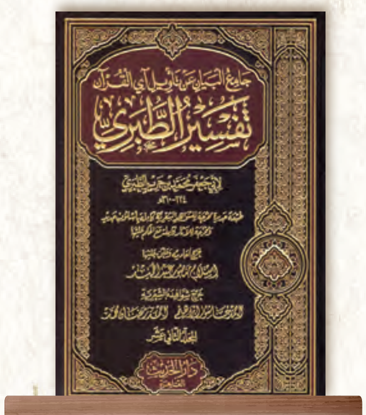
أوّلهما: أنّ الإعطاءَ المنهيَّ عنه هو الإعطاءُ المادّيُّ الدّنيويُّ بحسبِ تصريحِ القُرطبيِّ، والآخرُ أنّ ذلك الإعطاءَ منهيٌّ عنه في حالِ أنّه لطلبِ الاستكثارِ من مثلِه من أمورِ الدّنيا، فهو في عمومِه نهيٌ عن طلبِ الاستكثارِ من أمورِ الدّنيَا الفانيةِ ممّا لا يليقُ به عليه الصّلاةُ والسّلامُ. ولا بدَّ من بيانِ أنّ ذلك النّهيَ خاصّ بالنّبيّ عليه الصّلاةُ والسّلامُ؛ يقولُ الزّجّاجُ في معنى الآيةِ وخصوصيّتِها: «أي لا تعطِ شيئًا مُقدّرًا أن تأخذَ بدلَه ما هو أكثرُ منه. و(تستكثر) حال مُتوقّعةٌ، وهذا للنّبيِّ- صلّى



الله عليه وسلّم- خاصّةً، وليس على الإنسان إثمٌ أن يُهديَ هديَّةً يرجُو بها ما هو أكثرُ منها، والنّبيُّ- صلّى الله عليه وسلّم- أدَّبه الله بأشرف الآدابِ وأجلِّ الأخلاقِ» . ويُؤكِّدُ الماتريديُّ ذلك التّخصيصَ، ويميلُ إلى توسيعِ المعنَى بناءً على قولِ القُرطبيِّ الآنفِ: «فكأنّه أمرَ بأن تكونَ عطاياهُ لله، لا لارتقابِ ثوابٍ منَ الخلقِ عليها". فيقيّدُ النّهيَ وينفِي إطلاقَهُ؛ إذِ الإعطاءُ المنهيُّ عنه هو الذي يكونُ ابتغاءَ أجرٍ دنيويٍّ، أمّا إن كان ابتغاءَ ثوابِ الآخرةِ فمباحٌ؛ يقولُ: "فهو للنّبيّ خاصّةً، يقول: لا تعْطِه لتُعطَى أكثرَ منه ابتغاءَ الثّوابِ في الدّنيا، ولكنْ أَعطِ ابتغاءَ ثوابِ الآخرةِ" . كأنّه قيلَ: لا تعطِ شيئًا لتُعطَى أكبرَ منه إلاّ أَنْ يكونَ ابتغاءَ ثوابِ الآخرةِ.

وثمّةَ وجهٌ آخرُ لتأويلِ الآيةِ مالَ إليه الطّبريُّ، وهو أنّه أبقَى الفعلَ (مَنَّ) على دلالتِه المعروفةِ على التّفضّلِ وذكرِ العطاءِ وأن تعتقدَ على المُعطَى مَنًّا وتحسبَه عليه، ورجّح هذا الوجْهَ وسوّغَ ترجيحَه بقوله: «وأولى هذه الأقوالِ عندِي بالصّوابِ في ذلك قولُ من قال: معنَى ذلك: (ولا تمنُن على ربّك من أن تستكثرَ عملَك الصّالحَ). وإنّما قلتُ: ذلك أولى بالصّوابِ؛ لأنَّ ذلك في سياقِ آياتٍ تقدّمَ فيهنّ أمرُ الله نبيَّه - صلّى الله عليه وسلّم- بالجِدّ في الدّعاءِ إليه، والصّبرِ على ما يلقَى منَ الأذَى فيه، فهذه بأن تكونَ من أنواعِ تلك، أشبَهُ منها بأن تكونَ من غيرِها.

وذكرَ عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ أنّ ذلك في قراءتِه: «ولا تمنن أن تستكثر» . وهذا ما ذكرَه قبلاً مجاهدٌ والحسنُ: تأويلُه: لا تستكثر عملَك، فتمُنَّ به على ربّك. على التّقديمِ والتّأخيرِ. فإن كان التّأويلُ هذا، فالمرادُ منَ الخطابِ غيرُ رسولِ اللّه صلّى الله عليه وسلّم، وإن كان هو المذكورَ في الخطابِ؛ إذ لا يُتوهَّمُ أن يكونَ



رسولُ اللّه صلّى الله عليه وسلّم يمنُّ على ربِّه، ولا أن يستكثرَ عملَه لله تعالى؛ لأنَّ هذا النّوعَ منَ الصّنيعِ لا يفعلُه واحدٌ منَ العوامِّ الذي خُصَّ بأدنَى خيرٍ؛ فكيف يُتوهَّمُ على رسول اللّه صلّى الله عليه وسلّم؟! ولأنَّ الامتنانَ على اللّه تعالى من فعلِ المنافقين؛ قال اللّه تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ﴾ [الحجرات:17]. ويجوزُ أن يكونَ الخطابُ له، وإن كان هو معصومًا من ذلك؛ لقوله: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ﴾ [القصص:88]، ونحوِه، وهذا كما ذكرنا أنَّ العصمةَ لا تمنعُ وقوعَ النّهي؛ إذِ العصمةُ لا يُنتفعُ بها إلاّ مع ثباتِ النّهي، فإذا لم يكنْ فلا فائدةَ في العصمةِ" . فهذا الوجهُ منَ التّأويلِ فيه النّهيُ عنِ الاستكثارِ المُفضِي إلى المَنّ، وهو نهيٌ عنِ المَنِّ المتحصّلِ منَ الاستكثارِ.

خاتمةٌ ومناقشةٌ

رأينا كيف تعدّدتْ وجوهُ تأويلِ الآيةِ حتى صارت أحدَ عشرَ وجْهًا، وقال القُرطبيّ إنّها كلَّها مرادةٌ. ثمّ رأينا أنّ وجهَيْن من تلك الوجوهِ رَجَحا على غيرِهما، وهما:

❋ لا تُعطِ شيئًا من أمورِ الدّنيا لتُعطَى أكبرَ منه إلاّ أَنْ يكون ابتغاءَ ثوابِ الآخرةِ.

❋ لا تمنُنْ على ربِّك من أن تستكثرَ عملَك الصَّالحَ.

وكلاهما يحضُّ على فعلِ العملِ الصّالحِ ذي الثّمرةِ الأخرويّةِ والاستكثارِ منه، غيرَ أنّ الأولَ يقيّدُ الإعطاءَ بعلّةِ الاستكثارِ منَ الأجر، والآخرُ يَنهى عن أَنْ يؤدِّيَ الاستكثارُ

منَ العملِ الصّالحِ إلى الامتنانِ والتّفضّلِ على الله سبحانه، والأوّلُ جعلَ الفعلَ (منّ) بمعنى أعطَى فحادَ عنِ المعنَى المتبادرِ هربًا منَ القولِ بامتنانِ النّبيّ- عليه الصّلاةُ والسّلامُ - على ربّه وأنّه معصومٌ من ذلك، والآخرُ أبقَى على معناه المتبادرِ، وسوّغَ له بأنّ العصمةَ لا يُنتفعُ بها إلاّ مع ثباتِ النّهيِ، وأنّ ذلك أليقُ بالسّياقِ، ففي الآياتِ المرافقةِ أمرَ الله نبيَّه- صلّى الله عليه وسلّم- بالجِدّ في الدّعاءِ إليه، والصّبرِ على ما يلقَى منَ الأذى فيه، وفيها دعوةٌ إلى التّطهّرِ المادّي والمعنويِّ، وهجْرِ أعمالِ الرِّجزِ، وهنا نهاه عنِ المنِّ الذي يُورثُه الاستكثارُ منَ الأعمال، وتجبُ الإشارةُ إلى أنَّ الآياتِ نزلتْ في بدايةِ الدّعوةِ، فهي صنعٌ للنّبوةِ وتأديبٌ وتهذيبٌ، ونشيرُ أيضًا إلى أنّ النّهيَ عنِ الشّيء لا يَعني أنّه وقعَ أو سيقعُ، لكنْ للتّعليمِ والصُّنعِ كما ذكرنا، ثمّ ألم ينْهَه الله سبحانه عن أكبرَ من ذلك؟ فقال: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [القصص:88]، فهل هذا يعني أنّه عليه الصّلاةُ والسّلامُ كان يدعُو إلهًا آخر؟!، أو ذلك من بابِ الكنايةِ كما ذكرَ ابنُ عاشورٍ في قوله: "مناسبةُ عطفِ ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ على الأمر بهجْرِ الرّجزِ أنّ المنّ في العطيّةِ كثيرٌ من خُلقِ أهلِ الشّركِ، فلمّا أمرَه الله بهجْرِ الرّجزِ نهاه عن أخلاقِ أهلِ الرّجزِ نهيًا يقتضِي الأمرَ بالصّدقةِ والإكثارِ منها بطريقِ الكنايةِ، فكأنّه قال: (وتصدّقْ وأكثرْ منَ الصّدقةِ ولا تمنُن)، أي لا تعدَّ ما أعطيتَه كثيرًا فتُمسكَ عنِ الازديادِ فيه، أو تتطرّقَ إليك ندامةٌ على ما أعطيتَ».

والوجهُ الذي ليس فيه الإشكالانِ السّابقانِ: الميلُ إلى أنّ (تمنن) بمعنى (تُعطي)، وأنّ المنّ على الله سبحانه لا يصحُّ أن يُقال بحقِّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: هو الذّهابُ إلى أنّ مُتعلّقَ الفعلِ (تمنُن) ليس هو الله سبحانه، بلِ النّاسُ؛ أي (لا تمنُن على النّاس)؛ يقول السّعديّ في ذلك: "لا تمنُن على النّاسِ بما أسدَيْتَ إليهم منَ النّعمِ الدّينيّةِ والدُّنيويّةِ، فتتكثّرُ بتلك المنّةِ، وترى لك الفضلَ عليهم بإحسانِك المنّةِ، بل أحسنْ إلى النّاسِ مهما أمكنَك، وانسَ عندَهم إحسانَك، ولا تطلب أجرَه إلاّ منَ الله تعالى، واجعلْ من أحسنتَ إليه وغيرَه على حدٍّ سواء" . وهذا الوجهُ ذكرَه القُرطبيُّ بتفريعاتٍ كما قد سلفَ.

وأخيرًا: نميلُ إلى أنّ المعنَى هو كلُّ ما ذُكر ما دام ذلك لا يتناقضُ ولا ينقضُ أصلاً شرعيًّا، وهذا هو مُفادُ الإطلاقِ في الفعلَيْن وتعدّدِ القراءاتِ ووجوهِ الإعـرابِ، وهو ينسجمُ وطبيعةَ النّصِّ القرآنيِّ المبنيِّ على الثّراءِ وتعدُّدِ التّأويلاتِ وقَبولِ الاحتمالاتِ؛ لأنّه نصٌّ منفتحٌ جعلَ من مقاصدِه بناءَ المعارفِ وإعمالَ العقل، مع الذّهابِ إلى وجوبِ الميلِ إلى المتبادرِ، بمعنى أنّه نهيٌ عن منٍّ مُطلقٍ: على الله أو على النّاس، وارتبطَ باستكثارٍ مُطلقٍ من أمورِ الدّين والدّنيا، وذلك أنسبُ للسّياقِ والحديثِ عن صُنعِ النّبوةِ برعايةٍ إلهيّةٍ، والله أعلَى وأعلمُ. وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربّ العالمين.

البحر المحيط (في التفسير)، لأبي حيان الأندلسي. بعناية: صدقي محمد جميل العطار وآخرين، دار الفكر، بيروت 1420هـ/ 2000م. 10/326.

المصدرنفسه، 10/327.

يُنظر: الكشاف، للزمخشري. ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد، ط3 دار الكتاب العربي، بيروت 1407هـ/ 1987م. 4/646. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للرازي. ط3 دار إحياء التراث العربي، بيروت 1420هـ. 30/700.

معاني القرآن، للأخفش. تح: هدى محمود قراعة، ط1 مكتبة الخانجي، القاهرة 1411هـ/ 1990م. 2/555.

الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي. تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط2 دار الكتب المصرية، القاهرة 1384هـ/ 1964م. 19/67-68.

المصدرنفسه، 19/68.

تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان. تح: عبد الله محمود شحاته، ط1 دار إحياء التراث، بيروت 1423هـ. 4/490.

الجامع لعلوم الإمام أحمد، لخالد الرباط وسيد عزت عيد. ط1 دار الفلاح، مصر 1430هـ/ 2009م. 13/512.

الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي. تح: أبو محمد بن عاشور، ط1 دار إحياء التراث العربي، بيروت 1422هـ/ 2002م. 10/70.

معاني القرآن وإعرابه، للزجّاج. تح: عبد الجليل عبده شلبي،ط1 عالم الكتب، بيروت 1408هـ/ 1988م. 5/246.

تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، للماتريدي. تح: مجدي باسلوم، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت 1426هـ/ 2005م. 8/280.

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري. تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1 دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة 1422هـ/ 2001م. 23/416.

المصدر نفسه، 10/302.

التحرير والتنوير، لابن عاشور. الدار التونسية للنشر، تونس 1984هـ. 29/298.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن السعدي. تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1 مؤسسة الرسالة 1420هـ/ 2000م. ص:895.



النَّظْمِيَّةُ والتَّلَازُمِيَّةُ فِي الإعْجَازِ القُرْآنيِّ



مصطفى العناني
كاتب وناقد- مصر

إنَّ الإعْجَازَ في القرآنِ الكريمِ لا يمكنُ حصْرُ مَداه وقصرُ محتواه؛ وذلك لأنَّه ليس مُعجزًا فقط لأهلِ عصرٍ واحدٍ بمدًى علميٍّ واحدٍ، إنّما هُوَ مُعجزٌ لكلِّ العصورِ بكافّةِ المعارفِ والعلومِ سواء ما توصَّلَ إِلَيْها النّاسُ أوِ التي لم يتوصّلُوا إِلَيْها بعدُ، ولذلك فَإِنَّهُ كلَّما ازدادتِ المعارفُ العلميَّةُ والنّقديَّةُ؛ ازْدادَ مَبْحَثُ الإعجازِ تَشعيبًا ، وإنَّ بيانَ الإعجازِ منَ النّاحيَةِ الدّلاليَّةِ التّعبيريَّةِ هُوَ الأَولى بالتّبْيين؛ فهي أوّلُ ما سحرتْ عقولَ العرب وآذانَهم، وفي النّظميَّةِ والتّلازُميَّةِ التي ذُكِرتْ باصطلاحِها وتعريفِها في مقدّمةِ ديوانِ (أتينا) لأبي الحُسنى توضيحٌ يسيرٌ لهذا البابِ.

وجبَ على المسلمين عمومًا وأهلِ العربيَّة خصوصًا بيانُ الإعجازِ منَ النّواحي التي استطعْنا بمنتهَى علمِنا فهمَها، وهذا البيانُ لا يكونُ مجرَّدَ مدحٍ وفخرٍ، إنّما هو علمٌ وفهمٌ؛ فإنّ إبانةَ الإعجازِ في القرآنِ منَ النّاحيةِ العلميّةِ والنّقديَّةِ يُغنينًا عنِ المجاملاتِ والمفاخراتِ.

يَصبُّ معظمُ جوانبِ الإعجازِ التّعبيريِّ في أيِّ نصٍّ شِعريًّا كان أو نثريًّا في ناحيتَين بقيتا محلَّ إشكالٍ عند أهلِ النّقدِ واللّغةِ في الغابرِ والحاضرِ، ألَا وهما اللّفظُ والمعنى، وقضيَّةُ اللّفظِ والمعنى تُعدّ الرّكيزةَ التي تقومُ عليها نظريَّةُ النّظميَّةِ والتّلازُميَّةِ، فهناك من ناصرَ الشّقَّ المعنويَّ، وهناك من ناصرَ الشّقَّ اللّفظيَّ، وهناك من واءَم بين الشِّقَّين، وفي الحقيقةِ إنَّ العلاقةَ بين اللّفظِ والمعنَى علاقةُ تلازُمٍ وتواؤُمٍ، فلا يمكنُ الفصلُ بينهما أو دراسةُ إحداهما بمعزلٍ عنِ الآخر، فإنَّ اللّفظَ الهيكلُ الذي سيظهرُ فيه المعنى، فإن كان الهيكل مُشوَّهًا أو مَشينًا وصلَ إلى الـمُستمعين بصورةٍ مُشوَّهةٍ، يقول ابنُ طَباطَبا (ت ٣٢٢ هـ): «وللمعاني ألفاظٌ تُشاكلُها، فتحسنُ فيها، وتقبحُ في غيرها، فهي لها

> **يُعدُّ التَّضْمينُ أحدَ الأساليبِ البَليغةِ في الخطابِ القُرآنيّ المُعْجز؛ فقدْ تَناولَهُ العلماءُ القدماءُ والمُحْدثون وأشاروا إلى وَظيفتِهِ البيانيّةِ، وأهمّيتِه في تَوْسيعِ الدّلالةِ وإحْكامِ النَّظْمِ**

كالمعرضِ للجاريةِ الحسناءِ التي تزدادُ حسنًا في بعضِ المعارضِ دون بعضٍ، وكم من معنًى حسنٍ قد شِينَ بمعرضِه الذي أبرزَ فيه، وكم معرضٍ حسنٍ قد ابتذلَ على معنًى قبيحٍ ألبسَه، وكم من جوهرةٍ نفيسةٍ قد شِينت بقرينةٍ لها بعيدةٍ منها فأُفرِدت عن أخواتها المشكلاتِ لها، وكم من حكمةٍ غريبةٍ قدِ ازدُريَت لرثاثةِ كسوتِها، ولو جُلّيت في غير لباسِها ذلك لكثرةِ المشيرين إليها»(١). ويقول ابنُ رشيقِ القيروانيُّ (ت ٤٦٣ هـ): "اللّفظُ جسمٌ روحُه المعنى، وارتباطُه به كارتباطِ الرّوحِ بالجسمِ، يضعفُ بضَعفِه، ويقوَى بقوَّته، فإذا سلمَ المعنَى واختلَّ بعضُ اللّفظ كان نقصًا للشّعرِ وهجنةً عليهما يعرضُ لبعض الأجسامِ منَ العرجِ والشّللِ والعَوَرِ، وما أشبَه ذلك ، من غير أن تذهبَ الرّوحُ، وكذلك إن ضعُفَ المعنَى واختلَّ بعضُه، كان للّفظِ من ذلك أوفرُ حظٍّ، كالذي كان يعرضُ للأجسامِ منَ المرض بمرضِ الأرواحِ، ولا تجدُ معنًى يختلُّ إلاَّ من جهة اللّفظِ وجرْيِه فيه على غير الواجبِ قياسًا على ما قدّمت من أدواء الجسومِ والأرواحِ، فإنِ اختلَّ المعنى كلُّه وفسدَ بقيَ اللّفظُ مواتًا لا فائدةَ فيه، وإن كان حسنَ الطّلاوةِ في السّمعِ، كما أنَّ الميّتَ لم ينقصْ من شخصِه شيءٌ في رأيِ العينِ، إلاّ أنَّه لا يُنتفعُ به ، ولا يفيدُ فائدةً، وكذلك إنِ اختلَّ اللّفظُ جملةً وتلاشَى لم يصحَّ له معنًى؛ لأنّا لا نجدُ روحًا في غير جسم»(٢).

أمّا اللّفظُ بالنّسبةِ إلَيْنا فيتمثّلُ في النّظمِ الدّلاليِّ والنّظمِ الموسيقيِّ، وليس بالضّرورةِ أن يكونَ النّظمُ الموسيقيُّ أوزانَ النّصِّ العروضيَّةَ التي لَزمت كلَّ الأساليبِ، إنَّما يَكمُنان في إتيانِ نظْمٍ سهلٍ على المسامعِ ذي نَغمةٍ ولفظةٍ تلفتُ أسماعَ المتلقّي وذِهنَه، أمّا المعنَى فيتمثَّلُ عندنا في الفكرةِ المرادةِ والصّورةِ الدّالَّة عليها، وهذا ما اتَّجه إليه تقريبًا ابنُ قتيبةَ (ت ٢٧٦ هـ) في كتابِه (الشّعرُ والشّعراءُ) من خلال تقسيمِه للشّعرِ من حيثُ الجوْدةُ إلى أربعةِ ضُروبٍ تَتمحْورُ حول الجوْدةِ في المعنَى، والجودةِ في اللّفظ ،أو واحدةٍ دون الأخرى أو نصٍّ افتقرَ إلى كِلَيْهما، فإنّ ابنَ قتيبةَ من خلال تقسيماته تلك ينظرُ إلى اللّفْظِ على أنّه النّظمُ ومدَى سهولةِ الألفاظِ على المسامعِ من خلال النّظرِ إلى قوله: "وضربٌ منه حسُنَ لفظُه وحلاَ، فإذا أنت فتَّشتَه لم تجدْ هناك فائدةً في المعنَى، كقولِ القائلِ:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مِنًى كُلَّ حَاجَةٍ
وَمَسَّحَ بِالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ
وشُدَّت على حُدْبِ المَهارِي رِحالُنا
ولم يَنْظُرِ الغَادِي الذي هُوَ رَائِحُ
أَخَذْنَا بِأَطْرافِ الأَحَادِيثِ بَيْنَنَا
وسَالَتْ بِأَعْنَاقِ المَطِيِّ الأَبَاطِحُ (٣)

وهذه الألفاظُ كما ترَى أحسنُ شيءٍ مخارجَ ومطالعَ ومقاطعَ، وإن نظرتَ إلى ما تحتَها منَ المعنى وجدتَه: ولَمَّا قطعْنا أيَّام مِنًى، واستلمْنا الأركانَ، وعالينا إبلَنا الأنضاء، ومضى النّاسُ لاينتظرُ الغادي



الرّائحَ، ابتدأنَا في الحديثِ، وسارتِ المطيُّ في الأبْطَحِ". والمعنَى عند ابنِ قتيبةَ هي الفكرةُ وإن كان قد حصرَها في المدلولِ الأخلاقيّ فقال: «وضربٌ منه جادَ معناه وقصُرتْ ألفاظُه عنه، كقولِ لَبيدِ بنِ ربيعةَ:»

ما عـاتَـبَ الحُـرَّ الكَريمَ كَنَفسِهِ
وَالمَـرْءُ يُصْلِحُهُ الجَليسُ الصالِحُ»(٤)،
هـذا وإن كـان جيِّدَ المعنَى والسّبك فإنّه قليلُ الماء والـرَّونـق»(٥).

نَستنتجُ من كلِّ ذلك أنَّ اللّفظ يُمثِّلُه النَّظمُ الدَّلاليُّ والموسيقيُّ، وأنَّ المعنَى تُمثِّلُه الفكرةُ المرادةُ والصّورةُ الدّالَّةُ، وأنَّ نظريَّةَ النّظميَّةِ والتّلازميَّةِ تقومُ على هذينِ الأساسين، ويُعرِّف أبو الحُسنى (٦) في مقدّمة ديوانِ (أتينا)(٧) النّظميَّةَ قائلاً: فالنّظميَّةُ تقوم على تجريدِ اللّفظ منَ الفكرةِ والعاطفةِ؛ فإن غلبتِ النّظميَّةُ على الأسلوبِ أتى بلفظٍ لا يستوعبُ الفكرةَ والعاطفةَ المقصودتَين فيأتي الأسلوبُ غيرَ معبّرٍ أو غيرَ مفهومٍ أو أكثرَ غموضًا، أو يأتي اللّفظُ بتركيبٍ ضعيفٍ كنظْمٍ ركيكٍ. ويُعرِّفُ التّلازميَّة بقوله: أمَّا التّلازميَّة فهي مدَى تلازُمِ وتواؤُمِ اللّفظِ مع الفكرةِ والعاطفةِ المقصودتَين،



فمتى سادتِ التّلازميّةُ على الأسلوبِ أتى اللَّفظُ مُحتضنًا للمرادِ احتضانًا تامًّا نسبيًّا؛ فتجدُ اللّفظَ يحملُ نفسَ العاطفةِ ويُعبِّرُ عن نفسِ الفكرةِ، وتجدُ الصُّوَرَ فيه دالَّةً عليها بدقَّةٍ؛ وبهذين يُعطِي نصَّ النّظريَّة قائلاً: فكلَّما قلَّتِ النّظميَّةُ وزادتِ التّلازميَّةُ؛ جاءَتِ الأسلوبيَّةُ التّعبيريَّةُ في أبهَى صُورِها، وفي الحقيقةِ لا يوجدُ نصٌّ بشريٌّ: شعريًّا كان أو نثريًّا سقطَت فيه النّظميَّةُ كلُّها وتمَّت فيه التّلازميَّةُ تمامًا؛ لوجودِ اعتباراتٍ عروضيَّةٍ وأولويَّاتٍ في القوافي والرّويِّ فوق ما يملكُ المؤلِّفُ من أفكارٍ وألفاظٍ، ثمّ يتبعُ ذلك قائلاً: وهذا ما جعلَ القرءانَ الكريمَ ينالُ المرتبةَ الإعجازيَّةَ منَ النّاحِيَةِ التّعبيريَّةِ؛ فبلغتْ فيه النّظميَّةُ صفرًا ووصلت فيه التّلازميَّةُ أوْجَها، وهذا ما وعتْه آذانُ العربِ قديمًا، فكانوا على ثقةٍ كاملةٍ بأنَّه ليس بكلام بشرٍ؛ فأصمَّ الآذانَ وأكتمَ الأفواه، بأنَّه ليس له نظيرٌ سِواهُ(٨)

جاء اللّفظُ في القرآنِ مُعبِّرًا تعبيرًا تامًّا عنِ المعنَى المقصودِ، ونرى هذا في الفارقِ في استخدامِ اللّفظةِ الواحدةِ في عدّةِ مواضعَ مع اختلافِ أحوالِها للتّفريق بين حالَين؛ فمثلاً أتتْ كلمةُ "فرحين" في القرآنِ الكريم بموضعين في كليْهما فرحٌ بالنّعمةِ والفضلِ إلّا أنَّ كلًّا منهما مرتبطٌ بمعنى نقيضٍ للآخر، الأوّلُ: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا



خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٩) والفرحُ هنا فرحٌ بالنّعمةِ مع اليقينِ الكاملِ أنّها من عندِ الله وحدَه هو من يمنحُها وهو من يمنعُها ويذكرُ فضلَ الله فرحًا برزقِه حامدًا ربَّه عليها، مُوقنًا أنّه قاصرٌ وَلَيْسَ بقادرٍ، والثّاني : ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ (١٠) والفرحُ هنا فرحٌ بنعمةٍ هي الأخرى لكنَّ صاحبَها فرحَ بالنّعمةِ واعتقد أنّها بيدَيْه وأنّه قادرٌ عليها هو من أتاها بعلْمِه وعملِه دون ذكرِ فضلِ الله وحمدِه، وجاءت في الأسلوبَين كلمةُ فرحِين ولم تأت في ثانيهما مختالين مثلًا، وكأنَّ الله سبحانه وتعالى يعقدُ مقارنةً بين الفرحِ بالنِّعمة ليكونَ بين شُكرانٍ وكفرانٍ، شُكرانِ ربّها فيبارَكُ فيها وفي صاحبِها وكفرانِ ربّها فيهلكُ هو ونعمتُه، وجاءت ألفاظٌ مختلفةٌ في أساليبَ متشابهةٍ لاختلاف المعنَى من حيثُ التّوقيتُ أوِ الدّلالةُ، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١١) ويقول جلَّ جلالُه في موضعٍ آخرَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (١٢) فاستخدمَ الله سبحانه وتعالى الفعلَ حضرَ مرّةً والفعلَ جاء مرّةً أخرى في نفس الأسلوبِ مع اختلافِ السّياق والميقاتِ فالفعلُ حضَرَ بمعنى شَهِد ووُجِد ونزلَ، أمّا جاء فبمعنى حدثَ بالفعل، فأتى في سياقِ حضرَ أي احتضرَ المتحدَّثُ عنه أي لم يمتْ بعدُ ويُؤكِّدُ ذلك سياقُ ما بعدَه فلازال المُتحدَّثُ عنه حيًّا لكنّه يحتضرُ، أمَّا جاء أي بالفعلِ قد حدثَ الموتُ فيأتي السّياقُ بعدَه مؤكِّدًا ذلك فيكونُ الحديثُ بعدَه عن أمورِ ما بعدَ الموتِ، والصّورُ في كتابِ الله دالَّةٌ دلالةً لا يشوبُ بيانَها ضعفٌ أو خللٌ تبيِّنُ الفكرةَ تبْيينًا، فيقولُ الله جلَّ في علاه: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ (١٣) فالصّورة هنا جاءت في أبسطِ وأبلغِ صُورِها وهي التّشبيهُ البليغُ في قوله تعالى:﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ﴾ فشبّه الله سبحانه وتعالى المشركين بوقود النارِ، وتنبعُ بلاغتها في مدَى إيصالِ كافّةِ مفاهيمِ التّهديدِ والوعيدِ المرادةِ منَ الصُّورة؛ وما هذه الأمثلةُ إلّا غيضٌ من فيضٍ تمَّت فيها التّلازميَّةُ تمامًا، وانمحت منها النّظميَّةُ كليًّا.

كما جاءتِ الألفاظُ في كتابِ الله في صُورةٍ موسيقيَّةٍ ذاتِ وقعٍ فريدٍ على المسامعِ من خلالِ المدودِ والتّفاعيلِ جميلةِ المطلعِ فريدةِ المَقفلِ، ولنا فيها مقالاتٌ كثيرةٌ وهامَّةٌ أسألُ الله أن يوفّقنا في ترتيبِها ونشرِها، والحمدلله...

الهوامش والمراجع:

١) محمد بن أحمد العلوي بن طباطبا «عيار الشعر» تحقيق :الدكتور طه الحاجري والدكتور محمد زغلول سلام ، المكتبة التجارية الكبرى القاهرة 1956،م، ص،80 . 83.

٢) ابن رشيق" العمدة" تحقيق : محمد قرقزان ، دار المعرفة بيروت ،ط1 1988،م، ج1 ، ص٢٥٢.

٣) ملحق ديوان كثير عزة " تحقيق : إحسان عباس دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 1971م، ص.525.

٤) " ديوان لبيد بن ربيعة" دار صادر، بيروت ،ص.224.

٥) ابن قتيبة " الشعر والشعراء" ص ٦٤. ٦٦.

٦) أبو الحسنى، مصطفى بن أيمن العناني العمري، شاعر وناقد مصري عدوي قرشي.

٧) ديوان أتينا، ديوان شعري صادر عن صاحبه عام ١٤٤٦ هـ / ٢٠٢٤ م ذو جودة عالية منظوم بالفصحى على مطية القدامى.

٨) مقدمة ديوان أتينا، ص٥.

٩) سورة آل عمران : ١٧٠

١٠) سورة القصص : ٧٦

١١) سورة النساء : ١٨

١٢) سورة المؤمنين : ٩٩ ، ١٠٠

١٣) سورة البقرة : ٢٤

* اسْتُعين ببعض المعاجم العربية في هذا المقال:
– المعجم الغني
– معجم اللغة المعاصرة
– المعجم الوسيط
– المعجم المحيط

* ذُكرَ بعض الأمثلة القرآنيّة القليلة واليسيرة للنظرية في المقال وقد تُؤَلَّفُ رسالة كاملة إن شاء الله تحت عنوان: "نظريّة النّظميّة والتّلازميّة" وتُفنَّدُ فيها الأمثلةُ تَفْنيدًا منهجيًّا وعلميًّا ونقديًّا.


سُورَةُ غَافِر
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
حم ١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنبِ
وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ
الْمَصِيرُ ٣ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ
تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ٤ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ
مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ
وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ
كَانَ عِقَابِ ٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ٦ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ
وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ
لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ٧

الدَّلَالَةُ التّركِيبِيّةُ لكِلمَةِ (اليومَ)

الظّرْفِ الزّمَانيِّ في (سُورَةُ غَافِر)



أ.د. بكري محمد الحاج
رئيس مجمع اللغة العربية بالخرطوم

الزّمنُ له أثرٌ فيمَا يجري في الدُّنيا بأمرِ الله تعالى، وهو الذي عبَّرَ عنه القرآنُ الكريمُ في عددٍ منَ الآياتِ، في العباداتِ والمعاملاتِ، وفي قيامِ السّاعةِ، وملاقاةِ النّاسِ اللهَ للحسابِ، وقد تنوّعتِ الصّيغُ الدّالةُ عليه طولاً وقصرًا، وجاءتْ ألفاظُه داخلةً في تكوينِ جُملٍ مجسِّدةٍ للرّسالةِ اللّغويّةِ إلى المخاطَبين، محكومةً بالسّياقِ، ومُتجاوبةً معه.

وقدِ اختارَ الباحثُ كلمةَ (اليومَ) الدّالّةَ على الظّرفيّةِ الزّمانيّةِ موضوعًا لهذه الورقةِ، من خلالِ (سُورةِ غافر)، لدراسةِ الجملةِ في الآياتِ التي وردت فيها هذه اللّفظةُ، وذلك في ستَّ عشرةَ من آياتِها، دراسةً تركيبيّةً دلاليّةً، انطلاقًا من أنماطِ الجملةِ العربيّةِ، ومكوّناتِها البنائيّةِ.

وتأتي أهمّيةُ البحثِ من حيث إنّه يرصدُ الصِّيغَ الصّرفيّةَ المرتبطةَ بكلمةِ (اليوم)، والصُّورَ التي أتت عليها معرفةً أو نكرةً، مفردةً أو مركّبةً، مُتجاوبةً مع متطلّباتِ الدّلالةِ التي يحكمُها السّياقُ في عيّنةِ البحثِ التي عبَّرت عنِ الزّمنِ، ويهدفُ البحثُ من خلال مدوّنتِه إلى إيقافِ القارئِ على المضامين التي أراد القرآنُ الكريمُ تضمينَها رسالةَ المولى سبحانه وتعالى إلى عبادِه، مُذكِّرًا بأهمّيةِ الزّمنِ في الحياة الدُّنيا، حيث الغرسُ والكسبُ، وفي الآخرة حيث الجزاءُ، ويَفترضُ البحثُ أنَّ الجملةَ بعناصرِها البنائيّةِ، وأنماطِها، ومُستوياتِها، مكَّنتْ من تجسيدِ الرّسالةِ الرّبّانيةِ، وعكست أهمّيةَ الزّمنِ.

وتتمُّ الدّراسةُ في محورَين للبحثِ: أحدُهما نظريٌّ، والآخرُ تطبيقيٌّ، بناءً على المنهجِ الوصْفيِّ القائمِ على التَّتَبُّعِ والاستقراءِ والتّحليلِ، ووَفْق نموذجِ الإسنادِ عندَ سِيبويه، وذلك على التّرتيبِ الآتي:

2 - المحورُ الأوّلُ: الإطارُ النّظريُّ للدّراسةِ

يَعرضُ هذا المحورُ بيانَ أهمّيةِ الزّمنِ في مسيرةِ الحياةِ، وإيرادَ إضاءةٍ مختصرةٍ عن سورةِ غافر



ميدانِ الدّراسة، فضلاً عن توضيحِ نموذجِ الإسنادِ عند سِيبويه، الذي سيَعتمدُ عليه البحثُ في الجانبِ التّطبيقيّ، ويتناولُ الباحثُ هذه الجوانبَ على التّرتيبِ الآتي:

1/2 . الزّمنُ وأهمّيتُه في القرآنِ الكريم:

جاء في لسانِ العرب: «الزَّمَنُ والزَّمانُ: اسْمٌ لِقَلِيلِ الْوَقْتِ وَكَثِيرِهِ، وَفي المُحْكَم: الزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ، وَالْجَمْعُ أَزْمُنٌ وأَزْمانٌ وأَزْمِنةٌ. وزَمَنٌ زامِنٌ: شَدِيدٌ»(1). والمعنى نفسُه في مختار الصِّحاحِ(2). وتناولَ أحدُ الباحثين وحداتِ الزّمنِ في القرآنِ الكريمِ، بَدءاً بالحقبِ، فالسّنةِ، والشّهرِ، وصولاً إلى اليوم، فالسّاعةِ، وانتهاءً بلمْح البصرِ، وأَورد بعضَ الآياتِ التي جاءت في القرآن الكريم مذكورةً فيها هذه الألفاظُ(3) وذكر أنّه «جاءت مفردةُ (يوم) في القرآن الحكيم ـ بين نكرةٍ ومعرفةٍ – ثلاثمائة واثنتين وخمسين مرّةً، ولفظةُ (يوماً) سِتَّ عَشْرَةَ مرَّةً، ولفظةُ (يومكم) خمسَ مرّات، ولفظةُ (يومهم) خمسَ مرّات أيضاً، ولفظةُ (يومين) ثلاثَ مرّات، ولفظةُ (أيّام) ثلاثًا وعشرين مرّة، ولفظةُ (أيّاماً) أربعَ مرّات، ولفظةُ (يومئذ) سبعين مرّة»(4).

2/2 ميدانُ الدّراسة: (سورة غافر):

وهي «مكّيةٌ، وتسمّى سورةَ الطول، وسورةَ المؤمن، وهي خمسٌ وثمانون آية، وألفٌ ومائةٌ وتسعٌ وتسعون كلمةً ، وأربعةُ آلاف وتسعمائة وستّون حرفًا»(5)، وهي من الحواميم، روى أنسٌ عنِ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم أنّه قال: «الحواميمُ ديباجُ القرآن»،

يَعرضُ المحورُ الأوّل بيانَ أهمّيةِ الزّمنِ في مسيرةِ الحياةِ، وإيرادَ إضاءةٍ مختصرةٍ عن سورةِ غافر ميدانِ الدّراسة

إنَّ الجملةَ العربيّةَ تأتي منقسمةً إلى نوعَين رئيسَين هما: الجملةُ الاسميّةُ، والجملةُ الفعليّةُ، وإنَّ العناصرَ البنائيّةَ المؤلّفةَ لهذين النّمطين لا بدَّ أن تخضعَ لضربٍ منَ التّرتيب تحكمُه قوانينُ النّحوِ العربيِّ.

جاء في لسانِ العرب: «الزَّمَنُ والزَّمانُ: اسْمٌ لِقَلِيلِ الوَقْتِ وَكَثِيرِهِ، وَفي المُحْكَم: الزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ، وَالجَمْعُ أَزْمُنٌ وأَزْمانٌ وأَزْمِنةٌ. وزَمَنٌ زامِنٌ: شَدِيدٌ»

ومعنى هذه العبارة: أنّها خلت منَ الأحكام، وقصرتْ على المواعظِ والزّجرِ وطرقِ الآخرة محضًا(6). ويقول الآلوسي: «ووجْهُ مناسبةِ أوّلِها لآخرِ الزّمر أنّه تعالى لمّا ذكرَ سبحانه هناك ما يؤولُ إليه حالُ الكافرِ وحالُ المؤمنِ، ذكرَ جلّ وعلا هنا أنّه تعالى غافرُ الذّنب وقابلُ التّوب؛ ليكونَ ذلك استدعاءً للكافرِ إلى الإيمانِ والإقلاعِ عمّا هو فيه، وبيْن السّورتين أنفسِهما أوجهٌ منَ المناسبةِ، ويكفي فيها أنّه ذُكرَ في كلٍّ من أحوالِ يومِ القيامة وأحوال الكفرةِ فيه وهم في المحشرِ وفي النّار ما ذُكرَ، وقد فُصّلَ في هذه من ذلك ما لم يُفصّلْ منه في تلك»(7)

يُعَدُّ التَّضْمينُ أحَدَ الأساليبِ البَليغةِ في الخِطابِ القُرآنيّ المُعْجز؛ فقدْ تَناولَهُ العلماءُ القدماءُ والمُحْدثون وأشاروا إلى وَظيفتِه البيانيّةِ، وأهمّيتِه في تَوْسيعِ الدّلالةِ وإحْكامِ النَّظْمِ.

2/3. النّموذجُ اللُّغويُّ التّحليليُّ:

يسيرُ البحثُ في تحليل المادّةِ المختارةِ من عيّنةِ البحث- كما ذُكر من قبلُ- على نموذجِ الإسنادِ عند سِيبويه، اعتمادًا على أنَّ محورَ الجملةِ في العربيّة هو حملُ الخبرِ إلى المخاطَبِ، وقد أوضحَ هذا الجرجانيُّ بقوله: «اعلم أنَّ معانيَ الكلام كلَّها معانٍ لا تُتصوّرُ إلّا فيما بين شيئين، والأصلُ والأوّلُ هو الخبرُ ...»(8). ويتّضحُ من هذا أنَّ الإخبارَ لا يتمُّ إلّا بتوافرِ طرفَين أساسيَّيْن: يتعلّقُ أحدُهما بالمخبَر عنه، والثّاني بالمخبَر به، وهذان الطّرفان هما ما عبَّر عنهما سِيبويه بالمسنَد إليه والمسنَد. يقول: «وهما ما لا يَستغني واحدٌ منهما عنِ الآخر، ولا يجدُ المتكلّم منه بُدًّا، فمن ذلك الاسمُ المبتدأ والمبنيُّ عليه، وهو قولُك: عبدُ الله أخوك وهذا أخوك. ومثلُ ذلك قولُك: يذهبُ زيدٌ، فلا بدّ للفعل منَ الاسم، كما لم يكن للاسم الأوّلِ بدٌّ منَ الآخر في الابتداء»(9) .

وبناءً على هذا يمكنُ القولُ: إنَّ الجملةَ العربيّةَ تأتي منقسمةً إلى نوعَين رئيسَين هما: الجملةُ الاسميّةُ، والجملةُ الفعليّةُ، وإنَّ العناصرَ البنائيّةَ المؤلّفةَ لهذين النّمَطين لا بدَّ أن تخضعَ لضربٍ منَ التّرتيب تحكمُه قوانينُ النّحوِ العربيِّ، وقد تناولَ نُحاةُ العربيّةِ التّرتيبَ الأصليّ لكلٍّ منَ الجملةِ الاسميّةِ، والجملةِ الفعليّةِ. يقول السّيوطيّ: "الأصلُ تقديمُ المبتدأِ وتأخيرُ الخبرِ؛ لأنَّ المبتدأَ محكومٌ عليه، فلا بدَّ من تقديمِه ليتحقّقَ، ويجوزُ تأخيرُه حيث لا مانعَ» (10). أمّا الجملةُ الفعليّةُ، فالأصلُ فيها أن يتقدّمَ الفعلُ على الفاعلِ، ويتقدّمَ الفاعلُ على المفعولِ به .

يقولُ ابنُ مالك:

وبعدَ فعلٍ فاعلٌ فإنْ ظهرْ
فَهو وإلّا فضميرٌ استترْ(11)

ويشرحُ ابنُ عقيل هذا البيتَ بقوله: «حكمُ الفاعل التّأخّرُ عن رافعِه ... ولا يجوزُ تقديمُه على رافعِه ... وهذا هو مذهبُ البصريّين . وأمّا الكوفيّون

الجملةُ الفعليّةُ	الجملةُ الاسميّةُ
عددُ مرّاتِ ورودِها 10	عددُ مرّاتِ ورودِها 6
النّسبةُ المئويّةُ 62.5	النّسبةُ المئويّةُ 37.5

فأجازُوا التّقديمَ»(12). ويميلُ الباحثُ إلى رأي الكوفيّين ويرى «أنَّ الفعلَ والفاعلَ عنصرانِ مستقلّان يُؤلِّفان جملةً تحملُ الرّسالةَ اللّغويّةَ التي تعبِّرُ عنِ المعاني المقصودةِ من قِبلِ المتكلّم، وهما يُفيدان الإخبارَ، كما يُـؤديّ المبتدأُ والخبرُ مهمّةَ الإخبارِ»(13).

وإذا أخذنا من مادّة البحثِ قولَه تعالى:﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ (14) فيُمكنُ تحليلُ الجملةِ الواردةِ فيه بناءً على نظريّةِ الإسنادِ على الوجه الآتي:

1 – أس[15] (ج) ← م + م أ +ك ، وقد جاء ترتيبُ هذه الجملة بتقديمِ الخبرِ على المبتدأ عنايةً واهتمامًا به.

2 – أس(ج)= لمن+ الملك+ اليوم.

جاءت هذه الجملةُ على غيرِ التّرتيبِ الأصليّ للجملةِ الاسميّةِ؛ حيث تقدّمَ الخبرُ على المبتدأ. والقاعدةُ الأساسيّةُ التي تحكمُ بناءَ مثلِ هذه الجملةِ الاسميّةِ هي: أس(ج) ←م أ + م +ك . وسيزيدُ الباحثُ الأمرَ توضيحًا في الدّراسةِ التّطبيقيّةِ في المحورِ الثّاني بإذن الله تعالى.

3 - المحورُ الثّاني: الجانبُ التّطبيقيُّ:

تقومُ هذه الدّراسةُ التّطبيقيّةُ على ستَّ عشرةَ جملةً وردت في سورة غافر موضوعِ البحثِ، تنوّعت بين أنماطِ الجُملتَين الفعليّةِ والاسميّةِ كما يبيّنُ الجدولُ الآتي:

يبيّنُ هذا الجدولُ أنَّ الجملةَ الفعليّةَ هي الأكثرُ شيوعًا في مدوّنة البحثِ. ويتناولُ الباحثُ تحليلَ ما يسمحُ به حيّزُ البحثِ في هذه الورقةِ على التّرتيبِ الآتي:

1/3. الجملةُ الفعليّةُ:

وقد تأتي هذه الجملةُ مرتّبةً على الأصل، وقد تأتي مرتّبةً على غير الأصلِ، وقد تأتي بسيطةً، وقد تأتي مركّبةً أو تركيبيّةً(16)، وتبيّنُ الأمثلةُ الآتيةُ هذه الأنواعَ كما يأتي:

- ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ﴾(17)

يقول الزّجاج: "معنى أنذرهم: خوِّفْهم، والآزفةُ يومُ القيامَةِ ... وإنّما قيلَ لها آزفةٌ؛ لأنّها قريبةٌ وإنِ اسْتَبْعَدَ النّاسُ مَدَاها»(18). وهذه الجملةُ جملةٌ بسيطةٌ مرتّبةٌ على الأصلِ، ويسيرُ تحليلُها على الوجهِ الآتي:

1 – أ س (ج) ←أداة + م أ + م+ ك .

2 – أ س (ج) ← أداة + فعل + ضمير+ ضمير + ظرف+ اسم .

3 – أ س (ج) ← و+ أنذر + أنت+ هم+ يوم+ الآزفة .

4– أس (ج) ← وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ

ويلاحظُ استتارُ الضّميرِ الشّاغلِ لموقع المسنَدِ إليه، وتحوُّلُ الضّميرِ المنفصلِ الشّاغلِ لموقعِ المفعولِ به إلى ضميرٍ متّصلٍ.

- ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ﴾ (19)

والتّرتيبُ الأصليّ لهذه الجملةِ التي بُنِيَ فيها الفعلُ لِما لم يُسمَّ فاعلُه هو{تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتِ الْيَوْمَ}، وتصدّرَ الظّرفُ الزّمانيّ في أوّل الجملةِ لكونه عنصرَ العنايةِ والاهتمامِ، إشارةً إلى هذا اليومِ





الذي يقفُ فيه الخلائقُ أمامَ المولى سبحانه وتعالى للحسابِ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ «ويقول اللَّهُ تَعالَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ عند فَنَاءِ الْخَلْقِ، وقال الحسن: هو السّائلُ تعالى، وهو المجيبُ؛ لأنّه يقول ذلك حين لا أحدَ يجيبُه، فَيُجِيبُ بنفسِه فَيَقُولُ:﴿لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ ...»(20).

وتسيرُ القواعدُ التي يمكنُ أن تُحلّلَ عليها هذه الجملةُ وَفْق نموذجِ الإسنادِ على الوجه الآتي:

1 – أ س (ج) ← م + م أ + أداة

جر+ ج+ ظرف .

2 – ج ← فعل + اسم+ اسم + أداة جر + اسم+ فعل+ أداة + ضمير+ ظرف.

3 – ج ← تجزى+ كل +نفس+ ب+ ما + كسب+ ت+ هي + اليوم.

4 – ج ← ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ

تبيّنُ القاعدةُ الثّالثةُ التّرتيبَ الأصليَّ لهذه الجملةِ، في حين تبيّنُ القاعدةُ الأخيرةُ التّرتيبَ غيرَ الأصليِّ الذي تقدّمَ فيه الظّرفُ (اليوم) على بقيّةِ عناصرِ الجملةِ؛ لكونِه هو الذي أريدَ لفتُ أنظارِ البشرِ إليه ليتذكّره أولو الألباب، وقد ترابطتْ مُكوّناتُ هذه الجملةِ، وانْسَجمتْ، بفضلِ العناصرِ اللّفظيّةِ والدّلاليّةِ.

* ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥ﴾(21) «سُمّيَ العقابُ سيئاتٍ مجازًا؛ لأنّه عقابٌ على السّيئاتِ»(22)، والجزءُ موضعُ التَّحْليلِ منَ الآيةِ هو:﴿وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ﴾ يقول: ومن تَصْرِفْ عنه سُوءَ عاقبةِ سيئاتِه بذلك يومَ القيامةِ، فقد رحمتَه، فنجّيتَه من عذابِك ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ؛ لأنّ مَن نجا منَ النّار وأدخلَ الجنّة، فقد فاز، وذلك لا شكَّ هو الفوزُ العظيمُ» (23) . والمثالُ عبارةٌ عن جملةٍ تركيبيّةٍ مؤلّفةٍ من جملتَين بسيطتَين تربطُ بينهما الفاءُ، وتشغلُ الجملةُ الأولى جملةَ فعلِ الشّرطِ، في حين تشغلُ الجملةُ الثّانيةُ جملةَ جوابِ الشّرطِ، وتقدَّمَ الظّرفُ (يوم) وهو مضافٌ، «وإذْ مضافٌ ليوم، والتّنوينُ عوضٌ من جملةٍ محذوفةٍ، وقصدُه منَ الكلامِ السّابقِ أيُّ يوم إذ تُدْخِلُ من تشاءُ الجنّةَ ومن تشاءُ النّارَ، والفاءُ رابطةٌ لجوابِ الشّرطِ، وقد حرفُ تحقيقٍ، ورحمْتَه فعلٌ وفاعلٌ ومفعولٌ به» (24).

وتسيرُ القواعدُ التي تحكمُ تحليلَ هذه الجملةِ التّركيبيّةِ المرتّبةِ على الأصلِ في طرفَيْها، على ما ذُكرَ مع الجُملتَين السّابقتَين.

2/3 ـ الجملةُ الاسميّةُ:

من أمثلتِها في مدوّنةِ البحثِ ما يأتي:

* ﴿لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ (25)

وهذه جملةٌ اسميّةٌ مرتّبةٌ على غيرِ الأصل، وموسّعةٌ بكلمةِ ﴿ظَٰهِرِينَ﴾ الشّاغلةِ لموقعِ الحالِ(26)، وموسّعةٌ كذلك بالجارِّ والمجرور، وتسيرُ القواعدُ التي تُبيِّنُ تحليلَها على الوجه الآتي:

1 – أ س (ج) ← م أ + م + ك+ ك+ ك .

2 – أ س (ج) ← اسم+ أداة جر + ضمير+ صفة+ أداة + اسم+ ظرف.

3 – أ س (ج) ← الملك+ ل + أنتم+ ظاهرين+ في + الأرض+ اليوم.

4– أ س (ج) ← ل + أنتم+ الملك+ اليوم+ ظاهرين+ في + الأرض.

5 أ س (ج) ← لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ

تبيّنُ القاعدةُ الثّالثةُ التّرتيبَ

---

(01) لسان العرب، لابن منظور.(زمن)،دار صادر، بيروت 1414هـ، ج 13/ 199.

(02) مختار الصحاح(زمن).

(03) وحدات الزمن في القرآن الكريم رضا علوي سيد أحمد، الموسوعة الإسلامية٢٨ أيار/مايو ٢٠٢٤ | ٢٠ ذو القعدة ١٤٤٥ هـ

(04) المرجع السابق.

(05) اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت 1419هـ/1998م، 3/17.

(06) تفسير الثعالبي:الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، تحقيق علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي ، بيروت 1418هـ العلمية، 5/103.

(07) تفسير روح المعاني، للآلوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية ، بيروت 1415هـ،ـ12/ 293.

(08) دلائل الإعجاز للجرجاني : 333 .

(09) الكتاب : 1/7 (طبعة بولاق).

(10) همع الهوامع : 1/102 .

(11) متن الألفية : 24 .

(12) شرح ابن عقيل : 1/423 – 424 .

(13) ينظر: الخطاب اللغوي في نثر علي الطنطاوي بين البناءين الباطن والظاهر والسياق، بكري محمد الحاج، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، جامعة النيلين، المجلد الثاني- العدد الثالث، يناير 2016م، : 9-10.

(14) سورة غافر: 16

(15) أس= الإسناد(الجملة) ، والجملة (أ س) مكونة من م أ (مسند

الأصليَّ لهذه الجملةِ، في حين تُوضّحُ القاعدةُ الأخيرةُ التّرتيبَ غيرَ الأصليِّ الذي تقدّمَ فيه الظّرفُ (اليوم) على المكمّلَين (ظاهرين، في الأرض) ؛ لكونِه هو الذي أريدَ لفتُ الأنظارِ إليه من قِبلِ الرّجلِ المؤمنِ. وقد تحقّقَ التّرابطُ اللّفظيُّ والانسجامُ الدّلاليُّ عن طريقِ العناصرِ اللّفظيّةِ والدّلاليّةِ.

- ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ﴾ (27)

وهذه جملةٌ اسميّةٌ بسيطةٌ مرتّبةٌ على الأصلِ، موسَّعةٌ بكلمةِ (إن) التّوكيديّةِ، والطّرفُ الأوّلُ ضميرٌ، والطّرفُ الثّاني جملةٌ فعليّةٌ موسَّعةٌ بعبارةِ إضافةٍ، وتسيرُ القواعدُ التي تبيّنُ تحليلَها على الوجه الآتي:

1 – أ س (ج) ← أداة + م أ + م + ك.

2 – أ س (ج)← أداة+ ضمير + ج+ ك.

3 – أ س (ج) ← أداة + ضمير + فعل+ ضمير+ اسم+ ظرف + اسم+ أداة + ضمير.

4– أ س (ج) ← إن+ أنا + أخاف+ أنا+ مثل+ يوم + على+ أنتم.

5 أ س (ج) ← إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ.

تبيّنُ القاعدةُ الثّالثةُ التّرتيبَ الأصليّ لهذه الجملة، في حين توضّحُ القاعدةُ الأخيرةُ التّرتيبَ غيرَ الأصليِّ الذي تقدّمَ فيه الجارُّ والمجرورُ﴿عَلَيكُم﴾ على المضافِ والمضافِ إليه؛ لكوْنِ المتقدِّمِ هو الذي أريدَ لفتُ الأنظارِ إليه.

4 - خـاتمةٌ:

الحمدُ لله الذي يسَّر كتابةَ هذه الورقةِ، ويُبْرِزُ الباحثُ في خاتمتِها أهمَّ النّتائجِ التي وصلَ إليها البحثُ على الوجهِ الآتي:

* وصلَ البحثُ إلى أنَّ أكثرَ الجُمل شيوعًا في مدوّنةِ البحثِ هي الجُملُ الفعليّةُ، حيث بلغت نسبتُها أكثرَ من 60% .

* أثبتَ البحثُ إمكانَ تحليلِ الجملةِ العربيّةِ في عيّنةِ البحثِ بناءً على نموذجِ الإسنادِ عند سِيبويه، ومالَ الباحثُ إلى رأيِ الكوفيّين في جواز تقديمِ الفاعلِ على فعْلِه عنايةً واهتمامًا به، استجابةً لمتطلّباتِ المعنى، واتّساقًا مع السّياقِ.

* أبانَ البحثُ المواقعَ الوظيفيّةَ التي تشغلُها كلمةُ (يوم) الظّرفيّةُ في الجملتَين الفعليّةِ والاسميّةِ، وتجاوبَها مع عناصرِ الجملةِ الأخرى في النّصّ القرآنيّ؛ لحملِ الرّسالةِ الربّانيّةِ إلى المخاطَبين، وقد ترابطتْ مُكوّناتُ الجُملِ التي وردَ فيها هذا الظّرفُ الزّمانيُّ، وانْسجمتْ، بفضلِ العناصرِ اللّفظيّةِ والدّلاليّةِ.

* كشفَ البحثُ عن تجسيدِ الجملةِ بعناصرِها البنائيّةِ، وأنماطِها، ومستوياتِها، للمضامين اللّغويّةِ التي حملتْ رسالةَ المولى سبحانه وتعالى إلى عبادِه بما يُصْلِحُ شؤونَهم في الدّنيا، ويُحقّقُ لهمُ الفوزَ في الآخرةِ. والله الموفِّقُ.

إليه) شاغل لموقع المبتدأ+ م (مسند) شاغل لموقع الخبر+ ك (مكمل) شاغل لموقع المفعول فيه.

(16) الجملة البسيطة هي التي تتألف من طرفين يشغل أحدهما موقع المسند، ويشغل الثاني موقع المسند إليه، أما الجملة المركبة فهي التي تتألف من جملتين بسيطتين تربط بينهما إحدى أدوات الربط العطفية، في حين أن الجملة التركيبية هي التي تتألف من جملتين بسيطتين تربط بينهما إحدى أدوات الربط الإتباعية.ينظر: J. sled :a short introduction to English grammar , p 84..

(17) سورة غافر: 18.

(18) معاني القرآن وإعرابه، تحقيق عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت 1408هـ/1988م، 4/369.

(19) سورة غافر: 17.

(20) تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة 1384هـ– 1964م.

(21) سورة غافر: 9

(22) إعراب القرآن للنحاس، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت 1421هـ، 4/20.

(23) تفسير الطبري، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والإعلان، القاهرة 1422هـ– 2001م، 20/287.

(24) إعراب القرآن الكريم وبيانه، محيي الدين الدرويش 8/462.

(25) سورة غافر:29.

(26) إعراب القرآن للنحاس، مرجع سابق، 4/24.

(27) سورة غافر:30.

كتــابُ سيبـويه



كِتابُ سيبَوَيْهِ أَوْ الكِتابُ: كِتابٌ في عِلْمِ النَّحْوِ، أَلَّفَهُ إِمامُ اللُّغَويّينَ عَمْرُو بْنُ عُثْمانَ بْنِ قَنْبَرٍ الفارِسيُّ ثُمَّ البَصْريُّ الـمَعْروفُ بسيبَوَيْهِ (ت: 180هـ).

أَخَذَ النَّحْوَ والأَدَبَ عَنِ الخَليلِ بْنِ أَحْمَدَ الفَراهيديِّ ويونُسَ بْنِ حَبيبٍ وأَبي الخَطّابِ الأَخْفَشِ وغَيْرِهِمْ.

وكِتابُهُ مِنْ أَعْظَمِ الأَعْمالِ في النَّحْوِ والصَّرْفِ، وهُوَ أَوَّلُ كِتابٍ مَنْهَجِيٍّ يُنَسِّقُ قَواعِدَ اللُّغَةِ العَرَبيَّةِ ويُدَوِّنُها، ويَتَعَرَّضُ كذلِكَ لكَثيرٍ مِنَ الـمَسائِلِ الدّينيَّةِ والدِّراساتِ القُرْآنيَّةِ.

اهْتَمَّ بِهِ القُدَماءُ والـمُحْدَثونَ دَرْسًا وشَرْحًا وتَعْليقًا واخْتِصارًا، قالَ عَنْهُ الجاحِظُ: «لَمْ يَكْتُبِ النّاسُ في النَّحْوِ كِتابًا مِثْلَهُ».

ومِمَّنْ شَرَحَهُ: الأَخْفَشُ الأَوْسَطُ والمازنيُّ والأَخْفَشُ الأَصْغَرُ وابْنُ السَّرّاجِ وغَيْرُهُمْ.



لغويّات

- اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ بينَ الإِشْكَالِ ووُضُوحِ المقالِ
- أَسَالِيبُ عَرَبِيَّةٌ مَهْجُورَةٌ .. (جَاؤُوا قَضَّهُمْ بقَضِيضِهم)
- أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ مَخْزُونٌ لُغَوِيٌّ يَنْهَلُ مِنْهُ المُتَرْجِمُونَ

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ

بينَ الإِشْكَالِ ووُضُوحِ المقالِ

الحمدُ لله وكفَى، وصلاةً وسلامًا على عبادِه الذين اصطفَى.

وبعدُ ..

فنعمةُ البيانِ من أكبرِ النِّعمِ وأعظمِ المِنَنِ؛ إذ تُعدُّ همزةَ وصلٍ بين الإنسان وأخيه الإنسان، وأداةَ ربطٍ كبرى بين البشرِ، وقد امتنَّ الله تعالى على عباده بما هو أعلى وآكدُ في طلاقةِ القُدرة، وهو اختلافُ اللّغاتِ وتبايُنُ اللّهجاتِ، قال تعالى﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم:22]. ولمّا كانتِ الغايةُ المرومةُ منَ اللّغة هي الإيضاحَ والبيانَ، كان الخروجُ عن هذه الغايةِ مدعاةً للفتِ النّظرِ، وإثارةِ العجبِ؛ إذ كيف تكونُ اللّغةُ الموضوعةُ للبيان سببًا في الإشكالِ والإبهامِ؟



أ. د / صفوت السيد

رئيس قسم أصول اللغة بجامعة الأزهر والمحرر بمجمع اللغة العربية بالشارقة

مَفْهومُ الواضحِ:

الواضحُ مِنَ الكلام: هو ما لا يحتاجُ إلى إيضاحٍ؛ فهو بيِّنٌ بذاتِه، معلومٌ للكافَّةِ، وهو ما عليه غالبُ الكلام وسوادُهُ.

جاء في المقاييس: «الواوُ والضّادُ والحاءُ: أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ عَلى ظُهورِ الشَّيْءِ وَبُروزِهِ. وجاءَ في الحَديثِ: «صوموا مِنْ وَضَحٍ إِلَى وَضَحٍ»(1) أَيْ: مِنْ ضَوْءٍ إِلَى ضَوْءٍ. والوَضّاحُ: الرَّجُلُ الأَبْيَضُ اللَّوْنِ الحَسَنُ. وَأَوْضَحَ الرَّجُلُ: وُلِدَ لَهُ البيضُ مِنَ الأَوْلادِ»(2). يقول ابنُ فارس: أمّا واضحُ الكلامِ فالذي يفهمُه كلُّ سامعٍ عرَف ظاهرَ كلامِ العرب؛ كقول القائلِ: شربتُ ماءً ولَقيت زيدًا؛ وكقولِ النّبيّ -صلّى الله عَلَيْهِ وسلّم: «إِذا اسْتَيْقَظَ أحدُكم من نومه، فلا يَغْمِسْ يدَه فِي الإِناء حَتَّى يَغْسِلَها ثلاثًا»(3)؛ وكقولِ الكُميت بن زيد [من البسيط]:

إنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لائِمِهِمْ
قَبْلِي مِنَ النّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا (4)

وهذا جُلُّ الكلام ومعظمُه.

والواضحُ مِنَ الكلام يقابلُه الغامضُ، جاء في التّاج: «الغامِضُ: خِلافُ الوَاضِحِ من الكَلامِ، وَقد غَمُض، ككَرُمَ، وَعَلَيْهِ اقْتَصَرَ الجَوْهَرِيُّ والصّاغانيُّ، زادَ ابنُ بَرّي: غَمَضَ؛ مثْل نَصَرَ، غُمُوضَةً، مَصْدَرُ الأَوَّل، وغُمُوضًا، مَصْدَرُ الثّاني، فَفيه لَفٌّ ونَشْرٌ مُرَتَّبٌ» (4).

مفهومُ المُشكلِ:

أصلُ المادّةِ يدورُ حولَ المماثلة، جاء في المقاييس: «الشِّينُ والكافُ واللّامُ مُعْظَمُ بَابِهِ المُمَاثَلَةُ. تَقُولُ: هَذَا شَكْلُ هَذَا، أَيْ: مِثْلُهُ. وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ: أَمْرٌ مُشْكِلٌ، كَمَا يُقَالُ أَمْرٌ مُشْتَبِهٌ، أَيْ: هَذَا شابَهَ هَذَا، وهَذَا دَخَلَ

فالمشكل هو: الكلامُ غيرُ الواضح الذي يحتاجُ إلى مزيدِ إيضاحٍ؛ إراغةَ الوصولِ إلى أبعاده ومَراميهِ.



في شَكْلِ هَذَا، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى ذَلِكَ فَيُقَالُ: شَكَلْتُ الدَّابَّةَ بِشِكَالِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَ إِحْدَى قَوَائِمِهِ وَشِكْلٍ لَهَا. وَكَذَلِكَ دَابَّةٌ بِهَا شِكَالٌ، إِذَا كَانَ إِحْدَى يَدَيْهِ وَإِحْدَى رِجْلَيْهِ مُحَجَّلاً. وَهُوَ ذَاكَ القِيَاسُ؛ لِأَنَّ البَيَاضَ أَخَذَ وَاحِدَةً وَشَكْلَهَا» (5).

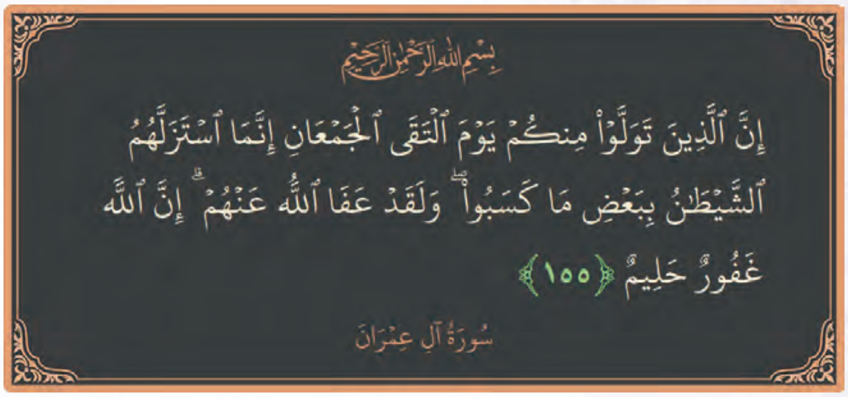
ولما كان التّشابهُ مظنَّةَ الغُموض والوقوعِ في الوهم، حملَهم ذلك على قولهم: [وبضدّها تتميّزُ الأشياءُ]، فالمُشْكل سمِّي بذلك؛ "لأنَّه أشكلَ، أي : دخل في شكل غيرِهِ فأشبَهَهُ وشاكلَهُ» (6). وما دام الشّيءُ قد دخل في شكلِ غيره فقد غمضَ ولم تتضح معالمُهُ؛ ومِنْ ثَمَّ فالمشكل هو: الكلامُ غيرُ الواضح الذي يحتاجُ إلى مزيدِ إيضاحٍ؛ إراغةَ الوصولِ إلى أبعاده ومَراميهِ.

روافدُ الإشكال:

أوّلاً: المشكلُ لغرابةِ لفظِه: (7)

روافدُ الإشكالِ متنوعةٌ؛ فمِنَ الكلماتِ ما يأتيه الإشكالُ مِنْ غَرابة لفظِه. وينبغي لَنَا هُنا الإشارةُ -وَلَوْ سَرِيعًا- إلى مدلولِ الغريبِ وما يرادفُهُ. فكلماتٌ مثلُ: "الحوشيُّ والغرائبُ والشَّواذُّ والنّوادرُ، هذه الألفاظُ مُتَقاربةٌ، وكلُّها خلافُ الفصيحِ. فحُوشيُّ الكلام: وَحْشِيُّهُ وغَريبُهُ. وقال ابنُ رشيقٍ في العُمدة: الوَحْشِيُّ منَ الكلامِ ما نَفر عنِ السّمع(8).

ومَهبِطُ القصيدِ في الغرابة: أن يكون اللّفظُ غريبًا بالنّسبة إلى العربِ الفُصحاءِ المعتدِّ بعربيّتِهم، لا بالنّسبة إلى سائر النّاس، جاء في المزهر: «فإن قلتَ: ما يُقْصَدُ بالفصيحِ وبأيِّ شيءٍ يُعْلَمُ أنّه غيرُ فصيحٍ وغيرُه فصيحٌ؟ قلت: أن يكونَ اللّفظ على أَلْسِنَة الفُصحاءِ الموثوقِ بعربيّتِهم أدْور، واستعمالهُم لها



أكْثرُ ... وقال الشّيخ بهاءُ الدّين السُّبكي في عروس الأفـراح: ينبغي أن يُحمَلَ قولُه: (والغرابة) على الغَرَابةِ بالنّسبة إلى العرب العَرْباء، لا بالنّسبةِ إلى استعمال النّاس، وإلّا لكان جميعُ ما في كُتُب الغريبِ غيرَ فصيحٍ. والقَطعُ بخلافِه» (9)؛ ومن ثمّ فإنَّ تتبُّعَ الوَحْشيِّ منَ الكلام يَصِمُ المتكلّمَ بالتَّصنّعِ والتّمحُّل، ويَنْأى به عن رتبةِ الفصاحةِ والبيانِ. وأفصحُ الـكلامِ على الإطْلاق ما وافقَ القياسَ وكثُر استعمالُهُ، ولكنْ دون ابْتِذالٍ.

ولإدراك العربِ ضرورةَ التَّرفُّع عنِ الغرائبِ والشّواردِ مَدَح أبو تمّام الحَسنَ بنَ وَهْبٍ بالبلاغة فقال [من الكامل]:

لَمْ يَتَّبِعْ شُنَعَ اللُّغَاتِ وَلَا مَشَى
رَسْـــفَ الـــمُـــقَـــيَّـــدِ فِـــي حِـــرانِ الـــمَـــنْـــطِـــقِ

«قال إبراهيمُ بنُ المهدي لعبد الله بنِ صاعدٍ كاتبِه: إيّاك وتتبُّعَ الوحشيِّ مِن الكلام طمعًا في نيلِ البلاغةِ؛ فإنَّ ذلك هو العِيُّ الأكْبرُ، عليك بما سهُلَ مع تجنّبك ألفاظَ السّفلِ» (10). ومن دروبِ الغرابة: أن يكون اللّفظُ شائعًا في معنى، ثم تأتي الغرابةُ من استخدامه للدّلالة على معنًى

> **إنَّ تتبُّعَ الوَحْشيِّ من الكلام يَصِمُ المتكلّمَ بالتّصنّعِ والتّمحُّل، ويَنْأى به عن رتبةِ الفصاحةِ والبيانِ. وأفصحُ الكلامِ على الإطْلاق ما وافقَ القياسَ وكثُر استعمالُهُ، ولكنْ دون ابْتِذالٍ.**

آخرَ. ومن أمثلة الغريبِ قولُهم: "ما تشاءُ أن ترى أحدَهم أبيضَ بَضّا، يَمْلَخُ فِي الباطِل مَلْخًا، ينفُضُ مِذْرَوَيه يقول: هأنذا فاعْرفوني... وأمّا قَوْله: يَمْلَخ، فَإِنَّ المَلْخَ والمَلَخ لُغَتانِ: التّثنِّي والتّكسّر، يُقَال: مَلَخَ الفرسُ وَغَيره: إذا لعبَ، قالَ رؤبة يصفُ الحمارَ [من الرجز]:

مُعْتَزِمُ التَّجْلِيحِ مَلَّاخُ المَلَقْ

وَقَالَ الأَصْمَعِي: يُقَال: امتَلَخْتُ اللّجامَ من رَأس الدّابَّة إذا نَزَعته مِنْهُ نزعًا سهلاً. وأمّا المِذْرَوان فَإِنَّهُمَا كأنّهما فَرعا الأَلْيَتَيْنِ؛ قالَ عنترةُ [من الوافر]:

أَنَحْوِي تَنْفُضُ اسْتُكَ مِذْرَوَيْها
لِتَقْتُلَني فهأنذا عُمارا (11) .

وفي العامّيّةِ المصريّةِ يقولون: (ملخ الرّجلُ الأرزَ): إذا نزع شتلاتِ الأرز الصّغيرةَ المجتمعةَ والمتكدّسةَ في المشتل؛ ليقومَ بتوزيعها على سائر الأرض، ومَنْ خَبَرَ الزّراعةَ بمصرَ يعرف ذلك تمامَ المعرفة. فهو مأخوذٌ من قولهم الفائتِ: «امتَلَخْتُ اللّجامَ من رَأس الدَّابَّة، إذا نَزَعته مِنْهُ نزعًا سهلاً ». فانظر معي كيف احتجْنا في مَعْرفة الكلام إلى

جُهدٍ وبَحْث وتَنْقيبٍ، مما ينمُّ عَنْ إشكالِهِ وعدم وضوحِهِ.

ثانيًا: المُشْكلُ للإيماءِ:

قد يتأتّى الإشكالُ من خلال التَّلميحِ إلى أَمْرٍ لَمْ يُصرَّح بهِ؛ ومِنْ أمثلةِ ذلك ما يأتي :

- قولُ عبدِ الرحمن بنِ عوف: «لَمْ أفِرَّ يومَ عَيْنَيْنِ» .

فالذي لا يعرفُ قصّةَ (12) هذا القولِ السَّائرِ لا يُدْرِكُ معناه، فقد وجَّه عبدُ الرحمن بنُ عوف هذا الكلامَ معرِّضًا بعثمانَ بنِ عفّان رضي الله تعالى عنهما؛ لفرارِهِ يومَ أُحُدٍ، و(ذو عينين): جبلٌ أو هضبةٌ في المكان الذي كان يقف عليه الرّماةُ يومَ أُحُدٍ. وقد ردَّ عليه عثمانُ رضي الله تعالى عنه قائلاً: لِمَ تعيِّرني بذنبٍ قد عفا الله عنه، فالله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:155]. فلا يَسْتطيعُ أحدٌ الوقوفَ على مَرامي الكلام ومدلولِه إلّا بعد الرّجوعِ إلى المصادر التي كشفتِ اللّثامَ عَنْ هذا القول .

- ومن ذلك أيضًا: «رُويدًا سَوْقَكَ بالقوارير"، فقد ورد أنّ" النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال لِأَنْجَشَةَ: «يا أَنْجَشَةُ، رُوَيْـدَكَ سوقَك بالقَوَارِيرِ»(13). شَبَّه النِّساءَ بالقَوارِيرِ؛ لِضَعْفِ عَزائمِهِنّ؛ وقِلَّةِ دَوَامِهِنَّ على العَهْدِ؛ لأنّ القَوَارِيرَ يُسرِعُ إليها الكَسْر ولا تَقْبَلُ الجَبْرَ(14).

فلا يدرِي السّامعُ أوِ القارئ لهذا الكلامِ النّبويِّ التّابعِ من فم النّبيِّ - صلّى الله عليه وسلّم- معنى كلمةِ [القوارير] هنا إلّا بعد الوقوف على المقام الذي سيق فيه هذا الكلام.

- ومن ذلك أيضًا قولُهم: "إنَّ العصا قُرِعَت لِذِي الحِلْمِ» يُضربُ لمن يتّعظُ إذا وُعظ، ويتنبّه إذا نُبِّه (15). والمرادُ بالحِلْمِ: العَقْلُ، وجمعُه: أحلام، وأهلُ الأحلام والنُّهى: هم أهلُ الحصافة والكياسةِ، والمعنى: أنَّ العاقل إذا نُبِّه انتبه ولم يكابر؛ إذ لا غَضاضةَ في ذلك؛ فالرُّجوعُ إلى الحقّ خيرٌ منَ التّمادي في الباطل.

فقد رُويَ «أَن بَعْضَ حُكَّامِ العَرب أَسَنَّ وضعُف عَنِ الحُكْم، فَكانَ إِذا احْتَكَم إِليه خَصْمانِ وزَلَّ فِي الحُكْم قَرَع لَهُ بعضُ ولدِه العَصا يُفَطِّنُه بقَرْعِها للصَّواب، فيَفْطُنُ لَـهُ»(16). فلا يُدرَكُ المعنى السّالفُ إلّا بعد مطالعةٍ للحادثةِ التي سيقَ من أجلها هذا



المثلُ، وإلّا لأدّى الكلامُ إلى إشكالٍ يَخْفَى حتّى على الألِبّاء.

ثالثًا: المُشْكلُ لأنّه لا يُحَدُّ في نفس الخطابِ:

من روافدِ الإشكالِ كذلك: أن تكونَ الكلمةُ مُجْملةً تَحْتاج إلى تَفْصيل. ومنه قولُ الله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة:228]، "فهذا نَصٌّ فِي أَنَّهُ مُفَضَّلٌ عَلَيْهَا، مُقَدَّمٌ في حُقوقِ النِّكاحِ فَوْقَهَا، لَكِنَّ الدَّرَجَةَ هاهُنا مُجْمَلَةٌ غَيْرُ مُبَيَّنٍ ما المُرَادُ بِها، وإِنَّما أُخِذَتْ مِنْ أَدِلَّةٍ أُخْرى سِوَى هَذِهِ الآيَةِ، وَأَعْلَمَ اللَّهُ تَعَالَى النِّساءَ هاهُنا أَنَّ الرِّجَالَ فَوْقَهُنَّ، ثُمَّ بَيَّنَ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ذَلِكَ. وَقَدِ اخْتَلَفَ العُلَماءُ في المُرادِ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ عَلى أَقْوالٍ كَثِيرَةٍ، فَقيل: هُوَ المِيراثُ، وَقِيلَ: هُوَ الجِهَادُ، وقِيلَ: هُوَ اللِّحْيَةُ»(17).

وممّا يدخلُ في هذا السّياج كلُّ ما جاء في القرآن مجملاً وفسّره النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم، ومن ذلك ألفاظٌ؛ مثل: الصّوم والزّكاة والحجّ، فالحجُّ مثلاً "مُجْمَلٌ في كِتَابِ اللَّه؛ لِأَنَّ الْحَجَّ فِي اللُّغَةِ الْقَصْدُ ... ثُمَّ نُقِلَ في الشَّرْعِ إِلَى مَعَانٍ أُخَر لَمْ يَكُنِ اسْمًا مَوْضُوعًا لَهَا فِي اللُّغَةِ، وَهُوَ مُجْمَلٌ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْبَيَان، فَمهمَا وَرَدَ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَهُوَ بَيَانٌ لِلْمُرَادِ بِالْجُمْلَةِ»(18). وأمّا الصّومُ فهو مطلقُ الإمساكِ، ثمّ استحالَ إلى معانٍ أخرى جاءت بها الشّريعةُ السَّمْحَةُ.

> **المشتركُ دليلٌ على سَعَةِ العربيّةِ وحيويّةِ مفرداتها، وأمارةٌ على ما تحويه تلك المفرداتُ من قُدراتٍ تعبيريّةٍ تتفجَّرُ لتولِّدَ معانيَ كثيرةً متعدّدةً بتعدّدِ السّياقاتِ والمقاماتِ.**

يقول أبو بكرٍ الجصّاص: «وَيُقَالُ: خَيْلٌ صِيَامٌ إِذَا كَانَتْ مُمْسِكَةً عَنِ العلفِ، وصامتِ الشَّمْسُ نِصْفَ النَّهَارِ؛ لِأَنَّهَا مُمْسِكَةٌ عَنِ السَّيْرِ وَالْحَرَكَةِ، فَهَذَا حُكْمُ هَذَا اللَّفْظِ في اللُّغَةِ، وَهُوَ في الشَّرْعِ: اسْمٌ لِلْكَفِّ عَنِ الْأَكْلِ ... وَهُوَ لَفْظٌ مُجْمَلٌ مُفْتَقِرٌ إِلَى الْبَيَانِ عِنْدَ وُرُودِهِ؛ لِأَنَّهُ اسْمٌ شَرْعِيٌّ مَوْضُوعٌ لِمَعَانٍ لَمْ تَكُنْ مَعْقُولَةً في اللُّغَةِ، إلَّا أَنَّهُ بَعْدَ ثُبُوتِ الفَرْضِ وَاسْتِقْرَارِ أَمْرِ الشَّرِيعَةِ قَدْ عُقِلَ مَعْنَاهُ المَوْضُوعُ لَهُ فِيهَا بِتَوْقِيفِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُمَّةَ عَلَيْهَا» (19).

رابعًا: المُشْكلُ لاشتراكِ لفظِه:

قد يُقْصَدُ إلى المشترك اللّفظيِّ بغرضِ الإيهام، «وقد حدَّه أهلُ الأصول بأنّه: اللّفظُ الواحدُ الدّالُّ



ابن فارس سيبويه

على معنيَين مختلفَين فأكثرَ دلالةً على السّواء عند أهل تلك اللّغة، واختلف النّاسُ فيه، فالأكثرون على أنّه ممكنُ الوقوع؛ لجواز أنْ يقعَ إمّا من واضِعَيْن بأنْ يضعَ أحدُهما لفظًا لمعنى، ثمّ يضعُه الآخرُ لمعنى آخرَ، ويَشْتَهِرُ ذلك اللّفظُ بين الطّائفتين في إفادته المعنيَيْن، وهذا على أنَّ اللّغاتِ غيرُ توقيفيّةٍ، وإمّا مِنْ واضعٍ واحدٍ لغَرَض الإبهام على السّامع؛ حيثُ يكونُ التّصريحُ سببًا للمَفْسدة؛ كما رُويَ عن أبي بكر الصّديق [رضي الله تعالى عنه] وقد سألَهُ رجلٌ عنِ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقتَ ذهابهما إلى الغار: من هذا ؟ قال: هذا رجلٌ يَهْديني السّبيلَ»(20).

والمشتركُ دليلٌ على سَعَة العربيّةِ وحيويّةِ مفرداتها، وأَمارةٌ على ما تحويه تلك المفرداتُ من قُدْراتٍ تعبيريّةٍ تتفجَّرُ لتولِّدَ معانيَ كثيرةً متعدّدةً بتعدّدِ السّياقاتِ والمقاماتِ. وإنكارُ المشترك يَشي بضعْفِ الفهم؛ لأنَّ المنطقَ يَقْضي بوجودِ المشترك؛ إذِ الألفاظُ متناهيةٌ، أمّا المعاني فغيرُ متناهيةٍ على نحو ما نصَّ عليه أئمّةُ اللّغة؛ ومِنَ ثَمَّ فلا بدَّ أنْ يُحمَّلَ اللّفظُ قدراتٍ دلاليّةً فائقةً.

خامسًا: الإشكالُ من خلال

أبياتِ المعاني:

هناك أبياتٌ في العربيّةِ، لا يُفْهَمُ مدلولُها إلّا بالسّؤال عن معناها؛ ومِنْ ثَمَّ سمِّيت بأبياتِ المعاني. فهي تَحْتاجُ إلى جهدٍ جهيدٍ؛ لاستجلاء معناها، ومن أمثلتِها ما يأتي:

قولُ الرّاعي [من الكامل]:

قَتَلُوا ابْنَ عَفَّانَ الْخَلِيفَةَ مُحْرِمًا
وَدَعَا فَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ مَخْذُولَا(21)

روى العسكريُّ في كتاب التَّصحيف: أنَّ الرّشيد سأل أهلَ مَجْلسِه عن هذا البيت فقال: أيُّ إحرام هذا؟ فقالَ الكسائي: أراد أنّه أحْرم بالحجِّ. فقال الأصمعي: والله ما أَحْـرَمَ ولا عَنى الشاعرُ هذا، ولو قلتَ: أحرَمَ دَخَلَ في الشّهر الحرام كما يُقال: أشهَرَ: دَخلَ في الشهر كانَ أَشْبَهَ. قال الكسائي: فما أراد بالإحرام؟ قال: كُلُّ مَنْ لم يأتِ شيئًا يستحلُّ به عقوبتَهُ فهو مُحْرم، خبّرني عن قول عديّ بنِ زيد [من الرمل]:

قَتَلُوا كِسْرى بِلَيْلٍ مُحْرِمًا
فَتَوَلَّى لَمْ يُمَتَّعْ بِكَفَنْ(22)

أيُّ إحْرامٍ كان لكِسْرى؟ فسكت الكسائيّ، فقال الرّشيد: يا أصمعيّ؛ ما تطاقُ في الشِّعْر» (23).



إبراهيم بن المهدي

الأصمعي

سادسًا: الإشكالُ من خلالِ فَصْلِ الموصول ووَصْلِ المفصول:

قد تُفصلُ الكلمةُ الموصولةُ عن غيرها أوِ العكس؛ بغرض الإلغاز، ومنَ الأوّل: قولُ بعضِ المُلْغِزين:

جاءكَ سَلْمانَ أَبُو هَاشِمَا
وَقَدْ غَدَا سَيِّدَهَا الحَارِثُ

(جاء) فعلٌ ماضٍ، والكافُ للتّشبيه، و(سلمان) مجرورٌ بها، و(أبوها) فاعل جاء، وموضعُ الكاف نصبٌ على الحال إن كانت حرفًا، وحالٌ إن كانت اسمًا" (23). «فإن اللّفظ (كسلمانَ)، لكنه قُطع؛ للتّعمية».

كما أنّ بعكس ذلك كلمةَ (بَلْ) إذا دخلت على ما أوَّلُه راء، وقُصِد الإلغازُ تُحذف لامُها؛ لإدغامها في الرّاء، وتُوصلُ الباء بالرّاء؛ كما في قوله [من الخفيف]:

عافَتِ الماءَ في الشِّتاءِ فقُلنا
بَـرِّدِيهِ تُصادِفيهِ سَخِينا

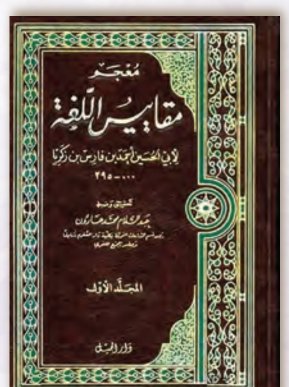
قال في (المزْهر) (24) : «وهذا البيت من أبيات المعاني، والأصلُ: (بَلْ ردِيه)، فعلُ أمرٍ منَ (الوُرود)، وليس منَ التَّبْرِيد» (25).

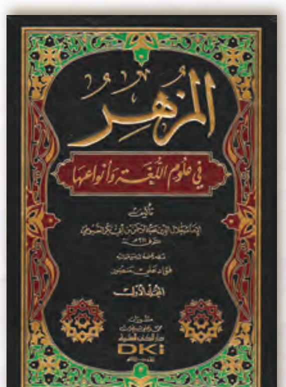
> **إنَّ المعنى المعجميَّ وإنْ كان يتميَّزُ بالكَثْرة والتَّعدد، إلّا أنَّه لا بدَّ أنْ يُحاطَ اللّفظُ المعجميُّ بقرائنَ وسياقاتٍ مقاليّةٍ ومقاميّةٍ تجعلُه مقتصرًا على إحدى دلالاته.**

قصورُ المعنَى المعجميِّ:

إنَّ المعنى المعجميَّ وإنْ كان يتميَّزُ بالكَثْرة والتَّعدد، إلّا أنَّه لا بدَّ أنْ يُحاطَ اللّفظُ المعجميُّ بقرائنَ وسياقاتٍ مقاليّةٍ ومقاميّةٍ تجعلُه مقتصرًا على إحدى دلالاته.

ومن ثَمَّ فقد «يَتصوَّرُ بعضُ المبتدئين في الدّراسة اللّغويّةِ أنَّ «علمَ الدّلالة أو دراسةِ المعنى مقْصورٌ على اللّغات التي لم يوضعْ لها بعدُ معاجمُ أو قواميسُ؛ فاللّغاتُ ذاتُ المعاجم في غنى عن هذه الدّراسة؛ لأنّ المعاجمَ تمدّنا بمعاني الكلام. وهذا تصوّرٌ خاطئ؛ لأنَّ (المعنى القاموسيّ) أو (المعنى المعجميّ) ليس كلَّ شيءٍ في إدراك معنى الكلام، فثمَّة عناصرُ [غيرُ لغوية] ذاتُ







دَخْلٍ كبيرٍ في تحديد المعنى، بل هي جزءٌ أو أجزاءٌ من معنى الكلام، وذلك كشخصيّةِ المتكلِّم، وشخصيّةِ المخاطَب، وما بينهما من عَلاقات، وما يُحيطُ بالكلام من ملابساتٍ وظروفٍ ذاتِ صلة به، كالجوِّ مثلاً، أوِ الحالة السياسيّةِ إلخ. ومن حضور غيرِ المتكلم وغيرِ المخاطَب، وعلاقتِهم بهما.

إنَّ عبارةً مألوفةً؛ مثل: [صباح الخير] قد يكون لها منَ المعاني عشرةٌ أو أكثرُ إذا نظرنا إليها من حيث السِّياقاتُ التي تَقَعُ فيها، أي إذا أدخَلَ الدّارسُ في اعتباره العناصرَ الاجتماعيةَ غيرَ اللّغويةِ التي أشرنا إلى بعضها. وكلُّ هذا لا يتَّضحُ على أجلى وجهٍ إلاّ فيما يُسمّى [الكلام الحيّ] الذي نستطيعُ أن نسجِّلَ فيه نطقَ الكلام، والذي تتّضحُ فيه خصائصُه البارزةُ؛ مثل: التّنغيم، والارتكاز، والذي نستطيعُ معه أن نتحقّق مِنْ شخصيَّتَيِ المتحادثَين، أو من شخصيات المتحادثِين، وأنْ نحدِّدَ ما بينهما أو ما بينهم من علائقَ، وأنْ نُدْرك الظّروفَ الملابسةَ للكلام. وخيرُ ما يوضّحُ لنا ارتباطَ الكلام بما أشرنا إليه منَ الشّخصيَّةِ والملابساتِ هو لغةُ المَسْرح، فنحن نرقُبُ الأحداثَ وهي تتتابعُ، وكلُّ شخصيةٍ أمامنا واضحةُ

(المعنى القاموسيّ) أو (المعنى المعجميّ) ليس كلَّ شيءٍ في إدراك معنى الكلام، فثمَّة عناصرُ [غيرُ لغوية] ذاتُ دَخْلٍ كبيرٍ في تحديد المعنى.

المعالم، محدّدةٌ ممّا يتيسّرُ معه أن نَفْهم مَعْنى كلِّ قول على خير وجهٍ وأدقِّهِ»(26) .

إذًا فهناك معنًى معجميٌّ، ومعنًى وظيفيٌّ، ومعنًى اجتماعيٌّ، على نحو ما أشار الدكتور تمام حسان، ثم يأتي من ورائها المعنى الدّلاليُّ، الذي هو الغايةُ المنشودةُ من عملية إصدارِ الكلام، ولا بدَّ مِنْ تكاثُف كلِّ هذه الأنواعِ؛ حتى يصلَ المستمعُ إلى أَعْلى درجاتِ الفهم، وإلاّ جاء الفهمُ مُبتسرًا خديجًا.

*** مُعْضلةُ مداخلِ المعجمِ:**

مِنْ مُعْضلات المعنى المعجميِّ: مسألةُ مداخلِ المُعْجم، فهل نعتبرُ أنّ للكلمةِ معنى واحـدًا داخلَ المعجم أو عدّةَ معانٍ، وإذا كانت ذاتَ عدّةِ معان أهي مِنْ باب المَجاز أَمْ من باب المشتركِ اللّفظيّ؟

«ويترتّبُ على اعتبار الكلمةِ ذاتَ معنى واحدٍ وضْعُها في مدخلٍ واحدٍ، حتى لو تعدّدت تطبيقاتُها في الاستعمال، أو حملت بعضَ المعاني المجازيّة. ويُكتفَى في هذه الحالة بترتيب المعاني داخليًّا بصورةٍ من صُورِ التّرتيب المتّفقِ عليها. أمّا إذا اعتُبرت ذاتَ معانٍ متعدّدةٍ فسيُفردُ لكلِّ معنى مدخلٌ، وتتعدّدُ المداخلُ بتعدّدِ المعاني. الفعلُ [شحذ] مثلاً يأتي لمعنيَيْن: شحذ السِّكين: إذا أحدَّهُ. وشحذَ الفقيرُ النّاسَ: سَأَلَهم. فهلْ يمكنُ ردُّ المعنيَيْن إلى معنى واحدٍ هو [الإلحاحُ] و[التَّكرارُ] فيكونُ المدخلُ واحدًا؟ أو أنّ التماس هذا المعنى الواحدِ لا يتمُّ إلاّ بتكلّفٍ وتمحُّلٍ ولا يفطنُ إليه مستعملُ اللّغةِ العادي؛ فيكونُ للّفظ معنيان مختلفان فيُنظرُ إليهما على أنّهما لفظان مختلفان يستحقُّ كلٌّ منهما مَدْخَلاً مستقلاًّ؟

*** قيمةُ النّبرِ والتّنغيمِ في إيضاحِ المعنى:**

أضفْ إلى ما سبق: قيمةَ النّبرِ

والتّنغيم في إبــراز المعنى وإيضاحِه، فالنّبرُ: عبارةٌ عن ضغطِ مقطعٍ منَ الكلمة دون آخر، أمّا التّنغيمُ فهو: عبارةٌ عن رفع الصّوتِ وخفضِه وتلوينِه بنغمةٍ يُفهمُ منها الاستفهامُ، أوِ الإخبارُ، أوِ الاستهزاءُ، أوِ الاستهجانُ، أوِ الغضبُ، أوِ الرّاحةُ، أوِ التّعب، وما إلى ذلك منَ المعاني التي يريدها المتكلّمُ، ويقضي بها المقامُ، ولا يقفُ على هذا إلّا من مارس الموقف الكلاميَّ أو شاهدَه.

ومنَ المثيرِ للدّهشة أنّ كثيرًا منَ المحْدَثين عندما يتناولون قضية النّبرِ والتّنغيم في العربيّةِ يحكمون بندرتِهما في لغةِ العرب أو بعدم وجودِهما. وأقول: إنَّ النّصوصَ العربيّةَ التي نُقلت إلينا نُقلت بلفظها الجامدِ المُعَرَّى من أيِّ دلالاتٍ على النّبر أوِ التّنغيم، وتلك طبيعةُ النّصّ المنقولِ الذي لا ينبغي أن يُحمَّلَ أكثرَ من طاقتِه وطبيعتِه. فيسرعُ هؤلاء إلى الحكمِ المتعجّلِ، والنّظرةِ غيرِ المتأنِّيَةِ، متناسِين أنَّ النّبرَ والتّنغيمَ لا يمكنُ إدراكُهما من خلال النّصّ المنقولِ كتابةً، وإنّما المسئولُ عن إدراكِهما [فقط] إنّما هو الممارسةُ والشّهادةُ.

وخيرُ برهانٍ على ذلك: أنَّ اللُّغةَ العامِّيَّةَ الدّارجةَ التي هي بنتٌ من بناتِ الفُصحى وفرعٌ من فروعها

"من المثيرِ للدّهشة أنّ كثيرًا منَ المحْدَثين عندما يتناولون قضية النّبرِ والتّنغيم في العربيّةِ يحكمون بندرتِهما في لغةِ العربِ أو بعدم وجودِهما."

تعجُّ بهاتين الظّاهرتَين، فإذا كان العوامُّ يستخدمونهما بكثرةٍ في الخطابِ اليوميِّ؛ حتى لا تكاد تجدُ في كلامهم جملةً واحدةً تخلُو من هذا النَّبرِ وذاك التَّنغيمِ، فما بالُنا بالفُصحى التي لها القِدْحُ المعلَّى في اشتمالها على كافَّة الظّواهرِ اللّغويّةِ والكلاميّةِ؟ ومِنْ ثَمَّ يَنْبغي لَنَا أنْ نوضِّح الفرقَ بين حقيقتين: الحقيقةُ الأولى: عدمُ وجودِ هاتين الظّاهرتَين في الكلام العربيّ. الحقيقةُ الثّانيةُ: عدمُ وجودِ هاتين الظّاهرتَين في الدّرس العربيّ. أمّا الأولى فلا، وأمّا الثّانيةُ فنَعَم، ولكن بتحفُّظ. فلن نعدَم منَ القدماء من أشار إليهما بالقَدْر الذي لا يجوز الإشارةُ إليهما بأكثرَ منه؛ لِما ذكرتُه سلفًا مِنْ ضرورة الممارَسَة وحَتْميَّة الشَّهادَة .

قيمةُ القرينةِ في إيضاح المعنى:

لا يَخْفَى على ذي نُهْيَةٍ حاجةُ الكلام إلى قرينةٍ تُسهمُ في إيضاح معناه، ومِنْ هذه القرائن: القرينةُ النّحويةُ، ولا نُنكرُ قيمتَها، ولكنّها ليست بهذا الحجم الذي صوّره النّحاةُ؛ فقد تصيرُ هذه القرينة أحيانًا قرينةً فرعيّةً يُستغنى عنها.

ويُعدُّ هذا منَ الإشكالات المنهجيّةِ اللّغويّةِ؛ حيث «نهج علماءُ العربيّةِ في رصْـدِ مادّتهم وتحليلِها وتقنينِها منهجًا غيرَ متّسقِ الجوانبِ والاتّجاهاتِ. ركّزوا في البدء على النّظرةِ المعياريّةِ التي تعني: محاولةَ الوصولِ إلى مجموعة منَ القوانين والضّوابطِ المطَّردةِ، وفرضُها على أهل اللّغةِ، فمن سار على نهجها كان مصيبًا، ومن تجاوزَها وقعَ في مزالقِ الخطأ ... في حين أنّه منَ الثّابت والمقرّرِ أنَّ الظّواهرَ اللّغويّةَ بطبيعتِها لا تخضعُ لهذا المعيارِ الصّارم، إنّها تتفاعلُ مع البيئة تأثيرًا وتأثّرًا، فتتغيّرُ [في قليل أو كثير] أو تختلفُ بعضُ وجوهها، الأمرُ الذي يفسدُ على

المعياريّةِ فعاليَّتَها ومصداقيَّتَها في التّقعيد» (27). فاللّغةُ ينبغي لها أن تُدرسَ على ما هي عليه، لا على ما ينبغي لها أن تكونَ عليه. «فإذا كان منَ الممكن الوصولُ إلى المعنى بلا لبسٍ مع عدم توفُّر إحدَى القرائنِ اللّفظيّةِ الدّالّةِ على هذا المعنى، فإنّ العربَ كانت تترخّصُ أحيانًا في هذه القرينةِ اللّفظيّةِ الإضافيّةِ؛ لأنَّ أمن اللّبس يتحقّقُ بوجودِها وبعدمِها. ولقد وجدنا في مأثورِ التّراثِ العربيِّ الكثيرَ منَ الشّواهد والأمثلةِ على هذه الظّاهرة»(28).

ومن أمثلةِ الاستغناء عنِ القرينةِ النَّحويّةِ اللّفظيّةِ [أيضًا] ما يأتي:

– قولُهم: «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ».

يقولُ سِيبويه: «وممّا جرى نعتًا على غير وجْهِ الكلام: «هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ»، فالوجهُ الرفعُ، وهو كلامُ أكثرِ العربِ وأفصحهم. وهو القياسُ؛ لأنّ الخَربَ نعتُ الجُحْرِ، والجحرُ رفعٌ، ولكنّ بعض العرب يجُرُّه. وليس بنعتٍ للضبّ، ولكنّه نعتٌ للذي أُضيف إلى الضبّ، فجرّوه؛ لأنه نكرةٌ كالضبّ؛ ولأنَّه في موضعٍ يقع فيه نعتُ الضّبّ؛ ولأنّه صار هو والضّبُّ بمنزلة اسمٍ واحدٍ. ألا ترى أنّك تقول: هذا حَبُّ رُمّانٍ. فإذا كان لك قلت: هذا حَبُّ رُمّاني، فأضفتَ الرمّانَ إليك، وليس لك، إنَّما لك الحَبُّ» (29).

ومِنْ ثَمَّ فإنَّ المجاورةَ هي التي دَعَت إلى هذه المخالفةِ النّحويةِ، والمرادُ بالمجاورة هنا مجاورةُ لفظِ [الضّبّ] للفظِ [خرب]، فضلاً عنِ التّرنّم الرّائق النّاجم عَنْ إردافِ الجرِّ بالجرِّ، فهو يُعدُّ ضَرْبًا منَ المزاوجةِ الحركيّةِ التي تَسْهُلُ على الألسنةِ وتَسْتسيغُها الآذانُ.

---

(1) العيني، عمدة القاري ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 20/287.
(2) ابن فارس، المقاييس، تح: هارون، دار الفكر، 1399هـ، (وضح) 6/119.
(3) مسند الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 10.
(4) ابن فارس، الصاحبي، ص:41،40، وأمالي المرتضى، 2/631.
(5) الزبيدي، التاج، دار الهداية، (غمض) 18/465.
(6) ابن فارس، المقاييس، (شكل) 3/204.
(7) ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح: شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 68.
(8) هذا التصنيف مستقى من كتاب الصاحبي لابن فارس، ط: 1، 1418هـ، ص40 وما بعدها.
(9) السيوطي، المزهر 1/185، بتصرف يسير .
(10) السابق، 1/149.
(11) ابن رشيق، العمدة، تح: محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط:5، 1401هـ، 2/266.
(12)ابن سلام، غريب الحديث، تح: عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، ط: 1، 1384 هـ. 4/454.
(13) راجع غريب الحديث لابن سلام 4/321، والنهاية لابن الأثير 3/334. وهذه القصص بين الصحابة رضي الله عنهم تروى بلا أسانيد ولا تحقيق، فالشأن فيها أن تردّ ولا تقبل.
(15) ابن بطال، شرح صحيح البخاري، تح: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط: 2، 1423هـ، 9/350 .
(16) الصغاني، التكملة، دار الكتب، القاهرة، 3/163.
(17) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، الطبعة: 1، 1429 هـ، ـ 1/553.
(18) ابن منظور، لسان العرب (عصا) 15/66 .
(19) أحكام القرآن للجصاص: 1/256.
(20) السابق: 1/119.
(21) السابق: 1/214.
(22) السيوطي، المزهر، 1/272.
(23) المبرد، الكامل، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: 3، 1417 هـ، 3/23.
(24) شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري، تح: هارون، دار المعارف، ط: 5، ص246
(24) السيوطي، المزهر: 1/454، 455.
(25)الربعي، الانتخاب، تح: الضامن، الرسالة، بيروت، ط: 2، 1405هـ، ص: 25.
(26) السيوطي، المزهر: 1/457.
(27) المطالع النصرية، تح: عبد المقصود، مكتبة السنة، القاهرة، ط: 1، 1426 هـ ، ص: 112.
(28) السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي ، ط: 2، القاهرة، 1997م، ص: 215.
(29) كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دار غريب، 1999م، ص: 138.
(30) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص: 233.
(31) سيبويه، الكتاب، تح: هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ ، 1/436.

أَسَــالِيبُ عَــرَبِيَّةٌ مَهْــجُورَةٌ
(جَاؤُوا قَضَّهُمْ بقَضِيضِهم)

تَقولُ العربُ: جَاءَ الْقَوْمُ بِقَضِّهم وقَضيضِهم، وجَاءُوا قضَّهم وقضِيضَهم، وجَاءُوا قَضَضَهم وقضيضَهم، وأتَوني قضَّهم بقضيضِهم، ورأيتُهم قضَّهم بقضيضِهم، ومررتُ بهم قضِّهم بقضيضِهم. وجاءوا قضًا وقضيضًا (1).

وقالَ الشمّاخُ بنُ ضرارٍ (2) :

أَتَتْني سُلَيْمٌ قَضَّها بِقَضِيضِها * تُمَسِّحُ حَوْلي بالبَقِيعِ سِبالَها**

وقال الحُصيْنُ بنُ الحُمَامِ المرّيّ (3) :

وجـاءتْ جِحَاشٌ قَضَّها بِقَضيضِها * وجَمْعُ عُـوالٍ ما أدَقَّ وألْأمـا**

وقال أوسُ بنُ حَجَرٍ (4) :

وجـاءت سُليمٌ قضَّها وقضيضَها * بأكثرَ ما كانوا عـديـدًا وأوْكَـعُوا**



أ.د. كمال أبو المعاطي
أستاذ بدار العلوم - جامعة القاهرة

وجاء في الحديث الشريف: "دخلتْ أمّةٌ الجنّةَ بِقَضِّها وقضِيضِها،كانوا لا يَسْتَرْقُون ولا يَكْتَوون، وعلى ربِّهِم يَتوكّلونَ». (5)

فما القضُّ ؟ وما القَضِيضُ؟ وما معنى هذا التَّركيبِ؟ وفي أيّ السِّياقاتِ يُستعملُ؟

أوّلًا: المعنى

يُقال: قضَّ اللّؤلؤةَ: ثَقَبَها، وقَضَضْتُ الشّيءَ إذا كَسرتُه ودققتُه، ومنه قِيل للحَصَى الصَّغيرِ: قَضَضٌ، وهو جَمعُ قضّةٍ بكسر القافِ وفتحِها: وجاء في كتاب الفاخر: «قولُهم: جاءَ بالقَضِّ والقَضيضِ: أي أتى بالكبيرِ والصّغيرِ، والقضُّ: الحصى، وقضيضه: صغارُه وما تكسَّر منه» (6) ، وقال السّرَقُسْطيُّ: جَاءَ الْقَوْمُ قَضُّهُمْ بِقَضِيضِهِمْ، وَجَاءُوا عَلَى بَكْرَةِ أَبِيهِمْ، وَجَاءُوا بِأَجْمَعِهِمْ، إِذَا جَاءُوا مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ» (7) ، وقولهم: قد جاء بالقضِّ والقَضيضِ: قال أبوبكر: معناه: قد جاء بالكبيرِ والصّغيرِ، والقضُّ معناه في كلام العرب: الحصَى الصّغار، والقضيض: صغارُه وما تكسَّر منه ... ويُقال: جاء القوم قضُّهم بقَضيضِهم، أي كُلُّهم» (٨).

وقال الأزهري: «يُقَال: جَاءَ بَنو فُلانٍ قضَّهُمْ بقضيضهم إِذا جَاءُوا بجماعتهم لم يُخلِّفوا شَيْئا وَلَا أحدًا، وَيُقَال أَيْضا: جَــاءُوا بِقَضِّهم وقَضِيضهم، وَقَال: أَخْبرنِي الْمُنْذِرِيّ عَن أبي طَالب: جَاءَ بالْقَضِّ والقضيضِ مَعْنَاهُ: جَاءَ بالكبير وَالصَّغِير، فالقَضُّ الحَصَى، والقضيضُ مَا تَكسَّرَ مِنْهُ وَدَقَّ». (9) وذكر ابنُ فارس أنّه قد جاء في "قَضَّ (القَافُ وَالضَّادُ أُصُولٌ ثَلَاثَــةٌ): أَحَدُهَا هُوِيُّ الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ خُشُونَةٌ فِي الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ ثُقْبٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: انْقَضَّ الْحَائِطُ: وَقَعَ، وَمِنْهُ انْقِضَاضُ الطَّائِرِ: هُوِيُّهُ فِي طَيَرَانِهِ. وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ دِرْعٌ قَضَّاءُ: خَشِنَةُ المَسِّ لَمْ تَنْسَحِقْ بَعْدُ. وَأَصْلُهُ الْقِضَّةُ، وَهِيَ أَرْضٌ مُنْخَفِضَةٌ تُرَابُهَا رَمْلٌ، وَإِلَى جَانِبِهَا مَتْنٌ. وَالْقَضَضُ: كِسَرُ الْحِجَارَةِ. وَمِنْهُ الْقَضْقَضَةُ: كَسْرُ الْعِظَامِ. يُقَالُ أَسَدٌ قَضْقَاضٌ. وَالْقَضُّ: تُرَابٌ يَعْلُو الْفِرَاشَ، يُقَالُ: أَقَضَّ عَلَيْهِ مَضْجَعُهُ، قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ:

أَمْ مَا لِجِسْمِكَ لَا يُلَائِـمُ مَضْجَعًا

إلّا أَقـضَّ عَـلَـيْـكَ ذاكَ الْـمَـضْـجَـعُ

ثمّ قال: وَمِنَ الْبَابِ عِنْدِي قَوْلُهُمْ: جَاءُوا بِقَضِّهِمْ وَقَضِيضِهِمْ، أَيْ بِالْجَمَاعَةِ الْكَثِيرَةِ الْخَشِنَةِ، واستدلَّ بقولِ أوسِ بنِ حَجَرٍ:

وَجَـاءَتْ جِـحَـاشٌ قَضَّهَا بِقَضِيضِهَا
كَـأَكْـثَـرِ مَـا كَـانُـوا عَـدِيـدًا وَأَوْكَـعُـوا

وَالْأَصْـلُ الثَّالِثُ قَوْلُهُمْ: قَضَضْتُ اللُّؤْلُؤَةَ أَقُضُّهَا قَضًّا، إِذَا ثَقَبْتُهَا. وَمِنْهُ اقْتِضَاضُ الْبِكْرِ. قَالَهُ الشَّيْبَانِيُّ (10). وذكر البَكريُّ في كتابه (فصل المقال) أنّ» القضّ والقضَض: الحصى الصغار، وأقضّ الطعام: إذا كان فيه حَصى صغارٌ، وقضَّ المضجعَ، وأقض: إذا خشن، والقِضاض والقَضِيض: صخرٌ يَركب بعضُه بعضاً مثل الرّضاء، فكأنّه قال: جاء القومُ صِغارُهم وكِبارُهم» (11). وجاء في مجمعِ الأمثال: جَاءوا قَضًّا وَقَضِيضًا، أي وُحْدَانا وزَرَافات، فالقَضُّ عبارةٌ عنِ الواحد، والقضيضُ عبارةٌ عنِ الجمع(12). «وورد في لسان العربِ لابنِ منظور: قال أَبو الْهَيْثَم: القَضُّ الْحَصَى والقَضِيضُ جَمْعٌ مثلُ كَلْب وكَليب، وجعل ابْنُ بَرِّي: شَاهِدَ قَوْلِهم: "جاؤوا قضَّهُمْ بِقَضِيضِهِمْ»، أَي: بأَجمعهم، ما سبق من قولِ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ:

وجـاءتْ جِـحـاشٌ قَضُّها بقَضِيضِها
بأكـثـرِ مَـا كَـانُـوا عَـدِيـداً وأَوْكَـعُـوا

وفي الحديث «يُؤْتى بِالدُّنْيَا بقَضِّها وقَضِيضِها»، أي: بِكُلِّ مَا فِيهَا، من قولهم: جاؤوا بقَضِّهم وقَضِيضِهم إذا جاءوا مُجْتَمِعِينَ يَنْقَضُّ آخرُهم عَلَى أَوّلهم، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَضَضْنا عَلَيْهِمُ الخيلَ، وَنَحْنُ نقُضُّها قَضًّا. وقالَ ابْنُ الأَثير: وَتَلْخِيصُهُ أَنّ القَضَّ وُضِع مَوْضِعَ القاضِّ كزَوْرٍ وصَوْمٍ بِمَعْنَى زَائِرٍ وَصَائِم، والقَضِيض موضعَ المَقْضُوض؛ لأَنّ الأَوّل لِتَقَدُّمِهِ وَحَمْلِهِ الآخِرِ عَلَى اللّحاق بِهِ كأَنه يقُضُّه على نفسه، فحقيقتُه جاءوا بمُسْتَلْحَقِهم ولاحقِهم، أَي: بأَوّلِهم وآخِرهم. ثمّ قَالَ: وأَلْخَصُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ قولُ ابْنِ الأَعرابي: إِنَّ القَضَّ الْحَصَى الكِبارُ، والقَضِيضَ الحصى الصِّغارُ، أَي :جاءوا بِالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «دَخَلَتِ الجنةَ أُمّةٌ بقَضِّها وقَضِيضِها»(13). وقد ذكر بعضُهم أنّها مساويةٌ للمعنى والدّلالةِ لكلّ تعبيرٍ يدلُّ على الجمع والشُّمول. قال أبو سعيدٍ الأندلسيُّ: وقالوا في الجماعة يأتون عن آخرهم جاءوا





على بكرة أبيهم». و «جاءوا قضّهم بقضيضهم» (14) .أي: كافّةً.

ثانيًا: الإعرابُ

تعدّدتْ آراءُ النُّحاة في إعراب مفرداتِ هذا التّركيبِ، وَفقًا لتعدُّدِ الدّلالةِ التي يُؤدِّيها داخلَ الجملةِ، وتبعًا لتوجيهِ النُّحاةِ لها، وقد أشار أبو حيّانَ إلى شيءٍ من هذا التَّعدُدِ في قوله: "وأمّا قضُّهم بقضيضِهم، فحكى سِيبويه فيه الإتباعَ لِما قبْلَه على التّوكيد، والنّصبَ على الحال، وحكى له فعلَ قالوا: قضضتُ عليهم الخيلَ إذا جمعتُها عليهم، ومعنى قضّهم بقضيضهم منقضًّا آخِرُهُمْ على أوّلهم أي: أتوا في انقضاضِهم، وهو كالجمّاءِ الغفيرِ في أنّه مأخوذٌ منَ الانقضاضِ لا مُشتقٌّ منَ الصّفة، وهو بمنزلةِ جَهدَك في أنّه للفاعل، ويونسُ يجعلُه كالجمّاء وصفًا، فهو حالٌ بنفسه، والإضافةُ غيرُ محضةٍ، والمبرّدُ يُقدّر الفعلَ، وقد يجيءُ المؤوّلُ بنكرةٍ علمًا، قالت العرب: جاءتِ الخيلُ بَداد، و(بداد) علمُ جنسٍ، وجاز وقوعُه علمًا لتأوُّلِه بمتبدّدة» (15) ، وسوف نوضّحُ هنا أبرزَ الأوجُهِ الإعرابيّةِ الواردةِ بشأنه، وتوجيهَ النُّحاةِ لها من خلال وجودِ هذا التَّركيبِ وإعرابِه كما وردَ في بيتِ الشَّمّاخ:

تعدّدتْ آراءُ النُّحاة في إعراب مفرداتِ هذا التّركيبِ، وَفقًا لتعدُّدِ الدّلالةِ التي يُؤدِّيها داخلَ الجملةِ، وتبعًا لتوجيهِ النُّحاةِ لها

أتتني: فعلٌ ماضٍ، والنّون: للوقاية، والياء: مفعول به، وسُلَيْم: فاعل، قضًّها: مصدرٌ بمعنى الانقضاض، منصوبٌ على الحاليّة من سُلَيْم، وإنّما جازَ نصبُه على الحال مع كونه معرفةً لإضافتِه إلى الضّمير؛ وذلك لأنّه مصدرٌ، والفعلُ كما هو مقرّرٌ يعملُ في المصدر معرفةً ونكرةً، وكأنّه أظهرَ فعْلَه ثمّ نصبَه به، ووضع ذلك الفعلَ موضعَ الحالِ، وكأنّه قال: أتتني سُليم تنقضُّ قَضًّا، أي: انتقاضًا.

(بقضيضهم): الباء حرفُ جرٍّ جاء بمعنى مع، والجارُّ والمجرورُ متعلّقٌ بقوله: أتت، ويكونُ المعنى هنا: جاءوا مُنْقضًّا آخِرُهُم على أولهم. أي: بأجمعِهم، وقد أوضحَ سِيبَويه ذلك في قوله: كأنّه قال: انقضاضهَم، أي انقضاضًا».

ويُفهم معنَى الحال من مجموع الكلمتَين معًا، (قضّهم بقضيضِهم)، وقد ظهرَ الإعرابُ على الكلمة الأُولى دون الثّانية؛ لأنّها هي التي يمكنُها قَبولُ الإعرابِ الذي تُعربُ به الحالُ المفردةُ، والذي يدلُّ على أنّ الحالَ تكوّنتْ من مجموعِ الكلمتَين ما جاء منْ نظائرَ صُرِّح فيها بلفظِ الحالِ المفردةِ، وقد جاءت في موضع الكلمتَين معًا لتُؤدّيَ المعنى ذاتَه، وذلك في قول عوفِ بنِ الأحوصِ (16)

أَتَـتْـنَـا قُـرَيْـشٌ حَـافِـلِـيـن بِـجَـمْـعِـهِـمْ
وَكَـانَ لَـهَـا قِـدْمًـا مِـنَ الـلـهِ نَـاصِـرُ.

---

1 – المعجم الوسيط ، مادة ق.ض.ض. ، جماعة من العلماء ، مجمع اللغة العربية – القاهرة .

2 – ديوانه /290 و شرح كتاب سيبويه ، السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان (ت ٣٦٨ ه) تحقيق : أحمد حسن مهدلي، علي سيد علي ،2/261 ، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .الطبعة الأولى 2008م . وانظر الكتاب لسيبويه 1 /274 والسبال :جمع سبلة وَهِي مقدم اللِّحْيَة. أَرَادَ أنهم يمسحون لحاهم وهم يتهددونه ويتوعدونه تأهبا للْكَلَام. وَالْبَقِيع: مَوضِع بِمَدِينَة رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

3 – المفضليات ، الضبيّ، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم (ت نحو ١٦٨ه)،تحقيق وشرح :أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة السادسة .

4 – ديوانه ص 57 ومقاييس اللغة 5/12 و لسان العرب 7/222 و قوله: و أوكعوا : أي سمنوا إبلهم وقووها ليغيروا علينا .

5 – رواه أبو هريرة ، عبد الرحمن الدوسي ، صحيح ابن حبان 726 –

6 – الفاخر ، أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم (ت:290هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي ، ص 25 ، مراجعة محمد علي النجار ،الناشر: دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي الطبعة: الأولى، ١٣٨٠ هـ:

7 – الدلائل في غريب الحديث ، السرقسطي ، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي (ت302هـ) 1/178 ،تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م:

8 – الزاهر في معاني كلمات الناس ،أبو بكر الأنباري ، محمد بن القاسم (ت:328هـ) ، تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن ، ص ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1412هـ 1992-م.

9 – تهذيب اللغة ، الأزهري ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠ه) ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، 8/ 208 (باب القاف والضاد) ،الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى 2001م.

10 –مقاييس اللغة ، ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون 5/11و12 الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

فقد وقعتِ الحالُ المفردةُ (حافلين) في مثلِ موضعِ قولِ الشّمّاخ (قضّهم بقضيضِهم) وأفادتِ المعنى نفسَه، الذي يؤكّدُ أنَّ الحالَ تكوّنتْ من مجموعِ الكلمتَين معًا.

وبالعودةِ إلى كلامِ أبي حيّانَ يتبيّنُ لنا أنَّ بعضَ النُّحاةِ يجعلُ قضَّهم جاريًا على ما قبْلَه ويُجريه مجرَى كلِّهم، فيعربُه تابعًا لِما قبْله، رفعًا ونصبًا وجرًّا. وهو ما أشار إليه في قوله: "وأمّا قضُّهم بقضيضِهم، فحكى سِيبَويه فيه الإتباعَ لِما قبْلَه على التّوكيدِ»، وحكى " كُـراع «قولَهم: أَتَوْني قضَّهم بقضيضهم ورأيتُهم قضَّهم بقضيضهم، ومررتُ بهم قضِّهم بقضيضهم» (17).

وقال الأصمعيُّ في قوله: «جاءت فزارةُ قضُّها بقضيضها، لم أسمعْهم يُنشدون (قضّها) إلاّ رفعًا» (18).

وقد ذهبَ بعضُ النُّحاةِ إلى أنّه منصوبٌ على المصدريّةِ وجعلُوه مفعولاً مطلقًا للحالِ المقدّرة، والمعنى: جاءوا مُنقضّين قضَّهم، أي: انقضاضَهم، فهو وإن كان واقعًا موقِعَ الحالِ المنصوبةِ، إلاّ أنّه مُنتصِبٌ على المصْدريَّةِ، كما ينتصبُ على الظّرفيّةِ ما قام مقامَ خبرِ المبتدأ منَ الظروفِ، نحو: زيدٌ قُدَّامَك ولا يُعربُ إعرابَ ما قامَ مقامَه". وقال الزّمخشريُّ: «وأمّا أرسلْها العراكَ، ومررتُ به وحده، وجاءوا قضَّهم بقضيضِهم، وفعلتَه جهدَك وطاقتَك، فمصادرُ قد تُكُلِّمَ بها على نيّةِ وضعِها في موضعِ ما لا تعريفَ فيه، كما وضع فاه إلى فيّ موضعَ شَفاهاً، ومعنى مُعتركةً، ومُنفردًا وقاطبةً وجاهداً. ومنَ الأسماءِ المحذوِّ بها حذْوَ هذه المصادرِ قولُهم: مررتُ بهم الجمّاءَ الغفيرَ (19).

وقال ابنُ يَعيش: «وأمّا قولُهم: (جاءوا قضَّهم بقضيضِهم)، أي: جميعًا، ولَمّا كان معناه التّنكيرَ جازَ أن يقعَ حالاً ... فـ "قَضَّها" منصوبٌ على الحال، وقد استُعمل على ضربَيْن: منهم مَن ينصبُه على كلّ حال، فيكونُ بمنزلةِ المصْدَرِ المضافِ المجْعُولِ في موضعِ الحالِ، كقولك: "مررتُ به وَحْدَه"، ومنهم من يجعل "قَضَّهَا" تابعًا مُؤكِّدًا لِما قبْله، فيُجرِيه مُجْرَى "كُلِّهِم"، فيقول: "أتتني سليمٌ قَضُّها بقضيضِها"، و"رأيتُ سليمًا قَضَّها بقضيضها"، و"مررتُ بسليمٍ قضِّها بقضيضها"، ومعناه أَجْمَعِينَ. وهو مأخوذٌ من القَضّ، وهو الكَسْرُ، وقد يُستعملُ في موضع الوقوعِ على الشّيء بسُرْعَةٍ، كما يقال: "عُقابٌ كاسِرٌ"؛ فكأنَّ قضّهم وَقَعَ بعضُهم على بعض» (20).

وقال الرّضيّ: «الأصلُ فيه أن يكون قضّهم مبتدأً، وبقضيضِهم خبرًا مثلَ قولهم: كلمته فاهُ إلى فيّ... ثمّ انمحَى عنِ الجُملتين معنى الجملةِ والكلام؛ لـمّا فهمَ منها معنَى المفرد؛ لأنّ معنى (فُوه إلى فيّ)، صار مشافهًا، ومعنى قضّهم بقضيضهم، كافّةً، فلمّا قامتِ الجملةُ مقامَ المفردِ وأدّت مُؤدّاه، أُعْرِب ما قَبِلَ الإعرابَ منها وهو الجزءُ الأوّلُ إعرابَ المفردِ الذي قامتْ مقامَه».

وهكذا يتبيّنُ أنَّ الرَّاجحَ في إعْرابِ هذا التّركيبِ هو أن يكونَ منصوبًا على الحالِ أو أن يكون تابعًا لِما قبْلَه رفعًا ونصبًا وجرًّا . والله أعلمُ.

---

11 - فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت: 487هـ) تحقيق : إحسان عباس، ص 198 ،الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان– الطبعة الأولى ، 1971م .

12 - مجمع الأمثال ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨ هـ) تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد 161/1الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان .

13 - انظر : لسان العرب ، لابن منظور ، 221/7 فصل القاف ،مادة (ق. ض .ض)

14 -نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي، أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ)
تحقق: الدكتور نصرت عبد الرحمن ص 728 ، الناشر ، مكتبة الأقصى، عمّان –الأردن .

-15 ارتشاف الضرب من لسان العرب: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ) تحقيق: رجب عثمان محمد ،مراجعة: رمضان عبد التواب 3/ 569 الناشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1418هـ - 1998م .

16 - الأصمعيات ، 217 .

17 - المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ،6/100، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى 1421هـ 2000-م .

18 - مجمع الأمثال للميداني ، 161/1

19 - المفصل في صنعة الإعراب ، جار الله ،أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري. (ت ٥٣٨هـ) تحقيق : د. علي أبو ملجم ، الناشر مكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الأولى 1993م ،

20 - شرح مفصل الزمخشري: موفق الدين ، يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ) قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب 20/2الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

-21 انظر : شرح الكافية للرضي ، الأستراباذي ، رضيّ الدين محمد بن الحسن ، (ت : 686هـ) ، 1/ 185، طبعة شركة الصحافة العثمانية – تركيا .



أَبُو حَيَّانَ التَّوْحِيدِيُّ

مَخْزُونٌ لُغَوِيٌّ يَنْهَلُ مِنْهُ المُتَرْجِمُونَ



د. إيمان معروف

كاتبة ومترجمة

يُعَدُّ أبو حيّانَ التّوحيديُّ (310-414هـ) من أبرزِ أدباءِ الحضارةِ الإسلاميّةِ أثرًا وعمقًا. إنّه قامةٌ سامقةٌ في سماءِ الأدبِ العربيِّ والفكرِ الفلسفيِّ، ومَعينٌ لُغويٌّ لا ينضبُ، تركَ أثرًا لا يُمحَى في ميادينِ الفكرِ والأدبِ والفلسفةِ. يتميّز أسلوبُه بسلاسةٍ جليّةٍ، وصياغةٍ تُزاوجُ بين الدّقّةِ البلاغيّةِ والتّعبيرِ الفلسفيِّ، فَضْلًا عَنِ الإِبْداعِ والجمالِ، ما جعلَه موسوعةً لُغويّةً ومعنويّةً ومصدرَ إلهامٍ للمُترجمين الباحثين عن كنوزِ اللّغةِ ومُفرداتِها، التي تُجسِّدُ المعانيَ الدّقيقةَ، والأفكارَ العميقةَ، والأساليبَ البيانيّةَ التي تصلحُ مادّةً حيّةً للمُترجِمين.

معاناةُ المترجِمِ

يُعاني المترجِمون عند نقلِ النّصوصِ منَ اللّغاتِ الأجنبيّةِ إلى اللّغةِ العربيّةِ من معضلةِ التّكرارِ وشُحِّ المرادفاتِ المناسبةِ التي تحفظُ للنّصّ روحَه الأصيلةَ وثراءَه الدّلاليَّ.

ففي حينِ تفيضُ بعضُ اللّغاتِ الأجنبيّةِ بتنوُّعِ المفرداتِ واتّساعِ المترادفاتِ، يقعُ المترجمُ في مأزقٍ، إذ يجدُ نفسَه مُضطرًّا إلى استخدامِ التّعبيراتِ عينِها أوِ اللّجوءِ إلى تراكيبَ نمطيّةٍ تُضعفُ النّصّ وتُفقدُه بريقَه.

ولعلَّ هذا التّحديَ يعكسُ حاجةَ المترجِمين إلى مرجعٍ لُغويٍّ غنيٍّ، يُغني ذخيرتَهم بالمفرداتِ والتّراكيبِ، ويُزوّدُهم بأدواتٍ لُغويّةٍ مُبتكرةٍ تُمكّنُهم من ترجمةِ النّصوص بإبداعٍ يعادلُ أصالتَها في اللّغةِ المصدَرِ.

هنا يأتي دورُ أبي حيّانَ التّوحيديِّ، هذا الأديبُ والفيلسوفُ الذي مثّلَ قمّةَ النّضجِ اللّغويِّ في الحضارةِ الإسلاميّةِ، فقد كان صاحبَ أسلوبٍ يُغْنِي النّصوصَ بجمالِيّاتِ اللّغةِ ودقّتِها، ويمنحُ المترجِمَ مادّةً لُغويّةً

ثريّةً يمكنُها أن تسعفَه في مهمّتِه الشّاقّة. إذ تجتمعُ في كتاباتِه البلاغةُ الرّفيعةُ، والبعدُ الفلسفيُّ، والتّنوّعُ الأسلوبيُّ، ما يجعلُ منها كنزًا لُغويًّا لا يقدّرُ بثمنٍ لكلِّ من أرادَ نقلَ النّصوصِ إلى العربيّةِ بروحِها الأصليّة.

لقد نجحَ أبو حيّانَ في صياغةِ لُغةٍ تجمعُ بين بساطةِ المفردةِ ورشاقةِ التّعبيرِ، وعُمقِ الدّلالةِ وشموليّةِ المعنى، وَهَذَا مَا يجعلُ منه مرجعًا لا غنًى عنه للمترجمين الذين يَسْعَوْنَ إلى تجاوُزِ قيودِ التّكرارِ اللّغويِّ وشحِّ المفرداتِ. وليس أدلَّ على ذلك من تنوّعِ أساليبِه التي تناولتِ النّفسَ البشريّةَ، والفكرَ الفلسفيَّ، والمشاعرَ الإنسانيّةَ، في بناءٍ لُغويٍّ فريدٍ يجمعُ بين الفنِّ والفكرِ، وبين الإحساسِ والمعرفةِ.

أُسْلُوبُ التَّوْحِيدِيِّ: لُغَةُ الفلسفةِ والجمالِ

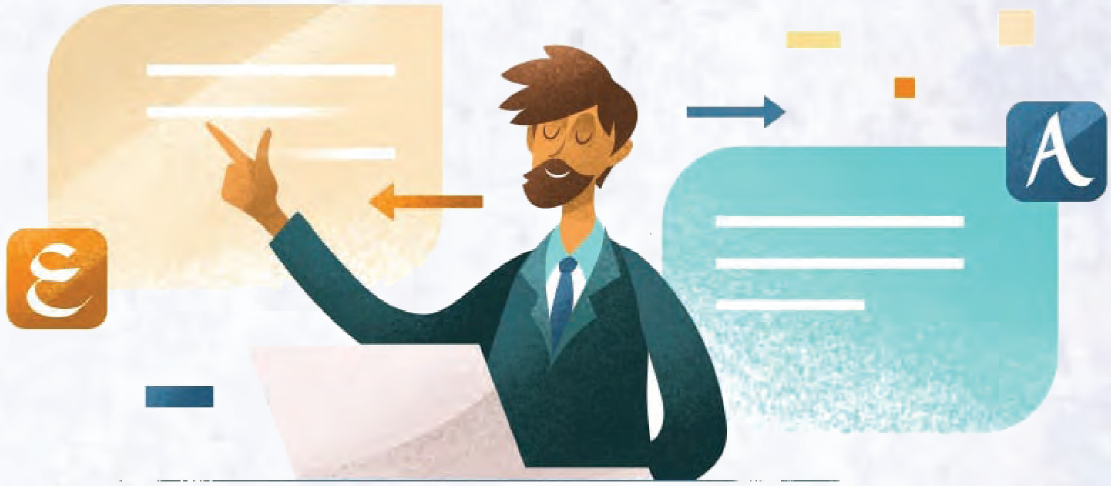
إنَّ اللّغةَ عند أبي حيَّانَ التّوحِيدِيِّ ليست مجرّدَ أداةٍ للتّعبيرِ عنِ الأفكارِ أو نقلِ المعاني، بل كائنٌ حيٌّ، نابضٌ بالحياة، ينبعثُ من أعماقِ الفكرِ، ليحلّقَ في فضاءاتِ الجمالِ والإبداعِ. اختارَ التّوحيديُّ ألفاظَه بعنايةٍ كما يختارُ الرّسّامُ ألوانَ لوحتِه، فجاءت كلماتُه متماسكةَ البناءِ، رشيقةَ الإيقاعِ، عميقةَ الدّلالةِ، تحملُ في طيّاتها امتزاجَ الفلسفةِ بالأدبِ، والعقلِ بالعاطفة، وهو ما جعلَ أسلوبَه فريدًا في بنيتِه وسِحرِه.

> **أبو حيّانَ التّوحيديُّ قامةٌ سامقةٌ في سماءِ الأدبِ العربيِّ والفكرِ الفلسفيِّ، ومَعينٌ لُغويٌّ لا ينضبُ، تركَ أثرًا لا يُمحَى في ميادينِ الفكرِ والأدبِ والفلسفةِ يتميّزُ أسلوبُه بسلاسةٍ جليّةٍ، ما جعلَه موسوعةً لُغويّةً ومعنويّةً ومصدرَ إلهامٍ للمُترجمين الباحثين عن كنوزِ اللّغةِ ومُفرداتِها**

في مؤلَّفِه (الإمتاعُ والمؤانسةُ)، تتجلّى عبقريتُه اللّغويّةُ حين يصفُ لحظاتِ التّأمّلِ قائلًا: "إذَا تأمّلتَ النّفسَ وجدتَها مركّبةً من هوًى وعقلٍ، وبينهما نزاعٌ دائمٌ، لا يَرضَيان إلّا بالسّلطانِ الغالبِ، فإن غلبَ العقلُ اطمأنَّ الهوى، وإن غلبَ الهوى اضطربَ العقلُ". إنَّ هذا التّعبيرَ البديعَ يُتيحُ للمترجِمِ أدواتٍ ذكيّةً وثمينةً تُعينه على صقلِ النّصوصِ المترجَمةِ بلُغةٍ تنبضُ بالحياةِ والدّقّةِ.

لم يكنِ الكتابُ مجرّدَ حوارٍ فكريٍّ أو أدبيٍّ، بل مرآةٌ تعكسُ روحَ مؤلِّفه، حيث تنسابُ كلماتُه بعذوبةٍ، تارةً لتناقشَ أعقدَ القضايا الفلسفيّةِ، وتارةً أخرى لتغوصَ في أدقّ مشاعرِ الإنسانِ. يقول في إحدى ليالي المؤانسة: "الكلامُ أشبهُ بالنّفسِ، لا





يَستغني عنه الإنسانُ، فإذا انقطعَ انقطعتِ الحياةُ". هذا التّعبيرُ بيانٌ فلسفيٌّ عنِ العلاقةِ الوجوديّةِ بين الإنسانِ واللّغةِ، يرفعُ الكلامَ إلى مرتبةِ الحياةِ ذاتِها.

يعكسُ أسلوبُ التّوحيديِّ أيضًا إتقانَه لفنِّ التّوازنِ بين الفكرِ والجمالِ. إذ عندما يناقشُ القضايا الفكريّةَ المعقّدةَ، لا يغفلُ عن رشاقةِ التّعبيرِ وسهولةِ الفهمِ، ما يجعلُ نصوصَه تحملُ شحنةً مزدوجةً: تعقيدَ الفكرةِ وبساطةَ العرْضِ. في حديثه عنِ العقل في كتابه (الإمتاع والمؤانسة)، يقول: «العقلُ هو البصرُ الذي ترى به النّفسُ حقائقَ الأشياءِ، وإن كُفَّ عنه الضّوءُ ظلّ معطّلًا كعينٍ في ظلام».

يؤكّدُ هذا التّشبيهُ البديعُ قدرةَ التّوحيديِّ على تصويرِ المفاهيمِ المجرّدةِ في صُورٍ حسيّةٍ قريبةٍ إلى الأذهانِ، وهو ما يجعلُ نصوصَه زادًا لا غنًى عنه للمترجِمين. فالمترجمُ الذي ينقلُ النّصوصَ إلى اللّغةِ العربيّةِ يجدُ فضاءً مفتوحًا منَ المفردات والصّوَر التي تتيحُ له إعادةَ صياغةِ الأفكارِ بلُغةٍ جديدةٍ، مع الحفاظِ على روحِ النّصِّ الأصليِّ.

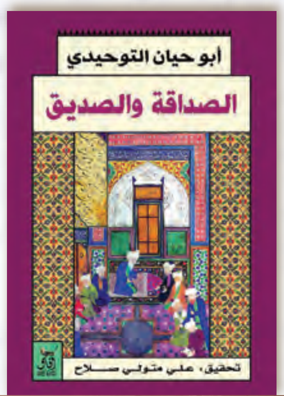
وما يزيدُ من جمالِ أسلوبِ التّوحيديِّ هو تلك الموسيقَى الدّاخليّةُ التي تتناغمُ في تراكيبِه. فهو يحرصُ على اختيارِ ألفاظٍ ذاتِ إيقاعٍ متّزنٍ، فلا تجدُ في جُملِه نشازًا يقطعُ حبلَ التّفكيرِ أو يثقلُ على الأذن. كلماتُه أشبه بخرزاتِ عقدٍ متناسقٍ، كلُّ واحدة منها تكمّلُ الأخرى، لتشكّلَ لوحةً مكتملةَ الأركان.

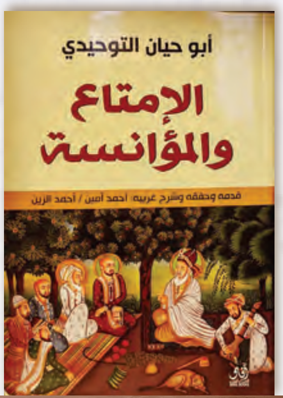
في كتاباته، تظهرُ اللّغةُ كأنّها نافذةٌ تطلُّ على عوالمَ متعدّدةٍ: عالَمِ الفكرِ، وعالَمِ الجمالِ، وعالَمِ الرُّوح. وهكذا، فإنّ أسلوبَه يمكّنُ المعنى منَ الرّقص على إيقاعِ الحروفِ ليصلَ إلى القلبِ والعقلِ في آنٍ واحدٍ. إنّه نموذجٌ يُحتذى لمن أراد الجمعَ بين الحكمةِ والأدبِ، أو أن يجعلَ من اللّغةِ أداةً تفتحُ أبوابًا لِلمعرفةِ والتّأمّلِ، دونَ أن تغلقَ نوافذَ الإحساسِ والإبداعِ.

الصّداقةُ والإنسانيّةُ في لُغةِ التّوْحيديِّ

لم يكن أبو حيّانَ التّوحيديُّ أديبًا فحسبُ، بل فيلسوفًا إنسانيًّا تناولَ العلاقاتِ الإنسانيّةَ بمزيجٍ منَ العاطفةِ الصّادقةِ والتّأمّلِ العميقِ، ممّا أكسبَ كلماتِه بعدًا يتجاوزُ حدودَ الزّمانِ والمكان. في كتابِه الشّهير (الصّداقة والصّديق)، أفرد فصولًا لبحث مفهوم الصّداقةِ، ليقدّمَ رؤيةً فلسفيّةً شاملةً لهذه العلاقةِ التي تتجاوزُ مجرّدَ التقاءِ المصالحِ أو تشابُهِ الصّفاتِ، إلى كونها تعبيرًا عن أعمقِ احتياجاتِ النّفسِ البشريّةِ. يقول التّوحيديُّ: «الصّداقةُ أملٌ مؤجّلٌ، تُرتجى ثمارُه في أوقات العُسرِ قبلَ اليُسر، وهي اليدُ التي

تمتدُّ لتُقيمَك إذا وقعتَ، والظّلُّ الذي يُؤويك إذا لفحتْك نارُ الهمومِ».
هذا التّصويرُ البلاغيُّ يجعلُ منَ الصّداقة مفهومًا يتجاوزُ التّعريفَاتِ المباشرةَ، ليصبحَ تجربةً روحيّةً تكشفُ عن جوهرِ الإنسانِ. هنا، تتجلّى قدرةُ التّوحيديِّ على التّعبيرِ عنِ القيمِ الإنسانيّةِ بلُغةٍ بليغةٍ تتخلّلُها صُورٌ مؤثّرةٌ تعكسُ أبعادَ الصّداقةِ النّفسيّةِ والعاطفيّةِ.
من أبرزِ الجوانبِ التي تجعلُ نصوصَ أبي حيّانَ مصدرَ إلهامٍ للمترجِمين هي معالجتُه للقيمِ الإنسانيّةِ بلُغةٍ تسكنُها الـرّوحُ. يعرّفُ أبو حيّانَ الصّديقَ بقولِه: «الصّديقُ إنسانٌ هو أنت إلّا أنّه غيرُك، فإذا صار لك صارَ كأنّك أنتَ، وإن فقدتَه فكأنّك فقدتَ نفسَك».
في هذا الوصفِ العميقِ، نلمسُ قدرةَ التّوحيديِّ على التّعبيرِ عنِ العلاقاتِ الإنسانيّةِ بعاطفةٍ مؤثّرةٍ ولُغةٍ ساميةٍ.
إنّ التّرجمةَ الحرفيّةَ لهذا النّصِّ قد تعجزُ عن نقلِ روحِه، ما يجعلُ المترجِمَ بحاجةٍ إلى الاستلهامِ من أسلوبِ التّوحيديِّ لتطويعِ النّصوصِ الأجنبيّةِ بالبُعدِ الإنسانيِّ نفسِه والبلاغةِ العاطفيّةِ نفسِها.
وتظهرُ رؤيتُه الإنسانيّةُ للصّداقةِ بوضوحٍ حين يقول: «من ليس له صديقٌ، كالسّفينةِ التي تمخرُ عُبابَ البحر بلا مرساةٍ، مصيرُها التّيهُ أوِ الغرقُ". إنّ هذا الأسلوبَ الأدبيَّ الغنيَّ يجعلُ القارئَ يشعرُ بثِقلِ





يعرّفُ أبو حيّانَ الصّديقَ بقولِه: «الصّديقُ إنسانٌ هو أنت إلّا أنّه غيرُك، فإذا صار لك صارَ كأنّك أنتَ، وإن فقدتَه فكأنّك فقدتَ نفسَك». في هذا الوصفِ العميقِ، نلمسُ قدرةَ التّوحيديِّ على التّعبيرِ عنِ العلاقاتِ الإنسانيّةِ بعاطفةٍ مؤثّرةٍ ولُغةٍ ساميةٍ.

فُقدانِ الصّديقِ وأهمّيّةِ وجودِه في الوقت نفسِه، ممّا يُضفي على كلماته بُعدًا عاطفيًّا قويًّا.
التّوحيديُّ مَصدرًا للمُفرداتِ الدّقيقةِ
أتقنَ أبو حيّانَ التّوحيديُّ لُغةً تُدهشُ القارئَ بتنوُّعِها ودقّتِها، فأبدعَ في اختيارِ الكلماتِ التي تنسابُ بسلاسةٍ دون عشوائيّةٍ، بل من خلال بناءٍ متكاملٍ يقومُ على انسجامِ المفردةِ مع السّياقِ، والتّوازنِ بين وضوحِ العبارةِ وجلاءِ المعنى. لهذا السّببِ، أصبح نصُّه مادّةً غنيّةً للمترجِمين الذين يبحثون عن مفرداتٍ تُغني اللّغةَ العربيّةَ، وتُتيحُ لهم ترجمةَ النّصوصِ الأجنبيّةِ بأسلوبٍ يُضيفُ إليه لمساتٍ.
في كتابِه (الإمتاع والمؤانسة)، يقول أبو حيّانَ عنِ الفصاحةِ: «الفصاحةُ أن تكونَ الألفاظُ موافقةً للمعاني، وأن تكونَ المعاني مشاكلةً للأغراض، وأن يكون كلُّ

ذلك مطبوعًا لا متكلّفًا».

هذا التّعريفُ انعكاسٌ لفلسفتِه اللّغويّةِ التي طبّقَها في كتاباتِه. فهو لا يكتبُ إلّا إذا انسجمتِ الكلمةُ مع المعنى انسجامًا طبيعيًّا يُبعدُها عنِ التّصنُّع، وهذا ما يجعلُ لغتَه مصدرًا ثريًّا للمفردات الدّقيقةِ التي يحتاجُ إِلَيْها المترجِمون عند نقلِ النّصوصِ التي تتطلّبُ دقّةً في التّعبيرِ ووضوحًا في المعنَى.



تنوُّعُ المفرداتِ في كتاباتِه

امتازَ التّوحيديُّ بتنوّعِ مفرداتِه، إذِ استخدم كلماتٍ متعدّدةً لتوصيفِ الشّيءِ الواحدِ، ما يمنحُ نصوصَه مرونةً تُساعدُ المترجِمَ على إيجاد البدائلِ المناسبةِ عند نقلِ الأفكارِ إلى لُغاتٍ أخرى. على سبيلِ المثال، في وصفِه للإنسان، يختارُ كلماتٍ تنبضُ بالدّقّة: «العاقلُ»، «المفكّرُ»، «النّاظرُ»، «المدبّرُ»، وكلٌّ منها يحملُ معنًى خاصًّا يناسبُ السّياقَ. في حديثِه عنِ العقل، يقولُ: «العقلُ هو البصرُ الذي ترى به النّفسُ حقائقَ الأشياءِ، وهو الميزانُ الذي به تُوزنُ الأمورُ، فمن تركَ العقلَ، كمن تركَ بصرَه، فلا يهتدِي في الظّلماتِ». في هذا الوصفِ، لا يكتفِي باستخدامِ كلمةٍ واحدةٍ للإشارةِ إلى العقل، بل يُحيطُه بمعانٍ مترابطةٍ تعطيه أبعادًا مختلفةً: فهو «بصر»، وهو «ميزان». هذا الأسلوبُ يجعلُ المترجِمَ أمامَ خياراتٍ متعدّدةٍ لنقل النّصِّ، حيث يمكنُه اختيارُ الكلمةِ التي تناسبُ السّياقَ في اللّغةِ الهدفِ.

المُترادفاتُ والتّعبيراتُ الغنيّةُ

أبدعَ أبو حيَّانَ في تطويعِ المفرداتِ لتناسبَ الأفكارَ المجرّدةَ والمعقّدةَ، ممّا يجعلُ من لغتِه أداةً تعليميّةً للمترجِمين لفهمِ كيفيةِ استخدامِ الكلمةِ بطريقةٍ مرنةٍ ودقيقةٍ. في أحد مقاطعِ الإمتاعِ والمؤانسةِ، يقول: «الحكمةُ ليست كلامًا يُقال، بل فعلٌ يُنال، وهي كالضّياءِ، لا يُرى إلّا حين تسطعُ، ولا تُدركُ إلّا حين تغيبُ الظّلماتُ.». نلاحظُ هنا كيف اختارَ كلمةَ «الضّياء» لوصفِ الحكمةِ، وهي كلمةٌ تحملُ دلالةً حسّيةً تترجمُ فكرةً مجرّدةً. هذا التّلاعبُ بالمفردات يجعلُ نصوصَه قابلةً للتّأويلِ بأساليبَ مختلفةٍ، وهو أمرٌ بالغُ الأهمّيةِ للمترجِمين الذين يحتاجون إلى نقلِ النّصوصِ بطريقةٍ تُراعِي الفروقاتِ الثّقافيّةَ واللّغويّةَ.

وأيضًا عندما يتحدّثُ عنِ النّفسِ البشريّةِ، يستخدمُ كلماتٍ مثل: «الرّوح»، «النّفس»، «السّرّ»، «اللّبّ»، وكلٌّ منها يشيرُ إلى جانبٍ معيّنٍ من مفهومِ النّفسِ. هذا التّنوّعُ يمنحُ المترجِمَ مساحةً منَ الحريّةِ الإبداعيّةِ، حيث يمكنُه اختيارُ التّعبيرِ الأنسبِ للمعنَى المطلوبِ.

في كتابه (الصّداقة والصّديق)، يصفُ التّوحيديُّ الصّداقةَ بمفرداتٍ دقيقةٍ تحملُ أبعادًا إنسانيّةً عميقةً: «الصّداقةُ هي المعونةُ في الأزماتِ، والسّكينةُ في المخاوفِ، والحبلُ المتينُ في خضمِّ الحياةِ».

نلاحظ هنا تعدّدَ المفرداتِ المستخدمةِ لتعريفِ الصّداقةِ: «المعونةُ»، «السّكينةُ»، «الحبلُ المتينُ»، وكلُّها تُظهرُ براعةَ

التّوحيديّ في اختيارِ كلماتٍ تُعبّرُ عن جوانبَ مختلفةٍ للفكرةِ الواحدةِ.

لُغةٌ مَرنةٌ للأفكارِ المعاصرةِ

على الرّغم من مرورِ قرونٍ على نصوصِ أبي حيّانَ، فإنّ لُغتَه ما تزالُ تصلحُ لتوصيفِ أفكارٍ معاصرةٍ بفضلِ دقّتِها ومرونتِها. يستطيعُ المترجِمُ الذي ينهلُ من مُفرداتِ نصوصِه أن يُطوّعَ كلماتِه لنقلِ معانٍ حديثةٍ دونَ أن يفقدَ النّصُّ أصالتَه. على سبيلِ المثالِ، استخدامُه لمفرداتٍ تصفُ العقلَ والعلمَ والحكمةَ يُعدّ أساسًا يمكنُ البناءُ عليه لترجمةِ نصوصٍ علميّةٍ وفلسفيّةٍ في العصرِ الحديثِ.

وَبِذلِكَ فَإِنَّ تحليلَ لُغتِه في مثل هذه المواضعِ يُكسبُ المترجمَ قدرةً على فهمِ العلاقةِ بين الكلمةِ والمعنى، وهي مهارةٌ أساسيّةٌ في التّرجمةِ، لا سيمَا حين ينقلُ المترجمُ نصًّا فلسفيًّا أو أدبيًّا إلى العربيّةِ عليه أن يتّبعَ هذا الأسلوبَ في انتقاءِ المفرداتِ التي توضّحُ الفكرةَ على الوجْهِ الأمثلِ.

العُمْقُ الفَلْسَفِيُّ في التّعْبِيرِ

لا بدَّ منَ التّطرُّقِ إلى البُعدِ الفَلسفيِّ في مؤلَّفاتِ التّوحيديِّ حتى لو بدا أنّها غيرُ ذاتِ صلةٍ في موضوعِنا المطروحِ هنا. في الواقعِ، كثيرًا ما يواجهُ المترجمُ نصوصًا أدبيّةً عميقةً وذاتَ بُعدٍ فلسفيٍّ لا يجوزُ نقلُها إلى العربيّةِ بمفرداتٍ عاديةٍ أو سطحيّةٍ في إيحاءِ معناها، فيقفُ حائرًا أمام صياغةِ العبارةِ المترجَمةِ ولا يجدُ الإلهامَ إلّا في العودةِ إلى جمالِ الأسلوبِ ورشاقةِ التّعبيرِ لدى التّوحيديِّ الذي يضيفُ بُعدًا فلسفيًّا عميقًا لمفرداته المنتقاةِ بدهاءٍ يَزِيدُ نصوصَه ثَراءً ويمنحُها أفقًا معرفيًّا واسعًا. فهو لا يتعمّدُ الزّخرفةَ اللّغويّةَ، بل يجعلُ من نصوصِه مرآةً تتجاوزُ سطحيّةَ الكلماتِ لتصلَ إلى لُبِّ الفكرةِ وجوهرِها.

منَ الأمثلةِ البارزةِ على براعة تعبيرِه الفلسفيِّ قولُه عنِ النّفس البشريّةِ في كتابه (الإمتاع والمؤانسة): «النّفسُ إن لم تُروّضْ بقيت كالدّابّةِ الجموحِ، تقودُ صاحبَها إلى المهالك، وإن هُذّبتْ صارتْ كالعُودِ المثمِرِ، يفيضُ عطاؤه على مَن حولَه». هنا يمزجُ التّوحيديُّ بين التّصوير البلاغيّ والبعدِ الفلسفيِّ ليصفَ النّفسَ بوصفٍ حسّيٍّ يُقرّبُ المفهومَ المجرّدَ إلى ذهن القارئ. ويظهرُ هذا العمقُ كذلك في حديثِه عنِ الوجودِ الإنسانيِّ، حيث يقولُ: «الإنسانُ نقطةٌ صغيرةٌ في بحر الوجود، لا يُدركُ عظمتَه إلّا إذا عرفَ ضَآلَتَهُ، ولا يُدركُ ضعْفَه إلّا إذا تأمّلَ قوّتَه». إنّه تعبيرٌ فلسفيٌّ لا يكتفي بوصْفِ الإنسان، بل يدفعُ القارئَ إلى التّفكّرِ في موقعه في هذا الكونِ الفسيحِ.

امتازَ التّوحيديُّ بتنوّعِ مفرداتِه، إذِ استخدمَ كلماتٍ متعدّدةً لتوصيفِ الشّيءِ الواحدِ، ما يمنحُ نصوصَه مرونةً تُساعدُ المترجِمَ على إيجادِ البدائلِ المناسبةِ عند نقلِ الأفكارِ إلى لُغاتٍ أخرى.

أبدعَ أبو حيّانَ في تطويعِ المفرداتِ لتناسبَ الأفكارَ المجرّدةَ والمعقّدةَ، ممّا يجعلُ من لغتِه أداةً تعليميّةً للمترجمين لفهمِ كيفيةِ استخدامِ الكلمةِ بطريقةٍ مرنةٍ ودقيقةٍ في أحد مقاطعِ الإمتاعِ والمؤانسةِ، يقول: «الحكمةُ ليست كلامًا يُقال، بل فعلٌ يُنال، وهي كالضّياءِ، لا يُرى إلّا حين تسطعُ، ولا تُدركُ إلّا حين تغيبُ الظّلماتُ».



بينَ الفِكرةِ واللّغةِ

أحدُ أبرزِ ملامحِ العُمقِ الفلسفيِّ عندَ التّوحيديِّ استخدامُه اللّغةَ وسيلةً لتجسيدِ الأفكارِ الفلسفيّةِ. يقولُ في إحدى تأمّلاتِه: «الزّمنُ هو الحبلُ الذي يربطُ الوجودَ بالفناء، والإنسانُ هو العقدةُ التي تشدُّ بين طرفَيْه». هنا يربطُ بين الأزمنةِ المتعاقبةِ والوجودِ الإنسانيِّ في صورةٍ مجازيّةٍ تُبرزُ حتميّةَ الفناء، وتحثُّ على التّأمّلِ في معنَى الحياةِ.

المعَاني الكونيّةُ والمجرّدةُ

يُبرزُ التّوحيديُّ في كتاباتِه مفاهيمَ كونيّةً ومجرّدةً بأسلوبٍ يتّسمُ بالوضوحِ والعُمقِ في آنٍ واحدٍ. عندما يتحدّثُ عنِ الحكمة، لا يكتفِي بتعريفِها، بل يمنحُها بعدًا فلسفيًّا وإنسانيًّا، حيث يقولُ:
«الحكمةُ ليست في أن تعرفَ كيف تتجنّبُ الألمَ، بل في أن تتعلّمَ كيف تعيشُ معه، لأنّه جزءٌ من طبيعتِك البشريّة». في هذا القول، يقدّمُ التّوحيديُّ رؤيةً فلسفيّةً عنِ الوجودِ الإنسانيِّ الذي لا ينفصلُ عنِ الألمِ والمعاناةِ، داعيًا إلى التّعايشِ معهما بدلاً منَ الهروبِ منهما.

التّجريدُ المقترنُ بالواقعِ

ما يجعلُ العُمقَ الفلسفيَّ في تعبيراتِ التّوحيديِّ مُؤثرًا هو اقترانُه بالواقعِ الإنسانيِّ اليوميِّ، إذ لا يكتفِي بالتّأمّلِ

> **من أبرزِ ملامحِ العُمقِ الفلسفيِّ عندَ التّوحيديِّ استخدامُه اللّغةَ وسيلةً لتجسيدِ الأفكارِ الفلسفيّةِ. يقولُ في إحدى تأمّلاتِه: «الزّمنُ هو الحبلُ الذي يربطُ الوجودَ بالفناء، والإنسانُ هو العقدةُ التي تشدُّ بين طرفَيْه». هنا يربطُ بين الأزمنةِ المتعاقبةِ والوجودِ الإنسانيِّ في صورةٍ مجازيّةٍ تُبرزُ حتميّةَ الفناءِ، وتحثُّ على التّأمّلِ في معنَى الحياةِ.**

المجرّدِ، بل ينطلقُ من تجاربِ البشرِ ليصلَ إلى خلاصاتٍ فلسفيّةٍ. في حديثِه عنِ الرّغبات، يقولُ: "الرّغبةُ نارٌ تشتعلُ في النّفسِ، فإن لم تُضبطْ أتت على صاحبِها، وإن وُضعتْ لها حدودٌ، أضاءت له دروبُ الحياةِ". في هذا التّشبيهِ، يجمعُ التّوحيديُّ بين البُعدِ المجرّدِ والواقعيِّ، ويصفُ الرّغبةَ كطاقةٍ يمكنُ أن تكون بنّاءةً أو مدمّرةً، حسبَ قدرةِ الإنسانِ على التّحكُّمِ بها.

اللّغةُ أداةٌ فلسفيّةٌ

ميزةُ التّوحيديِّ الكبرَى أنّه جعلَ اللّغةَ أداةً فلسفيّةً تُعبّرُ عنِ المعاني العميقةِ بأسلوبٍ مُبسّطٍ في ظاهرِه، لكنّه غنيٌّ بالدّلالاتِ. يقول: «الكلمةُ إذا خرجتْ من قلبِ مُفكّر، صارت فكرةً، وإذا خرجت من لسانٍ مُقلّدٍ، صارت صدًى لا يُسمعُ له». في هذا القول، يعبّرُ التّوحيديُّ عنِ العلاقةِ بين اللّغةِ

والفكرِ، مؤكّدًا أنّ القيمةَ الحقيقيّةَ للكلمةِ تأتي من وعْيِ صاحبِها وفكْرِه، لا من مجرّدِ النّطقِ بها.

هذا العُمقُ الفلسفيُّ في تعبيراتِ أبي حيّانَ التّوحيديِّ يمنحُ كتاباتِه فرادةً وجاذبيّةً، فقدِ استطاعَ أن يستخدمَ اللُّغةَ بعبقريّةٍ تُبرزُ الفكرةَ وتعمّقُها، ممّا يجعلُ من كتاباتِه زادًا لا غنًى عنه لكلِّ منَ يبحث عنِ الحكمةِ والجمالِ في آنٍ واحدٍ.

التّوحيديُّ مصدرًا للمَجازاتِ الغنيّةِ

اشتهرَ أبو حيّانَ باستخدامِه للمجازاتِ والتّشابيه التي تُضفي على نصوصِه عمقًا وجمالاً. في أحدِ مقاطعِ الإمتاعِ والمؤانسةِ، يقولُ: «العقلُ مصباحٌ، إذا أُضيء كشفتَ به زوايا النّفسِ، وإذا أُطفئَ غطّتك الظّلماتُ». هذا النّوعُ منَ المجاز يُغْنِي النّصَّ ويمنحُه مرونةً في التّرجمة، حيث يستطيعُ المترجِمُ أن يستلهمَ من هذا الأسلوب لنقلِ صُورٍ أدبيّةٍ غنيّةٍ بالخيال إلى لُغاتٍ أخرى لا سيما عند ترجمةِ الأدبِ السّرديِّ، مع الحفاظِ على روح النّصِّ وأصالتِه.

أبو حَيّانَ: أداةُ المترجِم بين اللُّغاتِ

تُعدّ أعمالُ أبي حيّانَ التّوحيديِّ مكتبةً مفتوحةً لكلِّ مترجِمٍ يطمحُ إلى فهمِ كيفيّةِ نقلِ الأفكارِ من لُغةٍ إلى أخرى بعنايةٍ وبلاغةٍ. وفي حين يواجهُ المترجمون تحدّياتٍ كبيرةً في نقل المعاني بدقّةٍ من لُغةٍ إلى أخرى والحفاظِ على «روح» النّصوصِ التي



قد تحتوِي على مستوياتٍ مُتعدّدةٍ منَ المعاني، يُعدُّ أسلوبُ التّوحيديِّ أداةً غنيّةً ومرنةً يمكنُ للمترجِمين الاستفادةُ منها لأنَّ نصوصَه تُعلّمُ المترجِمَ كيفيةَ التّعاملِ مع اللّغةِ ككائنٍ حيٍّ نابضٍ، يحتاجُ إلى مهارةٍ فائقةٍ لترويضِه دون فقدانِ جماليتِه. يُظهرُ أبو حيّانَ في مؤلّفاتِه قدرةً فائقةً على استخدامِ المفرداتِ الدّقيقةِ والمركّبةِ، والتّلاعبِ اللُّغويِّ الذي يجعلُ منَ النّصوصِ أكثرَ عمقًا وجاذبيةً، ويمنحُ المترجِمين أدواتٍ تساعدُهم على التّوفيقِ بين تبايُنِ اللّغاتِ.

إنّ المترجِمَ في عملِه لا يقتصرُ فقط على نقلِ الكلماتِ من لُغةٍ إلى أخرى، بل عليه أن ينقلَ الفكرةَ والمشاعرَ والسّياقاتِ الثّقافيّةَ أيضًا. وهذا بالضّبطِ ما يعينُ المترجِمين على فهمٍ أفضلَ لنقلِ الأفكارِ بين اللُّغاتِ من خلالِ اتّباعِ الأسلوبِ اللّغويِّ الرّائعِ الذي يتبعُه التّوحيديُّ. ففي مؤلّفاتِه ، يقدّمُ أبو حيّانَ أمثلةً لا حصرَ لها منَ التّراكيبِ الدّقيقةِ التي تساعدُ المترجِمَ في ضبط المعاني وتقديمِ النّصوصِ بأكثرِ الطّرقِ وفاءً للرّوحِ الأصليّةِ.

دِقّةُ اختيارِ المفرداتِ والتّراكيبِ

أحدُ أهمِّ مميّزاتِ التّوحيديِّ هو دقّةُ اختيارِه للمفرداتِ التي تحملُ في طيّاتها معانيَ متشابِكةً وغنيّةً، وهذا أكثرُ ما يحتاجُ إِلَيْهِ المترجِمون؛ إذ يُعطي لكلِّ كلمةٍ مكانتَها الخاصّةَ في بناءِ الجُملِ والمفاهيمِ. على سبيل المثالِ، في حديثه عنِ الصّداقةِ، لم يكتفِ التّوحيديُّ باستخدام كلمةٍ واحدةٍ، بلِ استخدمَ مجموعةً منَ المفرداتِ مثل «الرّفيق»، «الصّاحب»، «الأنيس»، «المؤنس»، وكلٌّ منها يحملُ دلالةً خاصّةً في بناء معنًى أوسعَ وأعمقَ. هذا التّوسّعُ في استخدامِ الكلماتِ يجعلُ التّوحيديَّ مصدرًا غنيًّا للمترجِمين الذين

يحتاجون إلى مفرداتٍ متعدّدةٍ لنقل معانٍ دقيقةٍ من لُغاتٍ أخرى.
في كتابه (الإمتاع والمؤانسة)، يطرحُ التّوحيديُّ أمثلةً منَ الحياةِ اليوميّة، ممزوجةً بفلسفةٍ عميقةٍ، تجعلُ اللّغةَ مرنةً وتفتحُ للمترجِمين آفاقًا واسعةً في التّعبير عنِ المفاهيمِ.



الأسلوبُ البلاغيُّ كأداةِ انتقالٍ بين اللُّغاتِ

في كتاباتِه، يعمدُ التّوحيديُّ إلى توظيفِ الأسلوبِ البلاغيِّ ليُعطيَ الكلمةَ بعدًا فلسفيًّا، ويحوِّلَ النّصوصَ إلى أشكالٍ فنّيةٍ عميقةٍ، تتحدّى المترجِمَ بأن يُحسنَ اختيارَ الكلماتِ ليعكسَ هذا الجمالَ في التّرجمةِ. وعليه، فإنّ الأسلوبَ البلاغيَّ عندَ التّوحيديِّ يُشكّلُ أداةً أساسيّةً تساعدُ المترجِمَ في نقل الرّوحِ الإبداعيّةِ للنّصوص من لُغةٍ إلى أخرى. ففي حديثه عنِ الفلسفة مثلاً، يقول: "الفلسفةُ ليست مجرّدَ علمٍ يُدَرَّسُ، بل هي روحٌ تَتَنَفَّسُ، تسري في أعماقِ الإنسان، ليصبحَ بهاءً يتوهّجُ في قلبِ الوجود.» هنا يُستخدمُ التّوحيديُّ استعاراتٍ بليغةً تجعلُ منَ الفلسفةِ حالةً شعوريّةً أكثرَ منها مجرّدَ مجموعةٍ منَ المعلومات. هذه الصّورةُ البلاغيّةُ تفتحُ أمامَ المترجِمين المجالَ لاختيارِ كلماتٍ قادرةٍ على نقل هذه المعاني العميقةِ للمفرداتِ، والتي ربّما تكونُ غائبةً في بعضِ اللّغاتِ الأخرى.

التّحدّياتُ اللّغويّةُ للمترجِمين

إنّ التّحدّيَ الذي يواجهُه المترجِمون في النَّهلِ من مُفرداتِ أبي حيَّانَ التّوحيديِّ هو كيفيّةُ الاستفادةِ من غنَى معانِيه الفلسفيّةِ التي تعتمدُ على التّلاعُبِ البلاغيِّ في اللّغةِ العربيّةِ عند ترجمةِ النّصوصِ من لُغةٍ أجنبيّةٍ قد لا تحتوي على الأبعادِ المعنويّةِ أو النّفسيّةِ نفسِها. ومع ذلك، يكمنُ جمالُ التّرجمة في قُدرة المترجِمِ على تكييفِ المفرداتِ والتّراكيبِ مع الوفاءِ لأصالةِ النّصّ وروحِه. يمكنُ للمترجِمِ أن يتعاملَ مع هذا التّحدّي من خلالِ الاستفادةِ منَ الأسلوبِ الدّقيقِ والتّصوّرِ البلاغيِّ الذي يعتمده التّوحيديُّ في نصوصِه، واختيارِ ما يعادلُ هذه الصّورَ البلاغيّةَ في اللّغةِ الأخرى أيضًا.

إرْثٌ لُغويٌّ خالدٌ

إنّ ما يجعلُ من أبي حيّانَ التّوحيديِّ نموذجًا حيًّا للمترجِمين هو غنَى لُغتِه وعُمقُ معانيه، فهو مفتاحٌ لآفاقِ الفهمِ بين اللّغاتِ والثّقافاتِ. ومع أنّ المترجِمين يواجهون تحدّياتٍ كبيرةً في نقلِ النّصوصِ من لُغاتٍ أجنبيّةٍ إلى اللّغةِ العربيّةِ، فإنَّ التّوحيديَّ يُقدّمُ لهم نبعًا غنيًّا ومرنًا يساعدُهم في تكييف المفرداتِ وتوسيعِ الأفقِ اللُّغويِّ.
لكنْ، من أجلِ أن يكونَ المترجِمُ قادرًا على نقل النّصوصِ ببلاغةٍ وعمقٍ كما فعلَ التّوحيديُّ، يجبُ عليه أن يُغْنِي مخزونَه اللّغويَّ من خلال النّهلِ من أُمّاتِ الكتبِ في اللّغةِ العربيّةِ وآدابِها، والتّوسّعِ في قراءة النّصوصِ التي أنجبتْها الحضارةُ العربيّةُ عبْرَ العصورِ. فالتّطلّعُ إلى كنوزِ الأدبِ العربيّ، منَ الشِّعر والنّثر والفلسفةِ، يجعلُ المترجِمَ ليس مجرّدَ ناقلٍ للمعاني، بل مبدعًا في صياغتِها، قادرًا على إيصالِ النّصوصِ بأعلَى درجاتِ الفصاحةِ والجمالِ.
إنَّ التّرجمةَ لا تقتصرُ على عمليّةٍ لفظيّةٍ فحسبُ، بل هي فنٌّ حقيقيٌّ يتطلّبُ إلمامًا عميقًا باللّغةِ وثقافتِها، والقدرةَ على استحضارِ جمالياتِها وأسلوبِها الخاصِّ في كلِّ كلمةٍ وجملةٍ. لذا، ينبغِي لِلْمُتَرْجِمينَ أن يفتحُوا آفاقَهم على تلك الكنوزِ اللّغويّةِ، ويُسهمُوا بدورِهم في نقل الفكرِ العربيِّ إلى اللُّغاتِ الأخرَى لِيعلمَ الجميعُ رحابةَ هذه اللّغة وجمالَها.



مُعجَميّات

- الأبعادُ المعرفيّةُ في صِناعةِ المعاجمِ التّاريخيّةِ العَـربيّةِ
- إشْكالِيَّــةُ المُصْطَلَـحِ العِلْمِيِّ في المُعْجَمِ العَرَبِيِّ
- من المُعجمِ التّاريخيّ للّغة العربيّة رحلــة مــع الجــذر (ص ف ر)

الأبعادُ المعرفيّةُ في صِناعـةِ المعاجِـمِ التّاريخيّـةِ العَـربيّـةِ

معجمُ الشّارقةِ أنمُوذَجًا

يُشكّلُ التّشظّي المعرفيّ المُعجميُّ المعاصرُ انفلاتًا خطيرًا لعددٍ كبيرٍ منَ الألفاظِ التي مرّت بها حياةُ اللّغةِ العربيّةِ من ناحيةِ الاستعمالِ والتّداوُلِ، ولذلك كانَ لزامًا على الباحثين المختصّين العربِ في الصّناعةِ المُعجميّةِ الاهتداءُ إلى صِناعةِ المعاجمِ، التي برزتْ كمشاريعَ طَموحةٍ للوجودِ في مرحلةٍ تاريخيّةٍ مَفْصليّةٍ مهمّةٍ خلالَ القرنِ الواحدِ والعشرين، حيث تهتمُّ بمتابعةِ المراحلِ التي مرّتْ بها حياةُ ألفاظِ اللّغةِ عمومًا وتطوّرِها عبرَ العصورِ المختلفةِ من حيثُ التّناولُ والتّداولُ، وترتيبُ التّطوّرِ في استعمالِ المفرداتِ من خلالِ تحديدِ المعنَى والمبنَى ضمْنَ مختلفِ المجالاتِ والسّياقاتِ العلميّةِ والمعرفيّةِ والثّقافيّةِ، وذلك منذُ أقدمِ العصورِ حتّى يومِ النّاسِ هذا، بحيث تأتي شواهدُ الاستعمالِ مرتّبةً ترتيبًا تاريخيًا مقابلَ كلِّ استعمالٍ وهو ما يجدُ فيه القارئُ جميعَ معاني الكلماتِ ومبانيها التي تنتمي إلى اللّغةِ في جميعِ مراحلِ تطوّرِها.



د. عاشور توامة
كاتب وناقد

وعلى هذا الأساسِ، فإنَّ المعاجمَ التّاريخيّةَ العربيّةَ تعملُ على جمعِ ألفاظِ اللّغةِ العربيّةِ المستعملةِ، سواءٌ في نصوصِها المطبوعةِ أوِ النّقوشِ المكتشفةِ منذُ القِدمِ، كما يُسعفُ المعجمُ التّاريخيُّ الذّاكرةَ الجمعيّةَ باللّفظِ العربيِّ الأصيلِ والمشتقِّ والدّخيلِ والمنحوتِ والمعربِ يسجّلُ تواريخَه في استعمالاتِه الأُولى، والنّظرِ في طورِ تحوّلاتِه البنيويّةِ والدّلاليّةِ، ويوثّقُ لتلك الذّاكرةِ العربيّةِ بالنّصوصِ التي تشهدُ على صحّةِ المعلوماتِ المرتبطةِ به؛ ليكون هذا المعجمُ المؤسّسُ ذاكرةً خالدةً وحافظةً للّغةِ العربيّةِ.

كما أنَّ هذه المعاجمَ التّاريخيّةَ لا تسدُّ بابَ الانفتاحِ على استدراكِ ما فاتَ منَ الألفاظِ ودلالتِها عبْرَ التّطوّرِ الزّمنيِّ، فهي معاجمُ قابلةٌ للتّعديلِ والتّصويبِ في أيِّ مرحلةٍ من مراحلِ إنجازِها وهذا ما لم تشهدْه غيرُها منَ المعاجمِ القديمةِ، إذ إنَّ اللّغةَ العربيّةَ ممتدّةٌ زمانيًّا ومكانيًّا نظيرَ انتشارِ ألفاظِها، ورواجِ مُرادفاتِها، وكثرةِ اشتقاقاتِها، ودقّةِ استعمالاتِها وتوسّعِها، وعددِ نصوصِها وتوزّعِها وشتاتِها أحيانًا، إضافة إلى ذَلِكَ،فَإنَّ هذه النّصوصَ قد تكون صعبةَ التّحقيقِ أحيانًا أخرَى.

ولذلك فإنَّ الرّؤيةَ العلميّةَ تقتضي تحديدَ طبيعةِ المعرفةِ المعجميّةِ وأهمّيتِها في التّمكّنِ اللّغويِّ؛ لاسيمَا وأنَّ اللّسانياتِ الحديثةَ قدِ اهتمّتْ بالمعرفةِ النّحويّةِ والصّرفيّةِ أكثرَ منِ اهتمامِها بالمعرفةِ المعجميّةِ، فكان لا بدَّ منَ التّركيزِ على المعرفةِ المعجميّةِ التي زادَ الإقبالُ عليها خلالَ هذه السّنواتِ الأخيرةِ من عصرِنا هذا، كما أضحَى الاهتمامُ بالقارئِ الّذي يُمَثِّلُ سُلْطَةً معرفيّةً تفاعليّةً تثاقفيّةً تفرضُ نفسَها على الدّراساتِ المعجميّةِ العربيّةِ؛ فضلاً عن تبيانِ دورِ طبيعةِ معرفةِ المفرداتِ للإسهامِ في تمكّنِ المتعلّمِ من لغتِه وتوسّعِه فيها، لذلك وجبَ إبرازُ الأبعادِ المعرفيّةِ للمعاجمِ



التّاريخيّةِ العربيّةِ، وتوضيحُ أثرِها في المتلقِّي المتخصِّصِ ودورِه في امتلاكِ المتعلّمِ الكفايةَ اللّغويّةَ واستعمالِها وطبيعةِ سَيرورتِها، فضلاً عنِ التّعريفِ بطبيعةِ المقارباتِ المتّصلةِ بها كالقُدرةِ المعجميّةِ وكفايتِها والمعجمَين الاستباقيِّ والإنتاجيِّ ودورِ الذّاكرةِ في بناءِ المعرفةِ.

إشكاليةُ صناعةِ المعاجمِ التّاريخيّةِ العربيّةِ :

تكمنُ إشكاليةُ صناعةِ المعاجمِ التّاريخيّةِ العربيّةِ عمومًا في ملاحظةِ بعضِ المفرداتِ التي لم تعُدْ صارمةَ الدّلالةِ في سياقاتِها الخاصّةِ، بل صارتْ مصطلحاتٍ عنقوديّةً إنْ فككتَها انفجرت إلى معانٍ متباينةٍ، فضلاً عَنِ التّنازعِ في نسبةِ النّصوصِ إلى مؤلّفيها الأوائلِ بعيدًا عنِ التّصحيفِ والانتحالِ، ولذلك فإنّ الاهتمامَ بصناعةِ المعاجمِ التّاريخيّةِ العربيّةِ جاء لأجلِ تقصِّي دلالةِ

> **إنَّ المعاجمَ التّاريخيّةَ العربيّةَ تعملُ على جمعِ ألفاظِ اللّغةِ العربيّةِ المستعملةِ، سواءٌ في نصوصِها المطبوعةِ أوِ النّقوشِ المكتشفةِ منذُ القدمِ، كما يُسعفُ المعجمُ التّاريخيُّ الذّاكرةَ الجمعيّةَ باللّفظِ العربيِّ الأصيلِ والمشتقِّ والدّخيلِ والمنحوتِ والمعربِ يسجّلُ تواريخَه في استعمالاتِه الأولى، والنّظرِ في طورِ تحوّلاتِه البنيويّةِ والدّلاليّةِ.**

هذه الألفاظِ والمفرداتِ وَضَبْطِها ، وملاحقةِ مسارِها التّاريخيِّ وتطوّرِها المفهوميِّ التّداوليِّ بوَصْفِها أداةً ووسيلةً للتّفاعلِ التّاريخيِّ والحضاريِّ من ناحيةٍ، والمحافظةِ على سلامةِ اللّغةِ العربيّةِ وانتشارِها والتّمسّكِ بها حَيْثُ تُعَدُّ إحدَى دعائمِ الثّقافةِ ومكوّناتِ الهويّةِ العربيّةِ من ناحيةٍ ثانيةٍ.

أهدافُ المعاجمِ التّاريخيّةِ للنّهوضِ بالأمّةِ العربيّةِ :

تهدفُ المعاجمُ التّاريخيّةُ إلى تغذيةِ الأمّةِ العربيّةِ خاصّةً، والإنسانيّةِ جمعاءَ بما هو ضروريٌّ لتطوُّرِ مباحثِ المعجميّةِ، وتعزيزِ مكانةِ اللّغةِ العربيّةِ وانفتاحِ العلومِ والمعارفِ على العالَمِ، وتأثيرِها فيه وإقامةِ حوارٍ حضاريٍّ معه دون انعزالٍ أوِ انكفاءٍ على الذّاتِ.

كما تهدفُ هذه المعاجمُ التّاريخيّةُ إلى أهمّيةِ اكتسابِ الكفايةِ اللّغويّةِ والمنهجيّةِ في نطاقِ توسيعِ اكتسابِ

مفرداتِ اللّغةِ العربيّةِ، وذلك بإيلاءِ المعاجمِ المكانةَ التي تَستحقُّها في تعلّمِ اللّغةِ العربيّةِ وكيفيةِ تداوُلِها عبرَ العصور، ولذلك فإنّ المعاجمَ التّاريخيّةَ ستُسهمُ في تحديدِ معالمِ التّمكينِ اللّغويِّ للباحثين من مختلفِ المجالاتِ اللّغويّةِ والعلومِ الإنسانيّةِ والدّراساتِ البينيّةِ من خلال تلاقحِ العلومِ وتَضَايُفِها، حيث إنّ الأبحاثَ المعاصرةَ اليومَ تتّجهُ نحوَ الاهتمامِ بالدّراساتِ المعجميّةِ والمفرداتِ وجعلِها منطلقًا قاعديًّا لتعليمِ اللّغةِ، وما يتّصلُ بها من أنشطةٍ تعلّميّةٍ وتخصّصيّةٍ من خلال الاكتسابِ الضّمنيِّ للمفرداتِ ومعانِيها بطريقةٍ واعيةٍ أم لا واعيةٍ، وَفقَ سياقاتٍ مختلفةٍ، أو عن طريقِ التّعلّمِ الصّريحِ وهو ما يجعلُ الدّارسَ واعيًا بدورِه في توظيفِه لإستراتيجيّاتِ تعلُّمِ المفرداتِ؛ خاصّةً الإستراتيجيّات ما فوقَ المعرفيّة، ممّا يعني محاولةَ استنباطِ المعنى؛ من خلال السّياقِ، أو من خلال المُعجمِ، أو تَكرارِ معنى هذه المفردةِ في سياقاتٍ متباينةٍ.



ستيفن كرشان

أبعادُ المعرفةِ المعجميّةِ ونتائجُها على المتعلِّم.

شرعَ الاهتمامُ بالمعرفةِ المعجميّةِ لتعلّميّةِ التّرجمةِ في أثْناءِ القيامِ بمحاولةِ تشكيلِ معجمٍ للّغةِ الإنجليزيّةِ، يُحصِي مفرداتِها ويهتمُّ بإبرازِ أهمِّيَّتِها في اكتسابِ تعلّميّةِ الكفايةِ اللّغويّةِ، حيث أسهمتْ في توسيعِ نطاقِ اكتسابِ مفرداتِ اللّغةِ الإنجليزيّةِ، وذلك بــإيلاءِ المعجمِ المكانةَ التي يستحقُّها في تعلّمِ اللّغةِ الأجنبيّةِ، وَعَدِّهِ أساسًا مُهمًّا في التّمكينِ اللّغويّ، بحيث اتّجهتِ الأبحاثُ إلى الاهتمام بالمفرداتِ وجعلِها مُنطلقًا قاعديًّا لتعليم اللّغةِ وما يتّصلُ بها من أنشطةٍ تعلّميّةٍ.

كما احتدمَ الجدلُ والنّقاشُ بين الباحثين عَنْ سُبلِ تعلّمِ المفرداتِ وتلقِّيها، ومن يُقرُّ بفاعليةِ التّعليمِ الصّريحِ المباشرِ من خلال مختلفِ الأنشطةِ التّعليميّةِ ضمْنَ العمليّةِ التّعلّميّةِ ككلٍّ، في حينِ يذهبُ زمرةٌ منَ الباحثين إلى أنّ التّعليمَ الضّمنيَّ للمفرداتِ هو الذي يحقّقُ نتائجَ أفضلَ وواعدةً، وقد تمثّلَ هذا الانقسامُ في نوعين من عمليّةِ التّعلّمِ هي:

1 - التّعلّمُ الضّمنيُّ: تُكْتَسَبُ المفرداتُ ومعانِيها بطريقةٍ لا واعيةٍ في أثناء مجابهةِ المتعلّمِ لها وَفقَ سياقاتٍ مختلفةٍ، ومن خلال اندماجِ المتعلّمِ في الأنشطةِ اللّغويّةِ خاصّةً القراءةَ والاستماعَ دون سابقِ معرفةٍ منَ المتعلّمِ ودون توجيهِه من قِبلِ المدرّسِ، وهو الشّأنُ نفسُه في تعلّمِه للغتِه الأصلِ، ولذلك تُكتسبُ اللّغةُ عبرَ فهمِ العباراتِ والرّسائلِ اللّغويّةِ؛ لأنّ وعيَ الإنسان يركّزُ على معنى العباراتِ وليس على شكلِها؛ وهذا ما يُدعَى بــ (التّعلّم المفاجِئ) عندَ كرشان (krashen).

2 - التّعلّمُ المباشرُ(الصّريحُ): ويتطلّبُ هذا النّوعُ معرفةَ المتعلّمِ بجملةِ المفرداتِ التي يهدفُ المدرّسُ





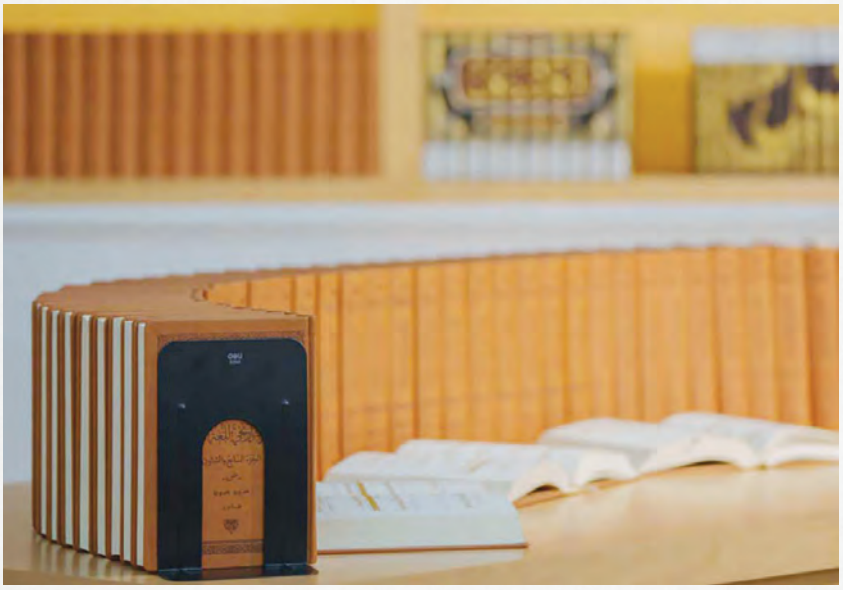
إلى تعليمِها إِيَّاهُ في حصّةٍ ما، بحيث يكونُ اكتسابُ المفرداتِ بسيطًا من خلالِ وضْعِها في مقطعٍ تعليميٍّ؛ والانطلاقِ منَ المفرداتِ المتضمَّنةِ في المعجمِ الأَسَاسي للتّواصلِ، وهي ما تجعلُ المتعلّمَ واعيًا بدورِه في فعل التّعلّمِ وتوظيفِه لِإستراتيجيّاتِ تعلُّمِ المفرداتِ؛ خاصّةً الإستراتيجيّاتِ ما فوقَ المعرفيّةِ كملاحظةِ أنَّ هذه المفردةَ – مثلًا- غيرُ مألوفةٍ، ممّا يعني محاولةَ استنباطِ المعنى من خلالِ السّياقِ؛ أو من خلالِ القاموسِ أو تَكرارِ معنى هذه المفردةِ في سياقاتٍ متباينةٍ.

وعلى هذا الأســاسِ من تبيانِ كيفيّةِ تعلّمِ واكتسابِ المفرداتِ بطريقةٍ فعّالةٍ يجبُ تحليلُ حاجياتِ المتعلّمين، واحترامُ الأنشطةِ الفصليّةِ كما يأتي:

* وضعُ المفرداتِ وَفقَ معانٍ سياقيّةٍ، ووفْقَ أنشطةِ المهاراتِ اللّغويّةِ الأربعِ: (الاستماعِ/ الحديثِ/ القراءةِ/ الكتابةِ).
* ربطُ علاقةٍ بين المفرداتِ الجديدةِ والمفرداتِ القديمةِ.
* إغناءُ المعرفةِ حول المفردةِ من خلالِ أنشطةِ الكلماتِ المتقاطعةِ وألعابِ المفرداتِ.
* استخدامُ تقنياتٍ مختلفةٍ لتحليلِ مكوّناتِ المفردةِ الخريطةِ الدّلاليّةِ وإكسابِ المتعلّمِ مهاراتِ البحثِ في القاموسِ.
* مجابهةُ المتعلّمِ للمفردةِ في وضعياتٍ تواصليّةٍ مختلفةٍ.
* قيامُ المتعلّمِ بعملياتِ المقارنةِ والتّصنيفِ والتّجميعِ ممّا يساعدُه على اكتسابِ معرفةٍ معجميّةٍ واسعةٍ والمشاركةِ الفعّالةِ للمتعلّمِ في سيرورةِ التّعلّمِ، إذ متعلّمُ المستوياتِ المتقدّمةِ لديه مسؤوليّةٌ في سَيرورةِ تعلُّمِه؛ ممّا يساعدُه على استنتاجِ معاني المفرداتِ وتخمينِها، وتوظيفِه لِإستراتيجيّاتِ تعلّمِ المفرداتِ؛ لأنّه أصبحَ متعلّمًا مستقلًّا، وهذا ما يَفْتَقِرُ إليه المتعلّمُ المُبتدئ.

* ولكي ينجحَ المدرّسُ في عمليةِ تدريسِه للمفرداتِ يجبُ مراعاةُ ما يأتي:

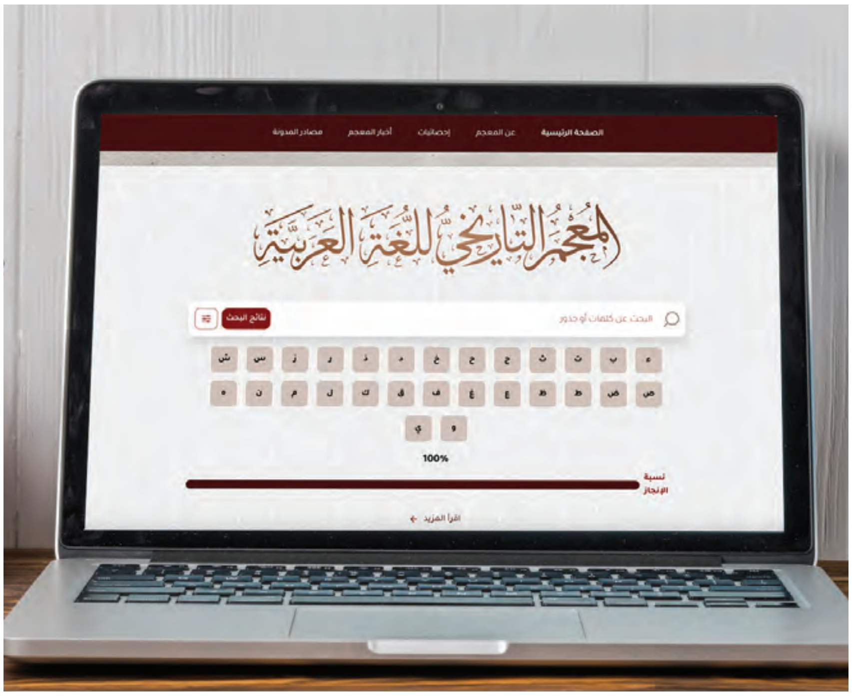
* تحديدُ قائمةِ المفرداتِ التي يعرضُها على المتعلّمِ؛ لأنّه إذا تجاوزَ عتبةً معيّنةً انعكسَ ذلك على تعلُّمِه للّغةِ الهدفِ، ثمّ يجبُ أن ينطلقَ تعليمُه منَ المفرداتِ الأكثرِ تداولًا في الأداءِ الفعليِّ للكلامِ، وهي الألفاظُ التي توصفُ عادةً بالألفاظِ الأساسيّةِ في التّواصلِ، ثمّ الارتقاءِ بها بواسطة التّرادفِ والتّضادِّ والاشتقاقِ إلى الكلماتِ الأقلِّ تداولًا.
* الابتعادُ عن حشوِ ذهنِ المتعلّمِ بمفرداتٍ قد لا يحسنُ استعمالَها، ويوجّهُ المدرّسُ كلَّ جهدِه نحوَ اكتسابِ المتعلّمِ القدرةَ على التّعبيرِ بدقّةٍ عن مختلفِ المفرداتِ التي يقعُ عليها اختيارُه لبعض المعاييرِ، أهمُّها:
* خلوُّ المفردةِ منَ الحروفِ المتنافرةِ من حيث اتّحادُ مخارجِها أَوْ تقارُبُها.
* تفضيلُ الصّيغةِ ذاتِ الحروفِ القليلةِ والمجرّدةِ عنِ المزيد، والمفرداتِ التي يُشتقُّ منها على غيرِها؛ لأنّ المشتقّاتِ تُسَهِّلُ على الـذّاكـرةِ الإحاطةَ بها واستعادتَها عند الاقتضاء.
* اختيارُ لفظٍ واحدٍ لكلِّ مفهومٍ إلّا في حالة شيوعِ المترادفاتِ.



الأهدافُ المحقّقةُ من صِناعةِ المعاجمِ التّاريخيّةِ العربيّةِ:

إنّ الأبعادَ المعرفيّةَ في صِناعةِ المعاجمِ التّاريخيّةِ العربيّةِ عبرَ

مسارِها التّطوُّريِّ هي امتدادٌ للمعاجمِ اللّغويّةِ وعلاقاتِها بالتّصوّراتِ النّظريّةِ والمنطلقاتِ العلميّةِ التي عَمِلت على تشكُّلِها؛ بناءً على مصادرِها الأساسيّةِ من جهةٍ، وبناءً على موقعِها في سُلّمِ المعرفةِ المعجميّةِ من جهةٍ ثانيةٍ، وكذلك بناءً على الكفاياتِ المنهجيّةِ في ضبطِ طبيعةِ صناعةِ هذه المعاجمِ ووسائلِها ووظائفِها، والتّصوّراتِ المنهجيّةِ الأخرى التي تهدفُ إلى تنظيمِ إجراءاتِها المعياريّةِ والنّسقيّةِ والتّحريريّةِ الملائمةِ لمجالاتِها من جهةٍ ثالثةٍ، فضلاً عَنِ الطّرائقِ الإجرائيّةِ الرّقميّةِ المعمولِ بها في تنوّعِ مجالاتِها وأغراضِها وترتيبِها وتبويبِها ضمْنَ مختلفِ مجالاتِ اللّغةِ العربيّةِ وفروعِها والتّخصّصاتِ المجاورةِ لها وعلومِ الطّبيعةِ والتّقنيةِ وغيرِها.



الأبعادُ المعرفيّةُ في صناعةِ معجمِ الشّارقةِ التّاريخيِّ:

6-1/ البعدُ التّاريخيّ الحضاريّ:

ويرتبطُ بتاريخِ تطوّرِ المعاجمِ عمومًا من خلالِ إبرازِ سعْيِ الباحثين والمختصِّين في الصّناعةِ الـمُعجميّةِ إلى مواكبةِ مستجدّاتِ الاستعمالِ اللّفظيِّ في مختلفِ البيئاتِ الثّقافيّةِ والمجالاتِ العلميّةِ، ويتمثّلُ في الاهتمامِ بتطوُّرِ المعاجمِ التّاريخيّةِ وخصائصِها وأهمّيتِها لاسيما معجمُ الشّارقةِ التّاريخيّ كأساسٍ للنّهضةِ اللّغويّةِ العربيّةِ التّاريخيّةِ، من خلالِ دورِ المؤسّساتِ المتخصّصةِ والدّاعمةِ لا سيمَا التّنْسيقِ مع الجامعاتِ العربيّةِ والمجامعِ اللّغويّةِ العربيّةِ في التّمكينِ لهذه النّهضةِ

> **إن البعدَ التّاريخيّ الحضاريّ يرتبطُ بتاريخِ تطوّرِ المعاجمِ عمومًا من خلالِ إبرازِ سعْيِ الباحثين والمختصِّين في الصّناعةِ المُعجميّةِ إلى مواكبةِ مستجدّاتِ الاستعمالِ اللّفظيِّ في مختلفِ البيئاتِ الثّقافيّةِ والمجالاتِ العلميّةِ.**

العلميّةِ الحضاريّةِ الشّاملةِ.

6-2/ البُعدُ النَّظريّ اللّسانيُّ التّداوليُّ:

ويتمثّلُ في سعْيِ الباحثين إلى تحديدِ طبيعةِ المعاجمِ التّاريخيّةِ ووظيفتِها في نطاقِ بنيتِها اللّفظيّةِ، وإفادتِها المعرفيّةِ كمنظومةٍ مُعجميّةٍ تمنحُها هويّتَها الخاصّةَ ضمْنَ مختلفِ العلومِ ومجالاتِها، والتي تتيحُ لها الاستعمالَ الإيجابيَّ لتقديرِ مدى قُدراتِها على استيعابِ حياةِ الألفاظِ ومدلولاتِها، واختبارِ نجاعتِها في الإحاطةِ بها؛ انطلاقًا من متطلّباتِ النّاسِ في إسعافِ ألسنتِها في كنفِ الحياةِ التّواصليّةِ الاجتماعيّةِ كظاهرةٍ تعبيريّةٍ (لسانيّةٍ) عامّةٍ؛ إلى ممارسةٍ لُغويّةٍ (تداوليّة) متمايزةٍ لها سماتٌ خاصّةٌ، ولذلك فإنَّ التّطرّقَ إلى الأساسَيْن (اللّسانيّ والتّداوليّ) لمعجمِ الشّارقةِ التّاريخيّ، يمكنُ استثمارُه في مختلف مجالاتِ الحياةِ والعلومِ والمعارفِ وما يتفرّعُ عنها مِن اهتماماتٍ وإشكالاتٍ ومقترحاتٍ.

6-3/ البُعدُ العلميُّ المنهجيُّ:

ويتمُّ من خلالِه تقويمُ أسهلِ الطّرائقِ

لإعدادِ معجمِ الشّارقةِ التّاريخيّ، وتجنُّبُ المنهجيّاتِ المعقّدةِ التي من شأنها أن تجعلَ القارئَ يقعُ في شتاتِ استعمالِ الألفاظِ والتّداولِ والتّداخلِ والاضطرابِ وعدمِ وضوح الرّؤيةِ، وهذا من أجلِ رأبِ صدعِ تلك الفجواتِ اللّفظيّةِ التّداوليّةِ وتجاوُزِ المعضلاتِ المنهجيّةِ، التي تعيقُ تقدّمَ صناعةِ معجمِ الشّارقةِ التّاريخيّ في تحقيق أهدافِه المسطّرةِ وغاياتِه المنشودةِ، علمًا أنَّ هذه الـمُعضلاتِ قد تكون قصديّةً أو غيرَ قصديّةٍ، ولهذا فإنَّ البعدَ المنهجيَّ المدروسَ يتغيّا سلامةَ المنهجِ في الكشفِ عن صعوباتِ إعدادِ معجمِ الشّارقةِ التّاريخيّ، وإشكالاتِ التّرتيبِ وعملياتِ التّنقيحِ والتّصويبِ والتّحديثِ والإغناءِ والتّطويرِ؛ لاسيمَا ما تعلّقَ بالمصطلحاتِ، فضلاً عنِ الكفاياتِ المنهجيّةِ في إعـدادِه، والمكتسباتِ والرّهاناتِ التي سيعوّلُ عليها مستقبلاً.

6-4/ البُعدُ الإجرائيُّ الرّقميُّ:

يهتمُّ هذا البعدُ بالنّظامِ الرّقميِّ وحوسبةِ الألفاظِ ودورِها في صناعةِ معجمِ الشّارقةِ التّاريخيِّ مواكبةً للتّحوّلاتِ العلميّةِ الحاصلةِ في صناعةِ المعاجمِ العالميّةِ، وترتيبِ ألفاظِه ترتيبًا صناعيًّا مراعاةً للتّرتيبِ التّاريخيِّ القائمِ على الجذورِ، وإرفاقِ كلِّ وحدةٍ لُغويّةٍ بمعلوماتٍ تتضمّنُ معناها أو مبناها ممّا تستقِيه المصادرُ الموثّقةُ من معلوماتٍ مُثبتةٍ وشواهدَ مُتداولةٍ.

وخصوصًا ما تعلّقَ بالمعنى الدّقيقِ للمصطلحِ في كلِّ فرعٍ من فروعِ المعرفةِ؛ لأنَّ مدلولَ كلِّ مصطلحٍ يتغيّرُ طبقًا لحقلِ الاختصاصِ المشتغَلِ فيه.

ولذلك فإنّ هذا البُعدَ يَهْتَمُّ أَيَّ اهْتِمامٍ بـمباحِثِ الدّلالةِ المعجميّةِ، ودورِ اللّسانيّاتِ الحاسوبيّةِ في تسهيلِ مُعجميّةِ الرّصيدِ اللّغويّ العربيّ ؛ وبرمجتِه للتّسيير وَفْقَ الأغراضِ والاستعمالاتِ؛ كالإحصاءِ، والوصفِ، والتّعدّدِ الدّلاليِّ، والتّوزّعِ اللّغويّ: الصّوتيّ والصّرفيّ والنّحويّ والبلاغيّ، ولذلك فإنّ معجمَ الشّارقةِ التّاريخيِّ يهدفُ إلى المعالجةِ الآليّةِ الدّقيقةِ لأجلِ الانْتِظامِ في سياقاتِ الإلكترونيّةِ المعاصرةِ، والتي تُبرزُ قابليّةَ اللّغةِ العربيّةِ للتّطويرِ والاستفادةِ من مُنجزاتِ اللّسانيّاتِ الحاسوبيّةِ كغيرِها منَ اللُّغاتِ الأخرى.

خاتمةٌ:

على الرّغمِ منَ الجهودِ المبذولةِ من قِبلِ الباحثين والمعجميّين والحاسوبيّين في صناعةِ معجمِ الشّارقةِ التّاريخيِّ، إلّا أنّ المساعيَ حثيثةٌ ومتواصلةٌ؛ لتخطيطٍ مُحكمٍ وتنفيذٍ ملتزمٍ باعتمادِ كوادرَ بشريّةٍ مُتعددةِ الاختصاصاتِ، ومُراجِعِين، ومدقّقِين، وفقهاءِ اللّغةِ في كلِّ فرعٍ من فروعِ المعرفةِ، وهو ما يؤكّدُ نجاعةَ صناعةِ مُعجمِ الشّارقةِ التّاريخيِّ الطّموحِ والواعدِ تحت وصايةِ صاحب السّموّ الشّيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكمِ إمارةِ الشّارقة؛ عضوِ المجلسِ الأعلى للاتّحاد في دولة الإمارات العربيّة المتحدة -حفظه الله ورعـاه- على دعمِه الكبيرِ وتمويلِه السّخيِّ المنقطعِ النّظيرِ لهذا المشروعِ التّاريخيِّ العظيم ، وإدارةِ الأستاذ الدّكتور امحمد صافي المستغانمي الذي حمل لواءَ مشعلِ الأجيالِ، وثقةَ صاحبِ السّموّ فكان أمينَ تنفيذِ مشروعِه الحضاريِّ الذي لاح كبارقةِ الأمل، وأطلّ من شارقةِ الأزل، فكان خارطةَ الطّريقِ الأدلّ، وإحْـدَى المفاخرِ العربيّةِ وكوادرِ الأمّةِ الإسلاميّةِ، وأحدَ علمائنا الأجلّاءِ ورجالِنا الأكْفاءِ وأدبائِنا النّبلاءِ.

المراجع:

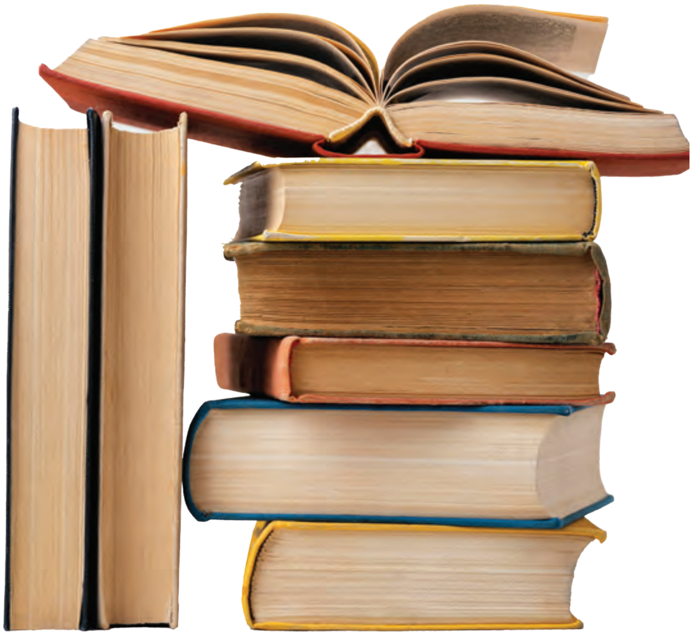
❋ الحسن عبد النوري، طبيعة المعرفة المعجمية ودورها في التمكن من اللغة واستعمالها، مجلة أنساق، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، دولة قطر، مج 2، ع2، يونيو 2018م.

❋ عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، ع4، 1974م، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، الجزائر.

❋ Schmitt, N, Vocabulary in language teaching, Cambridge: Cambridge University Press, 2000.

❋ Nation I, S, P, Teaching Vocabulary :Strategies and Techniques. Boston : Heinle, Cengage Learning,2008, .

❋ Krashen, S, We Acquire Vocabulary and Spelling by Reading: Additional Evidence for The Input Hypothesis, Modern Language Journal,73 (4), 1989.



إِشْكالِيَّةُ المُصْطَلَحِ العِلْمِيِّ في المُعْجَمِ العَرَبِيِّ



د.البشـير التهالي
أستاذ جامعيّ- المغرب

يُخَيَّلُ إِليَّ أَنَّ اسْتِعْمالَ المُصْطَلَحِ العِلْمِيِّ في المُعْجَمِ العَرَبِيِّ لَمِنَ الإِشْكالاتِ اللَّافِتَةِ الّتي تُعانيها اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ هذهِ الأَيَّامَ، في الوَقْتِ الذي يَشْهَدُ المُصْطَلَحُ حَرَكَةً نَشِطَةً بَيْنَ مُخْتَلِفِ اللُّغاتِ الحَيَّةِ؛ ذلكَ أَنَّ كُلَّ لُغَةٍ مِنَ اللُّغاتِ تَدَّعي أَنَّها الأَقْدَرُ على تَحمُّلِ عِبْءِ مُواكَبَةِ العَصْرِ الحَديثِ المُتَسارِعِ نَحْوَ اسْتِقْبالِ التِّقْنياتِ الحَديثَةِ. ومِنْ هُنا نَتَساءَلُ عَنْ إِمْكانِيَّةِ التَّعاوُنِ بَيْنَ النُّقّادِ واللُّغَوِيّينَ مِنْ أَجْلِ تَطْويرِ مُعْجَماتِنا لِتَسْتَطيعَ التَّصدِّيَ لِلْكَلماتِ الأَجْنَبِيَّةِ التي تَغْزو لُغَتَنا العَرَبِيَّةَ في هذا العَصْرِ.

والحَقُّ أَنّ المُعْجَمِيِّينَ العَرَبَ أَرادوا أَنْ يَدْعموا اللُّغَةَ ويَحْرسوها ويُطوِّروها، ومِنْ ثَمَّ تَدَخَّلَ النُّقّادُ في شَرْحِ النُّصوصِ الأَدَبِيَّةِ، و تَقْويمِ اعْوِجاجِها لُغَوِيًّا، قَبلَ تَقْويمِ اعْوِجاجِها أُسْلوبِيًّا ومَنْهجِيًّا وموضوعيًّا. ولا يستطيعُ أحدٌ أن يُنْكِرَ أَنَّ العُلومَ تَتَّكِئُ على اللُّغَةِ في التَّواصُلِ مَعَ المُتَلَقّي الّذي يَسْتَقْبِلُ المُصْطَلَحاتِ الحَديثَةَ بِصَدْرٍ رَحبٍ، أَوْ يَضْرِبَ صَفْحًا عَنْهَا حِينَ يَشْعُرُ بِغُموضِها، وحِينَ تَتَبَنّى المُصْطَلَحاتُ لُغَةً غَريبَةً وصَعْبَةً ومُشَوَّشَةً وغَيْرَ واضِحَةٍ.

ولا شَكَّ في أَنَّ العُلَماءَ يَتَّكِئونَ على المُعْجماتِ في تَغْذِيَةِ لُغَتِهِمْ؛ وكُلَّما كانَ المُعْجَمُ واضِحًا وغَنِيًّا ومُماشِيًا المُحيطَ والعَصْرَ، كانَ أَكْثَرَ تَلْبِيَةً لاحْتِياجاتِ تَطَوُّرِ العُلومِ؛ وكُلَّما قَصَّرَ المُعْجَمُ في مُهِمَّتِهِ التَّواصُلِيَّةِ وفي تَصْديرِ المُفْرَداتِ الأَكْثَرِ تَلْبِيَةً لاحْتِياجاتِ العَصْرِ والبِيئَةِ والمُجْتَمَعِ، ابْتَعَدَ المُصْطَلَحُ عَنْ جُمْهورِهِ.

ولكنْ، لِنَتَساءَلْ أَوَّلًا: هَلْ حاوَلَ أَجْدادُنا العَرَبُ أَنْ يُعَرِّبوا المُصْطَلَحاتِ الأَجْنَبِيَّةَ ويُدْخِلوها إلى الاسْتِعْمالِ اليَوْمِيِّ بَعْدَ تَوْطينِها في المُعْجماتِ العَرَبِيَّةِ، وهَلْ تَلَقّى اللُّغَوِيّونَ العَرَبُ القُدامى المُصْطَلَحَ الأَجْنَبِيَّ بِصَدْرٍ رَحبٍ؟

وبادئَ ذي بدءٍ، مِنَ المُفَضَّل فَهْمُ مَعْنى «المُصْطَلَحِ».

أَوَّلًا - تَعْريفُ المُصْطَلَحِ:

قَدَّمَ اللُّغَوِيّونَ العَرَبُ شُروحاتٍ ودِراساتٍ عِدَّةً هادِفَةً إلى الإحاطَةِ بالمُصْطَلَحِ. فَقَدْ كَتَبَ الدكتورُ البَشيرُ التّهالي، مُتَحدِّثًا عَن المُصْطَلَحِ بِقَوْلِهِ:

«فَعِلْمُ المُصْطَلَحِ بِنْيَةٌ تَتَكَوَّنُ مِن عُنْصُرَيْنِ هُما: العِلْمُ والمُصْطَلحُ. ويُفيدُ اجْتِماعُهُما على وَجْهِ الإِضافَةِ كَوْنَ الأَوَّلِ لاحِقًا بالثّاني، أَيْ كَوْنُ المُصْطَلَح شَرْطًا لِوُجودِ العِلْم بِهِ. أَمّا طَبيعَةُ هذا العِلْمِ فَهِيَ النَّظَرُ في المُصْطَلَحِ القائِمِ، والْتِماسُ إِدْراكِهِ

عَلى نَحْوٍ تَأَمُّلِيٍّ يُنْتِجُ خِطابًا ميتالغويًّا يُحيطُ بِمَبادِئِ المُصْطَلَحاتِ، ومراقبِها الدَّلاليَّةِ، وقواعِدِ بِنائِها وتَفْكيكِها اسْتِنادًا إلى النَّسَقِ اللُّغَوِيِّ العامِّ. إنَّهُ إجْمالاً يَتَداوَلُ ثَلاثَةَ مَواضيعَ:

1 - العلاقاتُ بينَ المفاهيمِ التي تُؤَسَّسُ عَلَيْها المُواضَعاتُ الاصْطِلاحيَّةُ.

2 - الآليّاتُ اللُّغَوِيَّةُ التي تَتَحَكَّمُ في اجْتِراحِ المُصْطَلَحاتِ وتَمْثيلِها في العُلُومِ.

3 - البَحْثُ في الطُّرُقِ العامَّةِ المُؤَدِّيَةِ إلى خَلْقِ اللُّغَةِ العِلْمِيَّةِ والتِّقْنِيَّةِ بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ التَّطْبيقاتِ العِلْمِيَّةِ في لُغَةٍ طَبيعِيَّةٍ بِذاتِها» (01).

والحَقُّ أَنَّ المُصْطَلَحاتِ العِلْمِيَّةَ في الـمُعْجماتِ العَرَبِيَّةِ تُشَكِّلُ جُزْءًا لافِتًا مِنَ الإرْثِ اللُّغَوِيِّ والثَّقافِيِّ للعالَمِ العَرَبِيِّ. ولَعَلَّ هذِهِ المُصْطَلَحاتِ تَسْتَحْوِذُ على المَفهوماتِ العِلْمِيَّةِ الرَّئيسَةِ التي تُسْتَخْدَمُ لِتَحْليلِ الخِطابِ النَّقْدِيِّ لِلْأَدَبِ والفَنِّ والعِلْمِ، كَما أَنَّها تُتَرْجِمُ تاريخَ الأَفْكارِ والتَّصَوّراتِ النّقديَّةِ والعِلْمِيَّةِ والفَنِّيَّةِ في العُصورِ المُخْتَلِفَةِ والمُتَحَوِّلَةِ.

ثانيًا - المُصْطَلَحاتُ الدَّخيلَةُ

ولَعَلَّ مَجامِعَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ هِيَ الَّتي تَسْتَقْبِلُ الكَلِماتِ الأَجْنَبِيَّةَ الضَّرورِيَّةَ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، حِينَ تَعْمَلُ عَلى تَكْييفِ المُصْطَلَحاتِ الأَجْنَبِيَّةِ مِنْ خِلالِ جَعْلِها أَكْثَرَ اتِّساقًا مَعَ القَواعِدِ الصَّوْتِيَّةِ والإِمْلائِيَّةِ العَرَبِيَّةِ. وإِنَّ إِدْراجَ المُصْطَلَحاتِ الجَديدَةِ في الـمُعْجَماتِ العَرَبِيَّةِ يُعَدُّ اعْترافًا رَسْمِيًّا باعْتِمادِها. ولِذلكَ يَقومُ المُعْجَمِيّونَ بِتَحْليلِ اسْتِخْدامِ الكَلِماتِ في مَصادِرَ مُخْتَلِفَةٍ قَبْلَ دَمْجِها وتَبَنّيها لُغَوِيًّا.

> **عِلْمُ المُصْطَلَحِ بِنْيَةٌ تَتَكَوَّنُ مِن عُنْصُرَيْنِ هُما: العِلْمُ والمُصْطَلَحُ. ويُفيدُ اجْتِماعُهُما على وَجْهِ الإِضافَةِ كَوْنَ الأَوَّلِ لاحِقًا بِالثّاني، أَيْ كَوْنُ المُصْطَلَحِ شَرْطًا لِوُجودِ العِلْمِ بِهِ.**

> **لَعَلَّ مَجامِعَ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ هِيَ الَّتي تَسْتَقْبِلُ الكَلِماتِ الأَجْنَبِيَّةَ الضَّرورِيَّةَ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، حِينَ تَعْمَلُ عَلى تَكْييفِ المُصْطَلَحاتِ الأَجْنَبِيَّةِ مِنْ خِلالِ جَعْلِها أَكْثَرَ اتِّساقًا مَعَ القَواعِدِ الصَّوْتِيَّةِ والإِمْلائِيَّةِ العَرَبِيَّةِ.**

ثالثًا - المُصْطَلَحُ والمُعْجَمُ

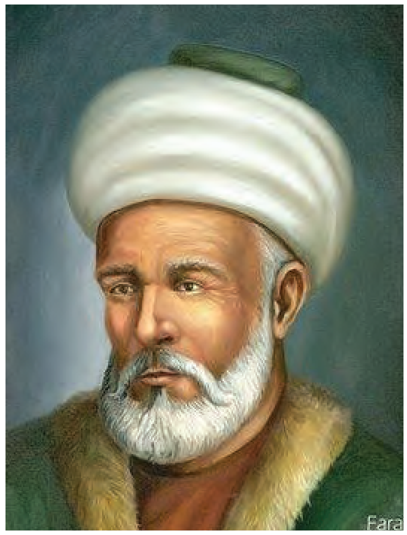
يُخيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ الـمُعْجَماتِ العِلْمِيَّةَ تُعَدُّ مَصادِرَ مُهِمَّةً لِلْباحِثِينَ في مَجالِ تَحْليلِ النُّصوصِ الأَدَبِيَّةِ ودَرْسِها. ولا شَكَّ في أَنَّ هذِهِ الـمُعْجماتِ تُسْهِمُ في تَقْديمِ تَعْريفاتٍ دَقيقَةٍ وشُروحاتٍ مُفَصَّلَةٍ لِلْمُصْطَلَحاتِ العِلْمِيَّةِ، مِمّا يُساعِدُ عَلى تَعْميقِ فَهْمِ القُرّاءِ لِلنُّصوصِ وتَحْليلِها بِطُرُقٍ مُخْتَلِفَةٍ.

والحَقُّ أَنَّ هناكَ مَراجِعَ عَرَبِيَّةً عِدَّةً تَتَناوَلُ مَوْضوعَ دُخولِ المُصْطَلَحاتِ إلى الـمُعْجماتِ وتَطَوُّرِها. ولَعَلَّ تاريخَ تَطَوّرِ الـمُعْجماتِ العِلْمِيَّةِ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ طَويلٌ ومُعَقَّدٌ، إِذْ تَأَثَّرَتِ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ بِشَكْلٍ كَبيرٍ بِالتَّرْجَمَةِ والنَّقْلِ مِنَ اللّغاتِ الأُخْرى، وأَقْصِدُ اليُونانِيَّةَ والفارِسِيَّةَ خِلالَ العُصورِ الذَّهَبِيَّةِ لِلإِسْلامِ. وتَضَمَّنَتِ الـمُعْجماتُ العَرَبِيَّةُ القَديمَةُ مُصْطَلَحاتٍ أَعْجَمِيَّةً نَتيجَةً لِتَأَثُّرِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِاللّغاتِ الأُخْرى مِنْ خِلالِ التَّفاعُلِ الثَّقافِيِّ والتِّجارِيِّ والسِّياسِيِّ.

وقَدْ ساعَدَتْ هذِهِ الـمُعْجماتُ في تَوْثيقِ الكَلِماتِ الأَعْجَمِيَّةِ التي اسْتَوْعَبَتْها اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ عَبْرَ الزَّمَنِ، فانْعَكَسَ التَّأْثيرُ المُتَبادَلُ بَيْنَ الثَّقافاتِ واللُّغاتِ المُخْتَلِفَةِ.

ويُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّ هذه الـمُعْجماتِ كانَتْ أَساسِيَّةً في نَقْلِ المُصْطَلَحاتِ النَّقْدِيَّةِ والعِلْمِيَّةِ إِلى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، وأَسْهَمَتْ إِسْهامًا كَبيرًا في تَشْكيلِ الفِكْرِ العِلْمِيِّ والثَّقافِيِّ العَرَبِيِّ وتَطَوُّرِهِ عَبْرَ التّاريخِ؛ كَما تُعَدُّ هذِهِ الـمُعْجماتُ بِدايَةً مُمْتازَةً لِفَهْمِ طَريقَةِ وُلوجِ المُصْطَلَحاتِ إِلى الـمُعْجَماتِ العَرَبِيَّةِ وتَطَوُّرِها. إِذْ كَتَبَ مصطفى العلواني:

«واللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ مِطْواعَةٌ تَتَجاوَبُ مَعَ المُخْتَرَعاتِ والمُسْتَجِدّاتِ وقَدِ اعْتَنى بِها العَرَبُ وأَحاطوها بِضُروبٍ مِنَ العِنايَةِ والتَّقْديسِ ومَنْ يَقْرَأْ رَسائِلَ إِخْوانِ الصَّفا يُشاهِدْ بِأُمِّ عَيْنِهِ كَيْفَ أَنَّهُمْ يَتَصَرَّفونَ بِها ويَجِدونَ المُقابِلَ لِما يُتَرْجِمونَهُ وإِذا لَمْ يَجِدوهُ اشْتَقّوا ذلكَ واعْتَمَدوا أَغْلى ما تَمْتازُ بِهِ اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ مِنْ مُرونَةٍ وخَصائِصَ، وبِذلكَ لَمْ يَجِدِ الأَقْدَمونَ حِينَ تَرْجَموا عَنِ الهِنْدِ واليونانِ وغَيْرِها مِنَ اللُّغاتِ أَيَّ عَنَتٍ واسْتِحالَةٍ. ولَعَلَّ ما قامَ بِهِ حنينُ بنُ إسحاقَ مِنْ مواليدِ الحيرة سَنَةَ 809 للميلادِ خَيرُ دَليلٍ عَلى قُدْرَةِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الاشْتِقاقِيَّةِ وإِمْكانِيّاتِها الّتي تُتيحُها أَوْزانُها لنقْلِ المصطلحِ الأجنبيّ؛ فَقَدْ جاءَ في مَقالٍ للدكتور أحمد جوهري نَشَرَتْهُ مَجَلَّةُ عالَمِ الفِكْرِ الكُوَيْتِيَّةُ في العَدَدِ 1 مِنْ عام 2014 تَحْتَ عُنْوانِ (التَّرْجَمَةُ العَرَبِيَّةُ.. جُذورُ المُمارَسَةِ، وبُذورُ النَّظَرِ) كَيْفَ اسْتَعْمَلَ حُنَيْنُ بْنُ إِسْحاقَ صِيَغَ المَصادِرِ لِلدَّلالَةِ عَلى أَسْماءِ الأَمْراضِ مِثْلِ (وَزْنِ فَعَل: وَجَع، خَدَر، زَلَق) (وزن فَعَلان: سَيَلان، خَفَقان، إتيان) وكَيْفَ أَسْهَمَ في وَضْعِ المُصْطَلَحِ العَرَبِيِّ المُقابِلِ لِلْمُصْطَلَحِ اليونانِيِّ مِثْلِ مُصْطَلَحِ طَبَقَةِ الشَّبَكِيَّةِ، كَما اعْتَمَدَ حُنَيْنٌ في تَوْليدِهِ لِلْمُصْطَلَحِ العِلْمِيِّ العَرَبِيِّ عَلى تِقْنِيَّتَيْنِ أَساسِيَّتَيْنِ، هُما: تِقْنِيَّةُ اسْتِحْداثِ أَلْفاظٍ جَديدَةٍ وتِقْنِيَّةُ تَحْويلِ المَعْنى كاسْتِعْمالِ لَفْظٍ عامٍّ لِلدَّلالَةِ على مَعْنًى نَوْعِيٍّ» (02).



الفارابي

وقَدِ اسْتَعْمَلَ إِخْوانُ الصّفا، في رَسائِلِهِمْ، مَجْموعَةً واسِعَةً مِنَ المُصْطَلَحاتِ العِلْمِيَّةِ والفَلْسَفِيَّةِ، وكانَ بَعْضُها ذا أُصولٍ أَجْنَبِيَّةٍ، فَتَأَثَّروا بِالثّقافاتِ والفَلْسَفاتِ اليُونانِيَّةِ والفارسيَّةِ والهِنْدِيَّةِ وغَيْرِها. وتَظْهَرُ هذِهِ التَّأْثيراتُ في اسْتِعْمالِهِمْ لِمُصْطَلَحاتٍ ومَفاهيمَ عِلْمِيَّةٍ وفَلْسَفِيَّةٍ مُسْتَمَدَّةٍ مِنْ تِلْكَ الحَضاراتِ.

إنَّ اسْتِعْمالَ المُصْطَلَحاتِ في المُعْجماتِ العَرَبِيَّةِ يُمثِّلُ إغْناءً لافِتًا لِلْفُنونِ والآدابِ العَرَبِيَّةِ، ويَعْكِسُ تَطَوُّراتِ الفِكْرِ العِلْمِيِّ والثَّقافِيِّ عَبْرَ مُخْتَلِفِ العُصورِ.

وذَكَرَ الفارابيُّ في كِتابِ:«إِحْصاءُ العُلوم» المُصْطَلَحَ اليونانيَّ (الاسْطقْساتِ) مِنْ دونِ تَعْريبٍ؛ فَقَدْ كَتَبَ:

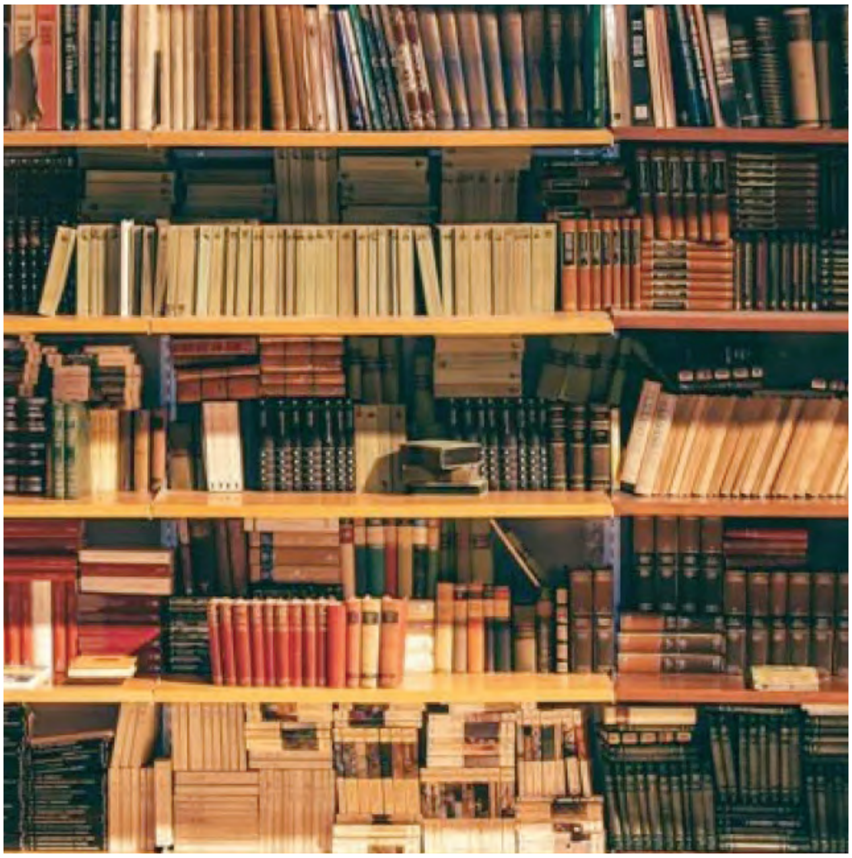


«الكِتابُ المَنْسوبُ إِلى إِقْليدس الفيثاغُوري فِيهِ أُصولُ الهَنْدَسَةِ والـعَـدَدِ، والـمَـعْـروفُ «بِكتابِ الاسْطقْسات»، والـنَّـظَـرُ فيها بِطَريقَتَيْنِ: -1طَريقُ التَّحْليلِ، -2 وطَريقُ التَّركيبِ» (03)

كَما كَتَبَ الفارابِيُّ، شارِحًا مَعْنى «السُّفسْطائِيَّةِ» بِاليونانِيَّةِ: «وهُوَ مُرَكَّبٌ في اليونانِيَّةِ مِن (سوفيا) وهِيَ الحِكْمَةُ و(اسطس) وهِيَ المُمَوَّهَةُ. فَمَعْناهُ حِكْمَةٌ مُمَوَّهَةٌ»(04).

لَعَلَّ اللّافِتَ أَنَّ هُناكَ مُعْجَماتٍ حَديثَةً حَرَصَتْ عَلى ذِكْرِ الكَلِماتِ الدَّخيلَةِ؛ مِنْها:

مُعْجَمُ القسِّ طوبيا العنيسي الحَلَبِي المُسَمَّى «تَفْسيرُ الأَلْفاظِ الدَّخيلَةِ في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ مَعَ ذِكْرِ أَصْلِها بِحروفِهِ". فَقَدْ أَعْلَنَ في مُقَدِّمَةِ كِتابِهِ " أَنَّ رَدَّ الدَّخيلِ إِلى أَصْلِ لُغَتِهِ قَدْ أَرْهَقَهُ؛ لِأَنَّ العَرَبَ مِنْ دَأْبِهِمْ وَضْعُ الدَّخيلِ في قالَبٍ عَرَبِيٍّ بَعْدَ تَصْحيفِهِ وتَحْريفِهِ أَوْ بِإِسْقاطِهِمْ بَعْضَ حُروفِهِ وتَبْديلِها أَوْ بِإِضافَتِهِمْ إِلَيْهِ بَعْضَ أَحْرُفٍ عَرَبِيَّةٍ ونَحْو ذلكَ» (05).



الخاتِمَةُ:

ومِنَ الـمُفيدِ أَنْ نَطْرَحَ نِقاطًا مُهِمَّةً تَهْدِفُ إِلى تَطْويرِ مُعْجَماتِنا، مِنْها:

1 - الدَّعْوَةُ إِلى تَطْويرِ مُعْجَماتِنا وتَشْكيلِ فِرَقِ عَمَلٍ ثابِتَةٍ، مُهِمَّتُها مُراقَبَةُ الـمُصْطَلَحاتِ الأَجْنَبِيَّةِ الوارِدَةِ، والاجْتِهادُ في إِيجادِ الـمُصْطَلَحِ العَرَبِيِّ الـمُقابِلِ، عَنْ طَريقِ التَّرْجَمَةِ والتَّعْريبِ.

2 - التَّرْكيزُ عَلى تَعْريبِ الـمُفْرَداتِ والـمُصْطَلَحاتِ الغَرْبِيَّةِ الـمُتَّصِلَةِ بِالإِعْلامِ والشّابِكَةِ وتَغْذِيَةِ مُعْجَماتِنا بِها؛

3 - الاهْتِمامُ بِتَأْليفِ الـمَوْسوعاتِ وإِعْدادِ الـمَخابِرِ اللُّغَوِيَّةِ الحَديثَةِ.

4 - نَبْذُ التَّعَصُّبِ الأَعْمى في اسْتِعْمالِ الـمُصْطَلَحِ الأَعْجَمِيِّ، حِينَ يَكونُ اسْتِقْبالُ الـمُعْجَمِ الأَجْنَبِيِّ ضَرورَةً لِمُواكَبَةِ التَّطَوُّرِ التِّقْنِيِّ الحَديثِ بَعيدًا مِنَ التَّعْقيدِ.

5 - الدَّعْوَةُ إِلى عَقْدِ النَّدَواتِ الدَّوْرِيَّةِ الـمُتَّصِلَةِ بِعِلْمِ الـمُصْطَلَحِ الّتي تُسْهِمُ في تَسْهيلِ إِدْخالِ الـمُصْطَلَحِ الوافِدِ إِلى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.

ومَهْما يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَإِنَّ اسْتِعْمالَ المُصْطَلَحاتِ في المُعْجَماتِ العَرَبِيَّةِ يُمَثِّلُ إِغْناءً لافِتًا لِلْفُنونِ والآدابِ العَرَبِيَّةِ، ويَعْكِسُ تَطَوُّراتِ الفِكْرِ العِلْمِيِّ والثَّقافِيِّ عَبْرَ مُخْتَلِفِ العُصورِ.

مَصادِرُ البَحْثِ ومَراجِعُهُ

(01) البشير التهالي: تعريف المصطلحات في الفكر اللساني العربي أسسه المعرفية وقواعده المنهجية، دار الكتب العلمية، 2013، ص: 71.

(02) مصطفى العلواني: اتجاهات ثقافية، مرونة اللغة العربية، مجلة الوطن 28-/6/2016.

(03) الفارابي: إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان محمد أمين، مكتبة الخانجي، 1931 ، ص: 38.

(04) نفسه، ص: 24.

(05) طوبيا العنيسي الحلبي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، تحقيق: يوسف توما البستاني ،مكتبة العرب، 1932 ص: ب.



من المُعجمِ التّاريخيّ للّغة العربيّة

رحلــــة مــــع الجــــذر (ص ف ر)

لا يقتَصرُ المُعجمُ التّاريخيّ للغة العربيّة في وظيفته على تفسير الكلمات وسرد الدّلالات، بل هو مشروع حضاريّ يهدف إلى إعادة إحياء الذّاكرة اللغويّة والثقافيّة العربيّة من خلال استدعاء السّياقات التّاريخيّة والتّحوّلات التي مرّت بها الكلمات عبر العصور، وفي هذا السّياق يذهب علم اللّغة التّاريخيّ إلى أنّ: «لكلّ كلمةٍ تاريخها الخاصّ» (1)، وهذا هو جوهر المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة؛ الذي يكشف قدرة كلّ كلمةٍ في اللّغة على رواية رحلتها الطّويلة داخل الثّقافة والفكر العربيّ.



شيماء عبدالله عبدالغفور
باحثة لغوية في مجمع اللغة العربية بالشارقة



إن اللّغة هي مرآة كل تغيير فكريّ وثقافيّ ومعرفيٍّ تمرّ به الأمّة، والعربيّة تزيد على اللّغات الأخرى في عُمرها وطول تجربتها وشهاداتها على نقلاتٍ فكريّة جوهريّة كان الإسلام أسماها، ورصدها لتطوراتٍ حضاريّة عالميّة. ولعلّ العربيّ اليوم لا تُحدِثُ الكلمات في نفسه الدّهشة التي تستدعيها معرفة أصولها وقصتها وتبدلاتها، لذا يمحو المعجم التّاريخيّ غبار العادة ليعيد لنا الدّهشة التي تستحق أن تبعثها الكلمات في النّفس، وليؤكّد ترابط الحضارة العربية مع العالم وأثرها في تشكيل الفكر الإنسانيّ. ومن هنا، فإن هذا المقال يتتبع رحلة (الصّفرِ العربيّ) من خلال الجذر «ص ف ر»، ورصدِ تطوّر دلالاته من مفهومٍ حسّيّ إلى مصطلحٍ رياضيٍّ قلب موازين العلوم والحضارة، ليس على مستوى الثّقافة العربيّة فحسب، بل

على مستوى الثقافات العالميّة، وهو ما يصوّر قدرة اللّغة العربيّة وأهلها على نقل المعارف وتطويرها وتصديرها إلى العالم.

يؤرخ المعجم التّاريخيّ لأكثر من 60 مدخلاً للجذر «ص ف ر» متتبعًا دلالاته التي تنوعت بين المادي والمعنوي، والحسّيّ والمجرّد، والحقيقي والمجازي، وراصدًا ما استُحدث من تلك الدلالات وارتبط بعصر دون آخر، مدوّنًا ما وصلنا من استعمالاته الأولى، ويُظهر المعجم أن من أوائل الدلالات التي ارتبطت بمداخل هذا الجذر هي دلالة اللّون، إذ يورد المعجم في سياق عرضه للنّظائر أن الجذر "ص ف ر" احتفظ بدلالاته في عددٍ من اللغات القديمة، إذ ارتبط بمعنى اللّون الأصفر في سياقات مختلفة. ففي الأكادية، ورد الاسم "siparr" بمعنى "النحاس الأصفر أو البرونز"، وهو ما يتوافق مع الكلمة العربية "صُفْر" في البنية والمعنى، مع إبدال الصّاد إلى سين في الأكادية.

أما في الفينيقية، فقد ورد الاسم "Ṣpr" بمعنى "طير"، ويُرجّح ارتباطه باللّون الأصفر الذي يميز بعض الطّيور، وفي الجعزية، نجد تحوّل الجذر "ص ف ر" إلى "s'afara"، حيث ورد بمعنى "اصفِرارٌ، ذبولٌ"، وهو ما يتجلّى في نصٍّ جعزيٍّ يصف حالة الاصفرار بوصفها علامةً على الذّبول والضّعف.

وفي تتبّعٍ دقيق لدلالة الجذر في العربيّة نجد دلالة اللّون حاضرة منذ عصر ما قبل الإسلام:

2: صَفِرَ	فعل

2-1: صَفِرَ الشّيء (بِكَسْرِ الفاءِ) صَفْرةً: صارَ أَصْفَرَ اللّون . فَهْوَ أَصْفَرُ وهِيَ صَفْراءُ. (ج) صُفْرٌ.

(ق. س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

قال ثَبِتُ الأَكْبَرُ (ت: 352هـ=م931) يَذْكُرُ كَرَّ الأَيَّام ومُرُورَها:

مَنَعَ البَقاءَ تَقَلُّبُ الشَّمْسِ* وطُلوعُها مِنْ حَيْثُ لا تُمْسي**

وطُلوعُها بَيْضاءَ صافِيَةً*وغُروبُها صَفْراءَ كالوَرْسِ**

ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ج: 1، ص: 630.

كما وثّق المعجم التّاريخيّ ارتباط اللّون الأصفر بالعديد من الدلالات المجازيّة والمجردة التي تمثّلت باقتران اللّون الأصفر بمشاعر الضّعف والهزال وحتّى المرض، والواقع أنّ هذا الاقتران يُعدّ انعكاسًا لما أسماه الفلاسفة وعلماء الإدراك بـ"المحتوى الدلاليّ الإدراكيّ التصوريّ للألوان" (2)، إذ يختزن الإنسان دلالات الألوان من خلال التّجارب الحسيّة والبيئيّة التي يعيشها ويعايشها، ومن ذلك، أن اللّون الأصفر الذي يكتسبه الإنسان أثناء المرض يعكس الضّعف والشّحوب، وهنا يتجاوز اللّون طبيعته الماديّة إلى دلالة معنويّة تعبر عن الضّعف والهزال والمرض، وتجسّد صورة خياليّة توثقها اللّغة وتحفظها عبر الزمن، لتعطينا فهمًا أعمق لتجربة الإنسان ولغة مشاعره. ومن

يمحو المعجم التّاريخيّ غبار العادة ليعيد لنا الدّهشة التي تستحق أن تبعثها الكلمات في النّفس، وليؤكّد ترابط الحضارة العربية مع العالم وأثرها في تشكيل الفكر الإنسانيّ.



الخوارزمي

ذلك ما أورده المعجم التّاريخيّ عن اقتران اللّون الأصفر بالموت:

8-1: ❋ اصْفَرَّتْ أَنامِلُ فُلانٍ: أَوْشَكَ عَلى المَوْتِ أَوْ ماتَ.

(ق س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

قالَ: المُتنَخِّلُ الهُذَلِيُّ (ت: 63ق.هـ=560م) يَرْثي وَلَدَهُ:

والتّارِكُ القِرْنَ مُصْفَرًّا أَنامِلُهُ ❋❋ كَأَنَّهُ مِنْ عُقارِ قَهْوَةٍ ثَمِلُ

ديوان الهذليين. تح: محمّد محمود الشنقيطي، ج: 2، ص: 34.

ومن ذلك أيضًا:

12-5: o واصْفِرارُ البَنانِ أَوِ اليَدِ ونَحْوِهِما: اقْتِرابُ المَوْتِ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: الفَرَزْدَقُ (ت: 110هـ=728م) يُصَوِّرُ مَصيْرَ مَنْ يَزورُ ضَبَّةَ:

ولَيْسَ رَئيسٌ زارَ ضَبَّةَ مُخْطِئًا ❋❋ يَدَيْهِ اصْفِرارٌ بِالأَسِنَّةِ أَوْ أَسْرُ

الفرزدق، ديوانه. تح: علي فاعور، ج: 1، ص: 225.

وهنا يظهر أنّ التّغير اللّونيّ (للأصفر) لم يكن مجرد ملاحظة بصريّة، بل اعتبره العرب في كثير من المواضع رمزًا للنهاية أو الانحسار، ومعبّرًا عن فقدان القوّة والحياة، ومن ذلك تلوّن الشمس بدرجات الأصفر قبيل انحسارها، وعلى الرغم من أن الشمس عند الغروب قد تأخذ ألوانًا أخرى كالبرتقالي، فإن العقل العربيّ اختزل المشهد بلون أصفر، يرتبط في ذاكرته بفكرة الفراق والزوال، إذ يورد المعجم:

6-2: و—— الشَّمْسُ: تَغَيَّرَ لَوْنُها إِلى الصُّفْرَةِ ودَنَتْ لِلْغُروبِ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: أبو مِسْحَلٍ الأَعرَابِيُّ (ت: 230هـ=845م):

"يُقالُ: صَفَّرَتِ الشَّمْسُ لِلْغَيْبوبَةِ".

أبو مسحل الأعرابي، كتاب النوادر. تح: عزّة حسن، ج: 1، ص: 92.

ويزامن المعجم التّاريخيّ بين الدّلالة اللّونيّة للجذر "ص ف ر" ودلالة الخلوّ والفراغ، إذ يبدأ بتتبّع أصولها الصوتيّة الحسيّة، مشيرًا إلى أن صوت الصّفير هو دليل مادي مسموع للخلوّ والفراغ. فالصّفير يعكس صورة صوتيّة مرتبطة بالمكان الخالي، وفي هذا السّياق، يشير المعجم التّاريخيّ إلى دلالة الخلوّ المرتبطة بالصّوت:

15: صافِر	اسم

15-1: ❋ الصّافِرُ: الّذي يُصْفَرُ بِهِ. يُقالُ: ما بالمكانِ صافِرٌ؛ أي: لَيْسَ فيهِ أَحَدٌ.

(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1444هـ/2022م)



إنّ التّغير اللّونيّ (للأصفر) لم يكن مجرّد ملاحظة بصريّة، بل اعتبره العرب في كثير من المواضع رمزًا للنهاية أو الانحسار، ومعبّرًا عن فقدان القوّة والحياة.

قالَ: عبد الله المجذوب (1410هـ=1989م) يُبَيِّنُ مَعْنى "تَصْفِرُ"

"أيْ: وهِيَ خالِيَةٌ لَيْسَ بِها مِنْ صافِرٍ وإنَّما تَصْفِرُ بِها الرِّيحُ".

عبد الله الطيب، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. ج: 2، ص: 224.

ويتابع المعجم التّاريخيّ سرد دلالات الجذر "ص ف ر"، مسلّطًا الضّوء على سلسلة من الدّلالات التي تشترك في سمات الخلوّ والنّهاية، سواء أكان ذلك في السّياقات الحقيقيّة أم المجازيّة، ومن ذلك:

1 - دلالة الخلوّ:

1-: ❋ الصَّفَرُ، والصِّفْرُ: الخُلُوُّ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: إبْراهيمُ بنُ يَحْيى اليَزيديُّ (ت: 225هـ=840م):

"الصَّفَرُ: أنْ يَخْلُوَ الإناءُ". (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

2-3: و—— الوِطابُ: خَلا مِنَ اللَّبَنِ لِهَلاكِ الماشِيَةِ أَوْ فُقْدانِها أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ.

(ق س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

وبِهِ فُسِّرَ قَوْلُ: امْرِئِ القَيسِ الكِنْديِّ (ت: 80ق.هـ=544م) يَتَوَعَّدُ عِلْباءَ بْنَ الحارِثِ:

وأفْلَتَهُنَّ عِلْباءُ جَريضًا ❋❋❋ ولَوْ أدْرَكْنَهُ صَفِرَ الوِطابُ

ديوان امرئ القيس وملحقاته. تح: أنور عليان، وآخرين، ج: 1، ص: 561.

❋❋❋❋❋

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: رُؤْبَةُ (ت: 145هـ=762م) يُجيبُ لَمّا سُئِلَ عَنْ مَعْنى "صَفِرَ الوِطابُ":

"لَوْ أدْرَكوهُ قَتَلوهُ وساقوا إبِلَهُ فَصَفِرَتْ وِطابُهُ مِنَ اللَّبَنِ".

أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني. تح: إحسان عباس، وآخرين، ج: 9، ص: 68.

❋❋❋❋❋

2-4: و—— الجَرادَةُ: خَلَتْ مِنَ البَيْضِ.

(ق س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

قالَ: قَدٌّ الوالِبيُّ (ت: 50ق.هـ=573م) يُخاطِبُ سَلَمَ بْنَ هِنْدٍ:

كَأنَّ جَرادَةً صَفْراءَ طارَتْ ❋❋❋ بِأحْلامِ الغَواضِرِ أجْمَعينا

ديوان بني أسد. تح: محمّد عليّ دقّة، ج: 2، ص: 170.

❋❋❋❋❋

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: كَعبُ بْنُ مالِكٍ (ت: 50هـ=670م) يُشَبِّهُ الفَرَسَ في سُرْعَتِها وخِفَّتِها بِالجَرادَةِ أَلْقَتْ بَيْضَها:

وكُلُّ طِمِرَّةٍ خَفِقٍ حَشاها ❋❋❋ تَدِفُّ دَفيفَ صَفْراءِ الجَرادِ

كعب بن مالك الأنصاري، ديوانه. تح: مجيد طراد، ج: 1، ص: 39.

❋❋❋❋❋

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: ابْنُ دُرَيْدٍ (ت: 321هـ=933م):

"يُقالُ: هَذِهِ جَرادَةٌ صَفْراءُ، إذا لَمْ يَكُنْ في بَطْنِها بَيْضٌ". (وهَذِهِ الدَّلالَةُ سَجَّلَتْها المَعاجِمُ في بَقِيَّةِ العُصورِ)

ابن دريد، جمهرة اللّغة. تح: رمزي بعلبكي، ج: 1، ص: 740.

❋❋❋❋❋

2-5: و—— يَدُ فُلانٍ أَوْ كَفُّهُ صَفَرًا وصُفورًا: خَلَتْ مِنَ المالِ ونَحْوِهِ.

(ق س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

قالَ: حاتِمُ الطَّائِيُّ (ت: 46ق.هـ=577م) يَذْكُرُ جودَهُ وعَطاءَهُ:

تَرى أنَّ ما أهْلَكْتُ لَمْ يَكُ ضَرَّني❋❋❋وأنَّ يَدي مِمّا بَخِلْتُ بِهِ صِفْرُ

حاتم الطائي، ديوانه. ج: 1، ص: 65.

2 - دلالة الجوع

28-18: و—— : الجوعُ.

(ق س) (480ق.هـ/169م) إلى (1ق.هـ/621م)

وبِهِ فُسِّرَ قَوْلُ: أَعْشى باهِلَةَ (ت: 12ق.هـ=610م) يَرْثي أَخاهُ:

لا يَتَأرّى لِما في القِدْرِ يَرْقُبُهُ❋❋❋ولا يَعَضُّ عَلى شُرْسوفِهِ الصَّفَرُ

أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام. تح: علي محمد البجاوي، ص: 574.

❋❋❋❋❋

34: صَفْرَة	اسم

34-1: ❋ الصَّفْرَةُ: الجَوْعَةُ.

(س) (1هـ/622م) إلى (132هـ/749م)

قالَ: النَّبِيُّ ﷺ (ت: 11هـ=632م) يُبَيِّنُ أَجْرَ الصَّبْرِ عَلى الجوعِ



في سَبيلِ اللهِ:

«صَفْرَةٌ في سَبيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ».

ابن قتيبة الدينوري، غريب الحديث. تح: عبد الله الجبوري، ج: 3، ص: 751.

3 - دلالة الفقد:

28–20: و________: الفَقْدُ.

(د م) (657هـ/1259م) إلى (1213هـ/1798م)

قالَ: الفيروزاباديّ (ت: 817هـ=1414م):

"الصَّفرُ: الفَقْدُ".

4 - دلالة الفقر

28–29: o وصَفْرُ اليَدِ: كِنايَةٌ عَنِ الفَقْرِ وقِلَّةِ المالِ، أو عَنْ الخَيْبَةِ وعَدَمِ تَحْقيقِ المُرادِ.

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: الحَريريُّ (ت: 516هـ=1122م) يَذْكُرُ عَلى لِسانِ أَبي زَيْدٍ السَّروجِيِّ سَبَبَ إِعْراضِهِ عَنْ وَلَدِهِ:

"فَعَلِمْتُ بِصِحَّةِ العَلاماتِ أَنَّهُ وَلَدي، وصَدَفَني عَنِ التَّعَرُّفِ إِلَيْهِ صَفرُ يَدي، فَفَصَلْتُ عَنْهُ بِكَبِدٍ مَرْضوضَةٍ ودُموعٍ مَفْضوضَةٍ".

الشريشي، شرح مقامات الحريري. تح: إبراهيم شمس الدين، ص: 150.

كما توسّع العرب في استعمال مداخل الجذر "ص ف ر" في كثير من المتلازمات والأمثال التي أُثِرت عنهم، ومعظمها يدور في فلك الخلوّ والخواء والهلاك والمرض وما يلازم ذلك، ومنه:

- واصْفِرارُ اليَدِ: خُلُوُّها.
- وصَفَرُ الإناءِ: يُقالُ في التَّعَوُّذِ مِنْ شُمولِ القَحْطِ وهَلاكِ المالِ.
- صَفْرُ اليَدِ: كِنايَةٌ عَنِ الفَقْرِ وقِلَّةِ المالِ، أو عَنْ الخَيْبَةِ وعَدَمِ تَحْقيقِ المُرادِ.
- والضَّحْكَةُ أَوِ الابْتِسامَةُ الصَّفْراءُ: المُتَكَلَّفَةُ الَّتي تُعَبِّرُ عَنِ السُّخْرِيَةِ أَوِ الاسْتِياءِ أَوِ القَهْرِ أَوْ غيرِ ذَلِكَ.
- وما عِنْدَهُ صَفْراءُ ولا بَيْضاءُ، أو ما تَرَكَ صَفْراءَ ولا بَيْضاءَ: ما عِنْدَهُ مالٌ، أو ما تَرَكَ مالاً.
- وما إلى ذلك من الأمثال والمتلازمات.
- وصَفِرَتْ عِيابُهُ: خَلَتْ مِنَ الخَيْرِ ونَحْوِهِ.
- وصَفِرَتْ يَدُهُ: يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ خَلَتْ يَدُهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ.
- وما أَصْفَرْتُ لَكَ فِناءً ولا هَرَقْتُ لَكَ إِناءً: يُقالُ في المَعْذِرَةِ.
- وأَصْفَرُ مِنْ لَيْلَةِ الصَّدَرِ: يُقالُ لِلشَّيْءِ الخالي.

أمّا في مجال الرياضيّات، فقد ارتبط الجذر "ص ف ر" بمفهوم "الصفر"، الذي يُعدّ من أعظم الإسهامات الحضارية للعرب والمسلمين. فقد اشتُق المصطلح "صفر" من دلالة الخلوّ والفراغ، إذ استُخدم في البداية للإشارة إلى انعدام الكمّ أو القيمة. ويمثل الصّفر نقطة تحوّل رياضيّة وفكريّة في تاريخ العلم، إذ كان استخدامه أساسًا لتطوير النّظام العشري الحديث، ووفقًا للمعجم التّاريخيّ:

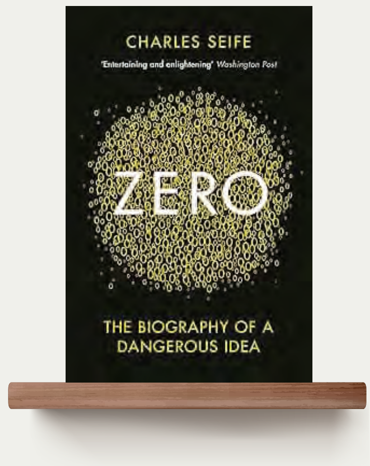
30: صِفْر	اسم

30–1: ⁕ الصِّفْرُ (في الرِّياضِيّاتِ): رَقْمٌ يَدُلُّ عَلى الرُّتْبَةِ الخالِيَةِ مِنَ الكَمِّيَّةِ يُرْمَزُ لَهُ في الكِتابَةِ العَرَبِيَّةِ بِالرَّمْزِ (.). (ج) أَصْفارٌ.

وأوّل استعمال يسجّله المعجم التّاريخيّ كان في القرن الثّامن الميلاديّ:

(ع) (133هـ/750م) إلى (656هـ/1258م)

قالَ: جَعْفَرٌ الصّادِقُ (ت: 148هـ=765م) يُخاطِبُ أَبا مَعْشَرِ



المُنَجِّمَ:

"أَما عِنْدَكَ أَنَّ البُروجَ اثْنا عَشَرَ بُرْجًا، أَوَّلُها وهُوَ عِنْدَكُمْ مَعاشِرَ المُنَجِّمينَ صِفْرٌ لا تَجْعَلونَهُ قاعِدَةً لِلحِسابِ".

عليّ بن محمّد بن الوليد، دامغ الباطل وحتف المناضل. تح: مصطفى غالب، ج: 2، ص: 378.

وقد تطوّر مفهوم الصّفر (3) لاحقًا ليمثّل عنصرًا جوهريًا في تطوير النظام العشريّ -كما ذُكر سابقًا-. إذ إن الصفر يدل على الخلو أو الفراغ العددي، مما أتاح استخدامه في مواضع مختلفة في الحساب، كفصل المنازل العشرية أو الإشارة إلى عدم وجود كميّة.

وقد نقل الخوارزميّ هذا المفهوم إلى أوروبا من خلال كتاباته باللّغة العربيّة إذ كانت اللّغة العلميّة الرّائدة في عصره، وكان كتاب **"المختصر في حساب الجبر والمقابلة"** واحدًا من أبرز أعماله الذي أسّس من خلاله الخوارزميّ لنظام رياضي متكامل وضع الصّفر في موضعه الصحيح بوصفه رمزً عدديًا مستقلاً. وقد أُعيد إحياء هذه المفاهيم عبر ترجمة أعماله إلى اللّاتينية في القرن الثّاني عشر، وهو ما أسهم في نقل الأسس الرياضيّة الدّقيقة للنّظام العشري إلى أوروبا، وأسهم في انطلاق النّهضة العلميّة الغربيّة وصولاً إلى العالميّة لاحقًا.

انتقلت الكلمة العربيّة "صِفْر" (بمعنى الخلو أو الفراغ) إلى لغات أوروبية عدّة خلال العصور الوسطى، لا سيما عبر التّرجمات اللاتينية للأعمال العربيّة في الرياضيات. ففي اللاتينيّة، تحوّلت الكلمة إلى "zephirum"التي تُنطق على النحو الآتي:

"**زيفي-روم**" /ze.fi.rum/

ومن ثمّ انتقلت إلى الإيطاليّة "zefiro"، ومن ثم اختُصرت الكلمة إلى "zero" في الإيطاليّة، وانتقلت بهذا الشّكل إلى لغات أوروبيّة أخرى، مثل الإنجليزيّة"zero"، والفرنسية "zéro" بالإضافة إلى ذلك، فإن الكلمتين الإسبانية "cifra" والإنجليزية "cipher" بمعنى الشيفرة أو الرقم مشتقتان أيضًا من "صِفْر"، مما يعكس التّأثير العميق للغة العربية في المجالات العلميّة والرياضيّة التي تتجاوز حدود اللّغة نفسها إلى لغات وحضارات أُخَر.

وكذلك ثمّة عبارات اصطلاحية جديدة وحديثة دخلت إلى اللّغة العربيّة مستمدّة من مفهوم الصفر، لتعكس استخداماته الرّمزيّة في سياقات معاصرة متنوّعة. ومن هذه العبارات:

14-3: o وتَصْفيرُ الأَزْماتِ أَو المُشْكِلاتِ ونَحْوِ ذَلِكَ: الهُبوطُ بِها إلى دَرَجَةِ الصِّفْرِ وإِنْهاؤُها. (مح)

(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1444هـ/2022م)

قالَ: محمد سليمان الزواوي (1435هـ=2013م) يَذْكُرُ إِجْراءاتِ تُرْكيا في تَوَجُّهِها نَحْوَ الشَّرْقِ:

"حاوَلَتْ أَنْ تَقودَ عَمَلِيَّةَ تَكامُلٍ إِقْليمِيَّةً قِوامُها تَصْفيرُ المُشْكِلاتِ".

مجلة البيان والمركز العربي، التحولات الكبرى. ج: 1، ص: 159.

*****

14-4: o وتَصْفيرُ الحِسابِ (في المُعامَلاتِ المالِيَّةِ): جَعْلُ

الرَّصيدِ صِفْرًا. (مح).

(ح) (1214هـ/1798م) إلى (1444هـ/2022م)

قالَ: صالح بلعيد (معاصر) (1439هـ=2017م) يَذْكُرُ قائِمَةً بِالْألْفاظِ والمُصْطَلَحاتِ المُسْتَجَدَّةِ الَّتي يُمْكِنُ اسْتِخْدامُها في الإعْلامِ:

"تَصْفيرُ الحِسابِ - طَلَبُ إحاطَةٍ بِالحِسابِ - خَلْطُ الأَوْراقِ".

صالح بلعيد، حسن استعمال اللّغة العربية في وسائل الإعلام. ج: 1، ص: 172.

إنّ للمعجم التّاريخيّ للغة العربيّة أثرًا بالغ الأهمية في محاولة فهم التّطور الدلالي للجذور اللغويّة وما يتّصل بها من مفردات واصطلاحاتٍ وأمثال عبر العصور. فالجذر "ص ف ر" مثلاً، يضمّ أكثر من 60 مدخلاً، تتنوع دلالاتها بين الماديّ والمعنويّ، والحسي والمجرد، والحقيقيّ والمجازيّ، ليعكس ثراء اللّغة العربيّة وقدرتها على التّعبير عن مختلف التّجارب الإنسانيّة.

ومن الملاحظ أن دلالات الجذر "ص ف ر" تتّفق فيما بينها وتفترق، وتتّصل وتنفصل، ممّا يجعل من الصّعب في بعض الأحيان تحديد مسار تطوّر دلالة معينة أو الرّبط بينها وبين دلالات أخرى. هذا التّعقيد يُظهر الطّبيعة الدّيناميكيّة للّغة والتّأثيرات الثّقافيّة والاجتماعيّة التي تسهم في تشكيل معاني الكلمات وتطوّرها وانتقالها عبر الحقول الدّلاليّة وعبر اللّغات الإنسانيّة كذلك.

إن اللّغة في مجملها تتجاوز الاستخدام في حدود التّواصل اليوميّ إلى مستويات أعمق من التّفكير والإدراك والمعرفة، لذا فإن دراسة التّطوّر الدّلاليّ للجذور والكلمات والمصطلحات، تكشف عن تعقيدات وتداخّلات تعكس تجارب الإنسان العربيّ وتفاعله مع محيطه. فاللّغة ليست مجرد وسيلة للتواصل، بل هي مرآة تعكس تحوّلات الفكر والثّقافة والمجتمع. فالمعجم التّاريخيّ، يمثّل نافذةً نطلّ من خلالها على شيءٍ من تراثنا اللغويّ والثّقافي الغنيّ، مما يعزز فهمنا للّغة العربيّة ويدعم الجهود الراميّة إلى صونها وتطويرها.



(1) Campbell, L. (2000). The History of Linguistics. Handbook of Linguistics, ed. by Mark Aronoff and Janie Rees-Miller, 81-104. Oxford: Blackwells.

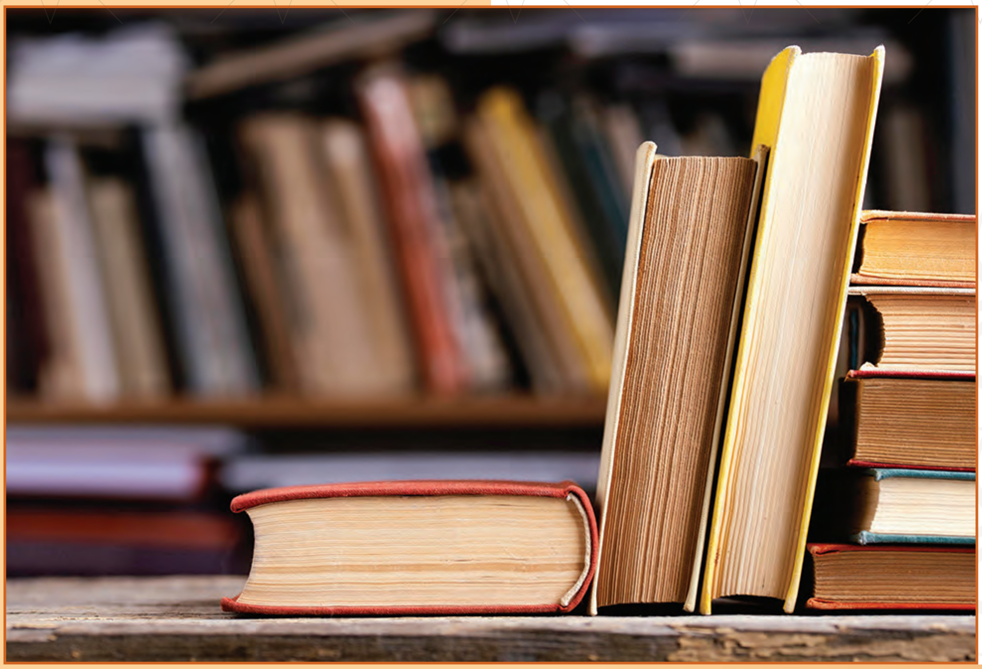
(2) لمزيد من المعلومات عن أنثروبولوجيا اللّون في اللّغة: الهرف، مشعل بن عبدالله. (2021). دلالات الألفاظ المقيدة بمكون اللّون : دراسة دلالية في ضوء نظرية التحليل التكويني. مجلة جامعة الطائف للعلوم الإنسانية، مج 7، ع24، 339-369.

و Le Breton, D. (2017). Sensing the world: An anthropology of the senses (C. Shantz, Trans.). Bloomsbury Academic.

والمغربي، حافظ محمد جمال الدين. (2004). اللّون بين فلسفة الفن والشعر.جذور، مج 8، ج18، 327- 346.

وجحفة، عبد المجيد. البنية الدلالية والتصورية لألفاظ الألوان في العربية: https://www.academia.edu/40957580/البنية_الدلالية_والتصورية_لألفاظ_الألوان_في_العربية

(3) لمزيد عن تاريخ الصفر، انظر: Seife, C. (2000). Zero: The Biography of a Dangerous Idea. Viking..



كُتُبٌ ودِراساتٌ

- عرض كتاب: تداوليّة الخطاب وبلاغة الأداء في الشّعر الموجّه للأطفال
- وقفةٌ معَ الأعْمالِ الفائِزةِ في جائِزَةِ الشّارقَة للدّراساتِ اللّغويّة والمُعجَميّة
- قِرَاءَةٌ فِي كتاب «المُعْجَمِ الاشْتِقَاقِيِّ المُؤَصَّلِ لأَلْفَاظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ»

شِعْرُ الأَطْفَالِ... بَحْثًا عنِ الزّوَايَا المفقُودَةِ من أجلِ بلاغةِ الأداءِ

عرض كتاب:

تداوُليّةُ الخطابِ وبلاغةُ الأداء في الشّعرِ الموجّهِ للأطفال



د. أحمد حسين

نحن مُطالبُونَ بالبحثِ عن اتّجاهاتٍ نقديّةٍ تُناسبُ التّحوُّلاتِ المتسارعةَ في قصيدةِ الطّفلِ العربيِّ، وتُراعي الخصوصيّةَ النّوعيّةَ والجماليّةَ المسايرةَ لطبيعةِ متلقّي القصيدةِ، ومن هنا تأتي أهمّيةُ مقاربةِ قصيدةِ الطّفلِ تداوُليًا، باعتبارِها ممارسةً خطابيّةً بين مُرسِلٍ ومرسَلٍ إليه في سياقِ بناءِ علاقةٍ تواصليّةٍ، وتحقيقِ وظائفَ تأثْريّةٍ وإقناعيّةٍ، في مستوَى وعْيِ الطّفلِ وإدراكِه وخبراتِه الجماليّةِ والاجتماعيّةِ وقدراتِه التّواصليّةِ. جاء ذلك في الكتابِ الهامِّ الذي صدرَ أخيرًا عن دائرةِ الثّقافةِ بحكومةِ الشّارقةِ بعنوانِ "تداوُليّةُ الخطابِ وبلاغةُ الأداءِ في الشّعرِ الموجّهِ للأطفالِ" للشّاعرِ والدّكتورِ محمود فرغلي الذي كشفَ عن عدمِ وجودِ دراسةٍ واحدةٍ تُجَلّي هذا الجانبَ في الوطنِ العربيِّ، وذلك بسببِ الاستسهالِ الذي يرتبطُ بالنّظرةِ الدُّونيّةِ لأدبِ الطّفلِ، رغمَ امتلاكِ الطّفلِ الكفايةَ التّواصُليّةَ في وقتٍ مبكّرٍ بصورةٍ تسمحُ له بأن يتواصلَ تواصُلاً فعّالاً مع الأدبِ بشرطِ تحقيقِ متعةٍ وإثارةٍ للدّهشةِ وإشباعٍ جماليٍّ ومعرفيٍّ وفكريٍّ.

إنَّ دِراساتِ التّداوليةِ قاصرةٌ على أدبِ الكبارِ، كالدّراساتِ الجامعيّةِ على النّصِّ القرآنيِّ والشّعرِ والنّثرِ العربيِّ القديمَين، في حِينِ تتوقّفُ دراساتُ أدبِ الطّفلِ في الوطنِ العربيِّ على استخدامِ الأدواتِ التّقليديّةِ، كالمقاربةِ التّأثّريّةِ الانطباعيّةِ أوِ النّفسيّةِ أوِ البيلوغرافيّةِ لأهمِّ الكُتّابِ والشّعراءِ، أو تأريخِ هذا الأدبِ، والتّأصيلِ له، أو لحصرِ أشكالِه وامتداداتِها في التّراثِ، أوِ الوقوفِ عند الخصائصِ العامّةِ له ولأنواعِه، أوِ الأنساقِ النّغميّةِ للشّعرِ، أوِ البُنَى الحكائيّةِ للقصّةِ.

يعرِضُ الدّكتور محمود فرغلي المقاربةَ التّداوليّةَ بوَصْفِها أَحَدَ أهمِّ النّظريّاتِ الحديثةِ في تحليلِ الخطاباتِ لعنايتِها بالجانبِ الوظيفيِّ والتّداوليِّ والسّياقيِّ في النّصِّ، ودراسةِ مُجملِ العلاقاتِ الموجودةِ بين المتكلّمِ والمخاطَبِ، مع التّركيزِ على البُعدِ الحجاجيِّ والإقناعيِّ وأفعالِ

الكلامِ والإشارياتِ والمقصديّةِ داخلَ النّصّ، وقضايَا التّواصلِ والتّفاعلِ بين طرفَي الخطاب، بذلك أَنجزتِ التّداوُليّاتُ خطواتٍ واسعةً ومثيرةً في تحولِ رؤيتِنا للُغةِ التّواصُلِ والمحادثةِ وَطُرُقِهما ، وَأَوْلَتِ الـمُتَلَقِّيَ (الـمُرسَلَ إليه) وَدَوْرَهُ في سيرورةِ التّواصُلِ الأدبيِّ عنايةً خاصّةً.

نشأةُ التّداوليّةِ

بدأ مصطلحُ التّداوليّةِ على يدِ وليام موريس الذي ميّزَ بين ثلاثةِ مُستوياتٍ لُغويّةٍ: الدّلاليِّ والتّركيبِ والتّداوُليِّ. فالتّحليلُ التّداوُليُّ لا يركّزُ على العلاماتِ اللّغويّةِ بمعزلٍ عن سياقِ استعمالِها، في حينِ كانتِ البدايةُ الحقيقيّةُ للتّداوليّةِ على أكتافِ أوستن وسورل وجرايس. فالأوّلُ ميّزَ بين الجملةِ الوصفيّةِ والإنشائيّةِ، ومنها انتقلَ إلى أنواعِ الأعمالِ اللُّغويّةِ، وكيف نُنجزُ فعلاً بالكلماتِ، وتطوّرَ لدى سورل الذي تحدّثَ عن تَخَيُّلِيَّةِ الأدبِ، وما يُنجزُه من أعمالٍ لُغويّةٍ غيرِ مباشرةٍ، إذ يرى التّداوليّون إِكْسابَ الكياناتِ التَّخَيُّلِيَّةِ، بوصفها طبائعَ وسلوكًا يُماثِلُ طبائعَ الكائناتِ الواقعيّةِ الحقيقيّةِ الشَّرْعِيَّةَ، فيندمجُ القارئُ في هذه العوالمِ دون إحساسٍ بالاختلافِ أوِ التّنافرِ أوِ التّباعدِ، يتعاطفُ أحيانًا وينفرُ من بعضِها الآخرِ.

وبأسلوبِه الشّائقِ يقول محمود فرغلي: إذا كانتِ المناهجُ البنيويّةُ قد أهدرتْ حقَّ المؤلّفِ فقتلتْه، والمتلقّي فهمّشتْه، فإنَّ التداوليّةَ البينصِّيَّةَ لا تهملُ النّصَّ، وتظلُّ تحتفظُ بأسبقيَّتِه دون أن تُهدرَ حقّ المؤلّفِ ورؤيتَه أوِ القارئِ وفاعليّتَه في عمليّةِ التّواصُلِ الأدبـيِّ، فـالأدبُ في عمومِه علاقةٌ تواصُليّةٌ بين طرفَيْن من خلال طرفٍ ثالثٍ هو النّصُّ.

الخطابُ النَّقديُّ العاجزُ عن تطويرِها

ثمّةَ اعتقادٌ أنّ النّصَّ الشّعريَّ يتّسمُ بعموميّةِ السّياقِ أو تحرُّرِه، وعليه يصعبُ دراستُه تداوليًّا، فإنَّ هذا الطرحَ مردودٌ عليه بأنّه لا يمكنُ إلغاءُ الوظيفةِ التّواصليّةِ للشّعر، كما لا يمكنُ الحديثُ عن معنًى مَا للشّعرِ مجردًا من سياقِه ومُتداوليه، حيث يتحدّدُ المعنى من خلالِ علاقةِ النّصّ بمنتجِه من جهةٍ وبالسّياقِ المقاميِّ من جهةٍ أخرى، إضافةً إلى جهةِ الاستعمالِ.

إذ تختلفُ استجاباتُ الطّفلِ عنِ الكبارِ في عمليّةِ القراءةِ، فإنّهم يقرؤون أنفسَهم بالقدرِ الذي يقرؤون النّصوصَ، ممّا يفسّرُ الشّعورَ بالانغماسِ والرّضا عند قراءةِ نصٍّ يعتبرُه الكبارُ تافهًا، فالأطفالُ ليسوا مجرّدَ قُرّاءِ مُبتدئين، وَمِنْ ثَـمَّ الحديثُ عن تداوُليّةِ قصيدةِ الطّفلِ يُسايرُ مُتَلَقِّيًا له مراحلُه النّفسيّةُ والإدراكيّةُ والفكريّةُ المتسارعةُ، والحاجةِ إلى بناءِ جسرٍ تواصُليٍّ يثيرُ إعجابَه ويحرّكُ شعورَه ويوقظُ فهمَه وينبّهُ عقلَه.

التّحديّاتُ... ولماذا؟



يعرضُ الدّكتور محمود فرغلي المقاربةَ التّداوليّةَ بوَصفِها أحَدَ أهمِّ النّظريّاتِ الحديثةِ في تحليلِ الخطاباتِ لعنايتِها بالجانبِ الوظيفيِّ والتّداوليِّ والسّياقيِّ في النّصّ، ودراسةِ مُجملِ العلاقاتِ الموجودةِ بين المتكلّمِ والمخاطَبِ، مع التّركيزِ على البُعدِ الحجاجيِّ والإقناعيِّ وأفعالِ الكلامِ والإشارياتِ والمقصديّةِ داخلَ النّصّ، وقضايَا التّواصُلِ والتّفاعلِ بين طرفَيِ الخطابِ.

يأخذُنا محمود فرغلي إلى ضرورةِ ألّا تكونَ قصيدةُ الأطفالِ مجرّدَ اجترارِ ذكرياتٍ لطفولةِ الشّاعرِ بطريقةٍ موسقة، وإنّما تتضمّنُ مقصديّةً، والأخيرةُ لا ترصدُ أثرَها إلّا التّداوليّةُ، كالحثِّ والتّحريضِ والتّأثيرِ بهدف تغييرِ وضعِ المتلقّي وتغييرِ نظامِ معتقداتِه أو تغييرِ موقفِه السّلوكيِّ.

إنَّ مقاومةَ الأفكارِ النّمطيّةِ كالنّزولِ إلى المستوَى اللُّغويِّ للطّفلِ، ويكونُ الطّرحُ هنا عن كيفَ نوسّعُ ثروتَه اللُّغويّةَ ونرتقي بذوقه اللُّغويِّ والجماليِّ، وَالجانبِ التّربويِّ، وَ أَيُّهُما أسبقُ وأجدَى الجماليُّ أم النّفعيُّ؟

كُلُّ ذَلِكَ أسهمَ في تسطيحِ كثيرٍ منَ النّصوصِ وسقوطِها في دوائرِ المباشرةِ ووأدِ الخيالِ الذي هو روحُ الشّعرِ، والذي له منَ الوظائف أكثرُ ممّا نتصوّرُه، وَهُوَ مُنَاقِضٌ لِـمَفْهومِ الأدبِ ذاتِه، ودورِه في بناءِ عقليّةٍ حرّةٍ نشطةٍ من خلال الإبداع بعيدًا عن التّسلُّطِ والجمودِ، وربّما منشأُ الرّؤى السّابقةِ هو التّصوّراتُ التّقليديّةُ الخاطئةُ لِلتَّرْبِيَةِ والتي جاء الأدبُ مُكَرِّسًا لها، كخضوعِ الطّفل العربيِّ لأنماطٍ تربويّةٍ تعتمدُ التّرويضَ والإخضاعَ وقهرَ العفويّةِ، وإِفْقَادَهُ إمكاناتِ المبادهةِ والإبداعِ.

الرُّؤيةُ التّكامليّةُ لشعْرِ الأطفالِ

يطرحُ محمود فرغلي أهمّيّةَ الرّؤيةِ التّكامليّةِ لشعْرِ الأطفالِ، فهو شعرُ التّوازُنِ والملاءمةِ والتّكاملِ بين النّفعيِّ والجماليِّ، الفنّيِّ والتّربويِّ، الإمتاعيِّ والإقناعيِّ، اللّفظيِّ والأدائيِّ، والتّضحيَةِ بأيِّ أطـرافٍ من تلك المعادلةِ من شأنِه أن يُقضَى على بقيّةِ الأطـراف، وبذَلِكَ لا ترتكزُ القصيدةُ على مجرّدِ الكلمةِ أوِ الصّورةِ البسيطةِ أوِ البحرِ الشّعريِّ المجزوءِ أوِ المشطورِ ذي التّفعيلةِ الواحدةِ، إذ كلُّ هذه الوسائل ضروريّةٌ بالطّبع ولكنّها لا تكفي في عصرِنا الحاليّ في بناء قصيدةٍ طفوليّةٍ يقبلُ عليها الأطفالُ ويتداولونَها ويحفظونَها بحُبٍّ وتظلُّ تجري في ذاكرتِهم.



> **يأخذُنا محمود فرغلي إلى ضرورةِ ألّا تكونَ قصيدةُ الأطفالِ مجرّدَ اجترارِ ذكرياتٍ لطفولةِ الشّاعرِ بطريقةٍ موسقة، وإنّما تتضمّنُ مقصديّةً، والأخيرةُ لا ترصدُ أثرَها إلّا التّداوليّةُ، كالحثِّ والتّحريضِ والتّأثيرِ بهدف تغييرِ وضعِ المتلقّي.**

في هذا الإطارِ جاءت تجاربُ كثيرةٌ منَ الشّعراءِ العربِ لتجاوُزِ القصيدةِ الطفليّةِ القائمةِ على الكلمةِ والمجازِ البسيطِ، واتّسعت أدواتُهم إلى الرّسمِ والتّلوينِ والصّورِ الثّابتةِ والمتحرّكةِ والأفلام المعبّرةِ لتقدّمَ وجبةً فنّيّةً متكاملةً يتفاعلُ معها الطّفلُ، وتشارك في نموّه جماليًّا، وتهذيبه أخلاقيًّا، وبناءِ ذوقِه الفنّي، وبناءِ الشّخصيّةِ، وتكوينِ الطّفل إنسانيًّا، أي إنماءُ ثقافةِ الطّفلِ وأدبِه لمساعدتِه على تحقيقِ الازدهـارِ والتّكاملِ نفسيًّا وجسديًّا ومعرفيًّا وعقليًّا.

في مرحلةٍ تاليةٍ من شِعرِ الأطفالِ ندركُ هذا التّطوُّرَ، فقد خاض كثيرٌ منَ الشّعراءِ تجاربَ جديدةً تتواصلُ مع العصرِ ومُتغيّراتِه، كالاعتمادِ على

الأنساقِ العلميّةِ ولُغةِ العلمِ مع القُدرةِ على صياغتِها في أبنيةٍ شعريّةٍ قادرةٍ على التّواصلِ مع الأطفالِ، ومُعتمدةٍ على النّغمِ الموقعِ في موسيقى تنسابُ عبرَ الأسطرِ الشّعريّةِ، وهو نمطٌ تفرضُه طبيعةُ العصرِ وتقنياتُه المتلاحقةُ التي تمثّلُ المعلوماتيّةُ فيه مُرتكزًا.

من أجلِ أن يكونَ شعرُ الأطفالِ بليغًا.

إذا كان أدبُ الطّفلِ أدبًا تفاعليًّا ديناميًّا، فلابدّ من نُزُولِ الكاتبِ عن سُلطتِه وعدمِ النّظرِ إلى الطّفلِ بنظرةٍ دونيّةٍ، فلا يَتّخذُ الجانبَ التّربويَّ بمفرده، ولا تكونُ الفكرةُ على حسابِ البناءِ، وألّا ينسَى أنَّ الطّفلَ يحتاجُ إلى ترويحٍ ولعبٍ وتسليةٍ، ففي ميدانِ أدبِ الطّفلِ تُسيطرُ عليه الوظيفةُ الإمتاعيّةُ، بل وكثيرٌ من أنماطِ القصيدةِ هي نمطٌ شعبيٌّ جَرَى تشعيرُه، فاللُّغزُ ذو أصلٍ شعبيٍّ، والحكايةُ تتحوّلُ إلى قصّةٍ شعريّةٍ، وحكاياتُ الحيواناتِ قَدْ شُعِّرَتْ إلى أمثولةٍ منظومةٍ.

يدلُّ ذلك بتعريفِ شعْرِ الأطفال: أنّه لونٌ من ألـوانِ الأدبِ يحقّقُ السّرورَ والبهجةَ والتّسليَةَ والمتعةَ للأطفالِ القرّاءِ، يتضمّنُ الخبراتِ التّربويّةَ، وجوانبَ الطّبيعةِ التي تتّفقُ والميولَ الأدبيّةَ للأطفالِ والتي تتّصفُ بالحركةِ والنّشاطِ والحيويّةِ ذاتِ التّوقيعِ الموسيقيّ.

لـذا كـان ضــروريًّـا إلـى جــوارِ الخصائصِ العامّةِ من حيثُ اللّفظُ والأسلوبُ والمضمونُ وجودُ مقطعٍ دراميٍّ أو حواريٍّ قصيرٍ ضمْن النّصّ، فللحوارِ في قصيدةِ الأطفالِ دورٌ

المرحلة العُمُريّةُ	الأداءُ	الصّيغةُ
الرّيــــاض الطّفولةُ المبكرةُ	الاستماعُ العاطفيّ الحركةُ	أهزوجةٌ تنويمةٌ أغنيةٌ قصيرةٌ
الطُّفُولةُ المتوسّطةُ	الاستماعُ الواعِي قراءةُ الغناءِ الإنشادُ الرّقصُ	أُنشودةٌ قصيدةٌ قصيرةٌ حكايةٌ شعريةٌ
الطّفولةُ المتأخّرةُ	الاستماعُ التّحليليُّ قراءةُ الغناءِ الإنشادُ التّمثيلُ	أنشودةٌ قصيدةٌ طويلةٌ نسبيًّا حكايةٌ شعريةٌ قصيدةٌ ممسرحةٌ

تربويٌّ ودورٌ فنّيٌّ يدعمُ حيويّةَ النّصِّ، وكسرَ الرّتابةِ، والإحاطةَ بالحالةِ ،والتّعريفَ بالشّخوصِ؛ لكن قد يقدّرُ الشّاعرُ أحيانًا عدمَ الحاجةِ إلى الحوارِ في قصيدتِه.

إذًا شِعرُ الأطفالِ النّاجحُ هو الذي يتفاعلُ معه الطّفلُ إنشاءً وترديدًا، وينسجمُ معه حركةً وأداءً، ويحتاجُ إلى تَمْثِيلِ الشّاعرِ لروحِ الطّفولةِ داخلَ قصيدتِه، لا إلى مُجَرَّدِ طفولتِهِ، وإنّما رؤيةٌ أوسعُ تتعلّقُ بطبيعةِ الطّفولةِ عمومًا بِوَصْفِهَا مَرْحَلَةً سِنِّيَّةً، والإطارِ الحضاريِّ والاجتماعيِّ والثّقافيِّ المحيطِ بالطّفلِ العربيِّ، وأن يتمثّلَ الطّفلَ ويتحدّثَ بصوته، أي يجدُ الأطفالُ أنفسَهم داخلَها، وتعبّرُ عن طفولتِهم وتساؤلاتِهم ، وعن أفكارِهم وأحلامِهم ومخاوفِهم ورغباتِهم.

شِعرُ الأطفالِ وسؤالُ النّوعِ

ما لم يقتنعِ الطّفلُ بما تحملُه القصيدةُ من أفكارٍ وموضوعاتٍ تمسّ ذاتَه وبيئتَه، فلن يَستمتعَ بها تشكيلاً وبناءً، ولا يقتصرُ على الموسيقى والعاطفةِ بل ينتقلُ منها إلى الحكمةِ، وفوق أنّه يدخلُ البهجةَ والفرحةَ للأطفالِ ينبغي لَهُ أن يُساعدَهم على تنميةِ مُدركاتِهم ونفاذِ بصيرتِهم، وهي للطّفلِ مصدرٌ للّعبِ والتّخييلِ والإيهامِ ومجالٌ لبناءِ خبراتٍ جماليّةٍ وتخييليّةٍ لبناءِ واقعٍ يخالفُ الواقعَ ويُحاكيه، وهي أيضًا تُغنَّى وتُنشدُ وتُلحنُ فرديًّا أو جماعيًّا.

كيفَ يُمكنُنا التّطويرُ؟

ويعدّدُ محمود فرغلي أهمّيةَ توافُرِ الإطارِ التّداوُليِّ والسّياقيِّ من خلال توافُرِ عددٍ مِنَ الأنساقِ لتتحوّلَ القصيدةُ إلى نسقٍ مركّبٍ يتوسّلُ بالسّردِ ويبتعدُ عنه أو يمسرحُه، فالنّصُّ عوضًا مِنْ أن يُروَى حكايةً، فإنّه يتكوّنُ بوصفِه تقدّمًا دراميًّا

لأفعالِ اللّسانِ في التّفاعلِ، ومن هنا تأتي أهمّيّةُ الأداءِ وطرقِ التّلقّي، فعمليّةُ القراءةِ هي أدبٌ آخرُ من إنشاءِ القارئ.

وهنا تظهرُ خطورةُ القارئِ الوسيطِ في حالةِ أدبِ الطّفلِ وشِعرِه (كالأسرةِ، المعلّمين، الأدباءِ، دورِ النّشرِ، واضعي المناهجِ) بالتّأويلِ ووضْعِ الحدودِ بين النّصّ وقُرّائه منَ الأطفالِ لتُمحَى عمليّةُ القراءةِ، مرورًا بتمكُّنِ القارئِ من إعادةِ إنتاجِ النّصّ بواسطةِ فعلِ الفهمِ والإدراكِ والاستنتاجِ، وصولاً إلى رؤيةِ (هانت) التي يُطْلَقُ عليها (النّقدُ من منظورِ الأطفالِ)، وهذا يتطلّبُ من كاتبِ الطّفلِ أن يستبعدَ منَ الخيالِ ما لا يُمثّلُ جزءًا من تجربةِ الطّفلِ وخبرته الحياتيّة.

وإذا كان للشّعرِ حضورُه منطوقاً، مفتقرًا إلى الأداءِ ما لم ينطق، فهو خطابٌ قائمٌ على التّفاعليّةِ ومحفّزٌ إلى الأداءِ، ولا يمكنُ الاعتدادُ بالملفوظِ اللّسانيّ بوصفِه دليلاً وحيدًا وعاملاً فريدًا لبناءِ جماليّةِ النّصِّ وتحليلِ بنيتِه، بل هناك عناصرُ تحفّزُ إلى أنواعٍ مختلفةٍ منَ الأداءات، وهي:

* التّكرارُ بأنواعِه لتحفيزِ الطّفلِ إلى التّرديدِ وتقويةِ جهازِه الصّوتيّ وأدائه وتفاعُله.

* الخيالُ داخلَ القصيدةِ، يحرّضُ خيالَ الطّفلِ على النّشاطِ وبذلِ الجهدِ للّحاقِ بالصّورةِ وإدراكِها أو البناءِ فوقَها، ثمّ يبذلُ جهدًا آخرَ في الجمعِ بين الصّورِ المكوّنةِ للقصّةِ أوِ القصيدةِ في سبيلِ الإدراكِ العامّ للتّخييل في النّصّ.

* السّؤالُ داخلَ القصيدةِ، يَستدعي جوابًا، وإذا كان موجّهًا ويُدخلُ الطّفلَ إلى عمليّةِ التّلفّظ.

> **وإذا كان للشّعرِ حضورُه منطوقاً، مفتقرًا إلى الأداءِ ما لم ينطق، فهو خطابٌ قائمٌ على التّفاعليّةِ ومحفّزٌ إلى الأداءِ، ولا يمكنُ الاعتدادُ بالملفوظِ اللّسانيّ بوصفِه دليلاً وحيدًا وعاملاً فريدًا لبناءِ جماليّةِ النّصِّ وتحليلِ بنيتِه، بل هناك عناصرُ تحفّزُ إلى أنواعٍ مختلفةٍ منَ الأداءات.**



* الحوارُ والقصيدةُ الشّعريّةُ والأمثولةُ الشّعريّةُ تحفّزُ إلى أداءاتٍ تمثيليّةٍ وممسرحةٍ للقصيدة.

كتابيّةُ الإنتاجِ شفاهيّةُ الأداءِ:

الشّعرُ فنٌّ قوليٌّ كالموسيقَى، يقالُ ليُستمعَ إليه، أكثرَ ممّا يقالُ ليُقرأ قراءةً صامتةً، ولا يقفُ سلبيًّا فهو يَستدعي التّصويرَ الدّراميَّ، وبناءَ قدرةِ الطّفلِ على التّقليدِ والمحاكاةِ التّمثيليّة.

أنواعُ القصائدِ:

أ-قصيدةٌ غنائيّةٌ تُلائمُ الطّفلَ (3–5 سنوات) وتركّزُ على الموسيقَى والإيقاعِ والقِصرِ النّسبيّ، وتشملُ الأشكالَ البسيطةَ الرّاقصةَ المعبّرةَ عن كثرةِ الحركةِ، بهدفِ إضفاءِ حياةٍ للموجوداتِ من حولِه، وتوظيفِ اللّعبِ الأدائيّ.

ب-قصيدةٌ قصصيّةٌ تُلائمُ الطّفلَ (6–12 سنة) بسيطةٌ في أحداثها وشخصيّاتِها التي تتوسّلُ بالحيواناتِ

والأشياءِ والظّواهرِ الطّبيعيّةِ مع الاحتفاظِ ببساطةِ الصّيَغِ والصُّوَرِ وقِصرِ المسافةِ في الانزياحاتِ المجازيّةِ، وتوثّقُ علاقتَهم بالبيئةِ والعالمِ المحيطِ إضافةً إلى تنامي قُدراتِهم على القراءةِ، وإدراكِ المعاني والتّفرقةِ بين الخيالِ والواقعِ.

ج-القصيدةُ التّمثيليّةُ والانفتاحُ على الحواريّةِ وبناءِ وعيٍ دراميٍّ، إضافةً إلى تعدّدِ الأصواتِ وتنوّعِها، وتوسُّعِ المضامينِ والقضايا العامّةِ والإنسانيّةِ والأخلاقيّاتِ الإيجابيّةِ والسّلبيّةِ، ويمكنُ أن نجدَ أبعادًا حِجاجيّةً واستدلالاتٍ وبراهينَ.

الشّقُّ التّطبيقيُّ للكتاب

قام الدكتور محمود فرغلي بدراسةِ كيف يَستثمرُ الشّعرُ أدواتِه اللّغويّةَ والأسلوبيّةَ والتّركيبيّةَ والتّحليليّةَ في تداوليّةِ النّصّ، وأداءِ المتلقّي وفاعليتِه التي تتخطّى القراءةَ إلى بناءِ المعنَى وسدِّ الفجواتِ والاشتباكِ انفعالاً وعاطفيًّا وعقليًّا، ذلك بالتّطبيقِ على ثلاثةِ أنواعٍ منَ القصائدِ، وهي القصيدةُ التّعبيريّةُ وتتناولُ شعورَ المتلقّي حيالَ الذّاتِ أوِ العالمِ، والقصيدةُ السّرديّةُ التي تصفُ موقفًا للوصول إلى سلوكٍ مقبولٍ أو مرفوضٍ دون أن يكونَ للمتلقّي دورٌ قرائيٌّ، والقصيدةُ الإقناعيّةُ الحجاجيّةُ التي تتضمّنُ أدلّةً تحملُ المتلقّيَ على الانْتِظامِ في رأيٍ ما، أو تحميلِه مسؤوليّةَ الجوابِ، وتتعدّدُ تلك الإجاباتُ بتعدّدِ سياقاتِ التّلقّي وأحوالِ المتلقّين، حتى يصيرَ الطّفلُ ملكًا لأنّه استخلصَها بنفسِه.

1) التّكرارُ وفاعليّةُ التّداوليّةِ:



> **قام الدكتور محمود فرغلي بدراسةِ كيف يَستثمرُ الشّعرُ أدواتِه اللّغويّةَ والأسلوبيّةَ والتّركيبيّةَ والتّحليليّةَ في تداوليّةِ النّصّ، وأداءِ المتلقّي وفاعليتِه التي تتخطّى القراءةَ إلى بناءِ المعنَى وسدِّ الفجواتِ والاشتباكِ انفعالاً وعاطفيًّا وعقليًّا.**

قصيدةُ (صباحُ الخيرِ يا أطفالُ، صباحُ الخيرِ يا ثورة) بديوان إبراهيم نصر الله.

صباحُ الخيرِ يا أطفالُ
صباحُ الخيرِ يا حُلوةْ
صباحُ الخيرِ
ومن أنتِ؟
أنا الثّورةْ
أنا الأطفالُ
أأنت نحن يا حُلوةْ؟
أنا أَنْتُم
نَعَمْ أَنْتُمْ
نَسِيرُ معًا
وَأَشْرَقَ حَيْثُمَا كُنْتُمْ
ونحن الماءُ والفقراءْ
نحبُّ الأرضَ والشّهداءْ
ونكبرُ مثلما الشّجرةْ
لنعطيَ أرضَنا الثّمرةْ
صباحُ الخيرِ يا حلوةْ
صباحُ الخيرِ يا ثورةْ

جمع الشّاعرُ بين الصّيغِ التّكراريّةِ، بتَكرارِ الصّوتِ المفردِ والسّؤالِ التّحاوريِّ وثنائيّةِ السّؤالِ والجوابِ، ليجمعَ بين الغنائيِّ والدّراميِّ، ويضيفَ إِلَيْهِمَا البعدَ الإنشاديَّ، والجمعَ بينها وبين المسرحيّةِ، فهي لا تتحوّلُ إلى مَسرحيّةٍ؛ لأنّ الجملةَ لم تتحوّلْ إلى حدثٍ، لكنَّ آليّةَ التّحوّلِ أنَّ

لكلِّ عبارةٍ طاقةٌ أدائيّةٌ تتجاوزُ حدَّ المكتوبِ أوِ الرّسمِ الحرفيِّ للكلماتِ وتستحضرُ متحاورين.

وتوافرتِ الدّراما متنوّعةَ الأساليبِ والمضامينِ لتُساعدَهم على إغْناءِ ردودِ أفعالِهم، وتنميةِ وعيِهم، وتمثيلِ الأدوارِ والتّقمّصِ، كما تتّضحُ طاقةُ اللّغةِ الإنجازيّةِ، وامتزاجُ الصّوتِ والحركةِ بغرضِ التّأثيرِ والتّعبيرِ معًا، ليتحوّلَ الطّفلُ من مُستمعٍ إلى مُؤَدٍّ، ومن قارئٍ إلى متفاعلٍ.

إذ نجدُ أنَّ كلمةَ (صباح الخير) تتكرّرُ ثلاثا وعشرين مرّة، تَكرارًا مؤطّرًا للفتِ الانتباهِ إلى أهمّيةِ الموضوعِ، وتَكرارِ المعنى بأشكالٍ مختلفةٍ، والتّبليغِ والإفهامِ، ويعينُ المتكلّمَ على ترسيخِ الرّأيِ أوِ الفكرةِ خصوصًا وهو يناسبُ مستوياتِ الأطفالِ العقليّةَ وحرصَهم على تَكرارِ الكلامِ وإعادتِه والتّلذّذِ به، وأيضًا لاستيعابِ تعدّدِ الأصــواتِ، ومنْحِ الصّوتِ لِما ليس له صوتٌ كتجسيدِ الثّورة في صورةٍ بشريّةٍ.

إضافةُ الحوارِ بين الأطفالِ والثّورة ليصنعَ عرضًا حِجاجيًّا لاعتمادِه التَّكرارَ، وبنهايتِه تتحوّلُ الثّورةُ إلى مرايًا يرى الأطفالُ فيها ذواتِهم، أمّا التَّكرارُ النّمطيُّ للمقطعِ فيُوضّحُ تخلّلَ الغنائيِّ للدّراميِّ، وإبداعيّةَ التّواصلِ بين طرفَين كلاهما في طورِ التّشكّلِ والاكتمالِ.

ونلاحظُ سؤالَ الأطفالِ (أأنت نحن يا حلوةْ؟) وهو ليس استنكاريًّا بقدرِ ما هو تعجّبيٌّ لتجسيدِ روحِ البراءةِ لدى الأطفالِ، وتأكيدِ التّماهي

> **إضـافــةُ الــحــوارِ بين الأطـفـالِ والـثّـورة يصنعُ عرضًا حِجاجيًا لاعتماده التَّكرارَ، وبنهايتِه تتحوّلُ الـثّــورةُ إلــى مـرايَـا يــرى الأطفالُ فيها ذواتِهم، أمّا التَّكرارُ النّمطيُّ للمقطع فـيُـوضّـحُ تخلّلَ الغنائيِّ لـلـدّرامـيِّ، وإبـداعـيّـةَ الـتّـواصـلِ بـيـن طرفَين كلاهما في طورِ التّشكّلِ والاكتمالِ.**

بين الطّرفَين في نقطةٍ تمثّلُ الذّروةَ الشّعريّةَ، ومع تَكرارِ معانِي الثّورةِ تتبلورُ في ذهنِ الأطفالِ، وباختلافِ الإجاباتِ يتحفّزُ الأداءُ الصّوتيُّ، أمّا أشكالُ التَّكرارِ في القصيدةِ فكانت (تَكرارَ الضّميرِ "أنا" لتأكيدِ الهُويّةِ، وتَكرارَ الصّيغةِ الخبريّةِ "ضميرٌ + خبرٌ" وتَكرارَ الصّيغةِ الإنشائيّةِ "ســؤالٌ + مبتدأ") وهذه الصّيغُ تمثّلُ شكلًا منَ الأداءِ المتنوّعِ العالقِ بالدّراما تعلُّقه بالشّعرِ.

2) التّجاوزُ وتعدّدُ مُستوياتِ التّلقّي

يحذّرُ محمود فرغلي من سقوطِ الشّعرِ في دائرةِ الخطابةِ والتّسطيحِ في شعرِ المناهجِ الدّراسيّةِ، فالكلماتُ الخطابيّةُ إن هي ظلت كلامًا عاليًا، فإنَّ الطّفلَ إذا لم يرَ الكلماتِ حراكًا ماثلًا أمام وعْيِه تصبحُ الكلماتُ عبئًا عليه، ومن ثمَّ يجدُ انزياحَ قصيدةِ الطّفلِ عنِ المباشرة والوعظ ضرورةً أفرزتْها تحوّلاتُها، والانزياحُ لا يتمّ بواسطةِ الكلماتِ والمجازِ والأساليبِ والتّراكيبِ؛ لأنّها تتخطّى قدراتِ الطّفلِ الإدراكيّةَ والفكريّةَ، لكنْ بالاتّصالِ المضمرِ، وعدمِ الاكتفاءِ بالكلمةِ، وفي ذلك يمكنُنا ملاحظةُ:

-تناصُ الشّعرِ والرّسم

التّحاورُ بين الرّسمِ والنّصِّ لصناعةِ دراما مشتركةٍ، ووصولًا إلى التّشفيرِ التّناظريِّ من خلالِ التّلقّي، وتحويلِ الكلماتِ والصّورِ إلى صورٍ عقليّةٍ، ووَفْـقَ شاكر عبد الحميد يتذوّقُ القارئُ الأدبَ الجيّدَ أوِ الشّعرَ الجيّدَ عندما تستصدرُ كلماتُ القصيدةِ صورًا عقليّةً متنوّعةً ترتبطُ بها تناظراتٌ عقليّةٌ أخرى.

مثالٌ لذلك، تجربةُ أحمد زرزور في مجلةِ "قَطْرُ النَّدَى" بعنوان "لوحةٌ وقصيدةٌ" وتضمّنت صورةً لفتاةٍ مصريّةٍ مسيحيّةٍ للتّعبيرِ عنِ الوعيِ الوطنيِّ، مُستخدمًا أسلوبَ اللّغزِ، ويقولُ فيها:

أنا خضراءُ العينَينْ
أنا باسمةُ الشّفتينْ
أمنحكُم ثانيتينْ



لتقولوا من أينْ؟

مثالٌ آخرُ، بتجربةِ شريفة السيد في كتابها (كراسةُ رسم)، فلكلِّ قصيدةٍ لوحةٌ تتطلّبُ أن يقومَ الطّفلُ بتلوينها لتكتملَ عمليّةُ القراءةِ والمشاهدةِ.

- تناصُ السّردِ والشّعرِ

يعتمدُ الشّاعر على مجموعةٍ من عناصرِ السّردِ ويُدمجُها في قصيدتِه، يبدأ النّصُّ بمقدّمةٍ سرديّةٍ موجزةٍ ثمّ تعقبُها قصيدةٌ مكمّلةٌ أو مؤكدةٌ للمسْرودِ، وهو مستمدٌّ من طريقةِ الحكْيِ العربيّةِ التي تجمعُ بين الإقناعِ والإمتاعِ، كمثلِ فنِّ الخبرِ وأخبارِ كتابِ الأغاني وغيرِه، وتُعدُّ القصّةُ الشّاعرةُ أقربَ الأشكالِ المحبّبةِ لدى الأطفالِ.

ومن ذلك تجربةُ سليمانَ العيسى، في قصيدةِ (الدُّمى تلعبُ):

الطّفلان رائدٌ ورائدةٌ يحملان بيتَ الدُّمى الذي يخصّهما، وينقلانه منَ البيتِ إلى الحديقةِ.

في يوم منَ الأيـامِ المشمسةِ الصّافيةِ. فماذا فعلت الدُّمى؟ لقد راحت تلعبُ وترقصُ.

وتختبئُ بين الأشجار وتغنّي:

نحن الدُّمى الرّشيقةْ
نطوفُ في الحديقةْ
لَنا لَنا الملاعبْ
وَمَنْ نَشَأْ نُدَاعِبْ
نَلْهُو مَعَ الطُّيُورْ
وَنَنْشُرُ السُّرُورْ

3) سِينُوغرافيَا القصيدةِ

السّينوغرافيا هي فنُّ تنسيقِ الفضاءِ المسرحيِّ، ونعني هنا بمسرحةِ القصيدةِ، أي تحوّلُ فعلِ المسرحةِ إلى أداةٍ فنّيةٍ جاذبةٍ ومجسّدةٍ للقصيدةِ الشّعريّةِ لضمان درجةٍ عاليةٍ منَ التّلقّي والتّفاعلِ، تتحوّلُ معه القصيدةُ إلى مشهدٍ ممسرحٍ تمامًا، من تراكُبِ وضعيّةِ التّلفّظِ التّخيّليِّ ووضعيّةِ التّلفّظِ المشهديّ، فيقدّمُ تقدّمًا دراميًّا لأفعالِ اللّسانِ في التّفاعلِ، بما يتّسق مع التّداوليّةِ بخطابِ شخصيّةٍ إلى شخصيّةٍ

> **التّحاورُ بين الرّسمِ والنّصِّ لصناعةِ درامَا مشتركةٍ، ووصولاً إلى التّشفيرِ التّناظريِّ من خلالِ التّلقّي، وتحويلِ الكلماتِ والصّورِ إلى صورٍ عقليّةٍ، ووفْقَ شاكر عبد الحميد يتذوّقُ القارئُ الأدبَ الجيّدَ أوِ الشّعرَ الجيّدَ عندما تستصدرُ كلماتُ القصيدةِ صورًا عقليّةً متنوّعةً ترتبطُ بها تناظراتٌ عقليّةٌ أخرى.**



أخرى، وخطابِ الطّفلِ إلى المشاهدِ.

وفي ذلك اللّوحةُ الغنائيّةُ بقصيدةِ سليمانَ العيسى «الرّسّامُ الصّغيرُ"

أرسمُ ماما أرسمُ بابا
بالألوانْ
أرسمُ عَلَمي فوق القممِ
أنا فنّانْ
أنا صيادُ اللّون السّاحرْ
أرضُ بلادي كنزُ مناظرْ
دعني أرسم ضوءَ النّجْمِ
دعني أرسم لونَ الكَرْمِ
أكتبُ شعرًا بالألوانْ
أحيا حرًّا أنا فنّانْ

4) الإقناعُ في الأمثولةِ الشّعريّة

الأليجوريا هي صورةٌ مجازيّةٌ من نوعٍ خاصٍّ، بالمصطلح اليونانيّ تعني الكلامَ عَنْ شيءٍ هو كلامٌ عَنْ شيءٍ آخرَ، استعارةٌ ممتدّةٌ موسّعةٌ، تُبنى بواسطةِ إحلالٍ دلاليٍّ، ويعودُ أصلُها إلى المثلِ، ولها أربعُ وظائفَ: (تعليميّةٌ، ترفيهيّةٌ، جماليَّةٌ، إقناعيّةٌ).

للأمثولةِ نوعان:

أ-الأمثولة وعلاقتُها بالمثل، كحُجّةٍ شعريّةٍ لأهمّيته في تشكيلِ بنيةٍ واقعيّةٍ تسمحُ بإثباتِ حقيقةٍ، وقيمتُها الحجاجيّةُ ترجعُ إلى عدم قابليتها للدّحضِ بسهولة.

ب-الأمثولة وعلاقتُها بالرّمز، كنوعٍ خاصٍّ منَ المجاز، انزياحٌ بين الدّالِّ والمدلولِ، ونقلُ الفكرةِ منَ المعنويِّ إلى الحسيّ، لتقريبِ المعاني المجرّدةِ، وليترتّبَ عليها المعقولاتُ، بهذا تجمعُ بين المعاني والعلاقاتِ للارتقاءِ بالتّفكيرِ المنطقيِّ والجماليّ، ومن خلال الجمع بين:

الحسّيِّ والمجرَّدِ
الواقعِ والمتخيَّلِ
الحقيقيِّ والمجازيِّ
الشّخصيِّ والغيريِّ

وهناك أمثلةٌ جمعت بين النّمطين كالشّاعرِ أحمد شوقي، في قصيدته «حكايةُ الثّعلب والدّيك»:

بَرَزَ الثَّعْلَبُ يَوْمًا
في شِعَارِ الوَاعِظِينَا
فَمَشَى في الأَرْضِ يَهْذِي
وَيَسُبُّ الماكِرينا
وَيَقولُ الحَمْدُ لِلَّـ
ـهِ إلَهِ العالَمينَا
يَا عِبَادَ اللهِ تُوبُوا
فَهْوَ كَهْفُ التَّائِبِينَا
وَ ازْهَدُوا في الطَّيْرِ إنَّ الْـ
ـعَيْشَ عَيْشُ الزَّاهِدِينَا
وَاطْلُبُوا الدِّيكَ يُؤَذِّنْ
لِصَلاةِ الصُّبْحِ فِينَا
فَأَتَى الدِّيكَ رَسُولٌ
مِنْ إمَامِ النَّاسِكِينَا
عَرَضَ الأَمْرَ عَلَيْهِ
وَهْوَ يَرْجُو أَنْ يَلِينَا

يعتمدُ الشّاعر على مجموعةٍ من عناصرِ السّردِ ويُدمجُها في قصيدتِه، يبدأ النّصُّ بمقدّمةٍ سرديّةٍ موجزة ثمّ تعقبُها قصيدةٌ مكمّلةٌ أو مؤكدةٌ للمسْرودِ، وهو مستمدٌّ من طريقةِ الحكْي العربيّةِ التي تجمعُ بين الإقناعِ والإمتاعِ، كمثلِ فنِّ الخبرِ وأخبارِ كتاب الأغاني وغيرِه، وتُعدُّ القصّةُ الشّاعرةُ أقربَ الأشكالِ المحبّبةِ لدى الأطفالِ.

فَأَجَابَ الدِّيكُ: عُذْراً
يا أَضَلَّ الـمُهْتَدِينَا!
بَلِّغِ الثَّعْلَبَ عَنِّي
عَنْ جُدُودِي الصَّالِـحِينَا
عَنْ ذَوِي التِّيجَانِ مِمَّنْ
دَخَلَ البَطْنَ اللَّعِينَا
أَنَّهُمْ قَالُوا وَخَيْرُ الْـ
ـقَوْلِ قَوْلُ العَارِفِينَا
«مُخْطِئٌ مَنْ ظَنَّ يَوْماً
أَنَّ لِلثَّعْلَبِ دِينَا»

تداوُليّةُ السّؤالِ وحِجاجيتُه

من لا يسألُ لا يعرفُ، ومن لا يعرفُ تسهلُ قيادتُه، وتعدُّ بنيةُ السّؤال والجوابِ شكلاً من أشكالِ الخطابِ الأكثرِ تداولاً شفاهيةً وكتابةً في حياة الإنسان، سواءٌ (ثنائيّةُ السّائل والمسئول، أو ثنائيّةُ السّؤالِ والجواب)، وحِجاجيّةُ السّؤال تسجّلُ حضورًا لافتًا في المباحثِ التّداوليّةِ مثل (الإشـــاراتِ الاجتماعيّةِ، مبدأ التّأدّبِ، الافتراضُ السابِقُ، الاستلزامُ الحواريُّ، المقاصدُ، الأفعالُ الكلاميّةُ).

ومنها نمطُ، السّؤال – الجواب، كشكلٍ حواريٍّ بين طرفَين يقوم على الاستدلالِ، ومثالٌ لها قصيدةُ بيان الصّفديّ (هل تبكي النّسمةْ؟)

هل تبكي النّسمةْ؟
تبكي عند النّافذةِ المكسورةْ
هل يبكي العصفورْ؟
يَبكي في الأرضِ المهجورةْ!
هل تبكي السّمكةْ؟
تَبكي إن جفّ النّهرُ!
هل يَبكي المركبْ؟
يبكي إن هاج البحرُ!
هل تبكي الغيمةْ؟
تبكي إن نادى البرُّ!
هل تبكي النّحلةْ؟
تبكي إن مات الزّهرُ!

اللّغزُ الشّعريّ (السّؤالُ الامتحانيُّ) مثالٌ لها قصيدةُ معاويةَ كوجان في قصيدته (أيّ المبدعين أنا؟):

ثلاثةُ أحرفٍ اسمي
أُضيءُ أُضيءُ كالنّجمِ
تعانقُ جسميَ الأيدِي
كطفلٍ في يدِ الأمِّ
طعامي الخبزُ.. والورقُ
سمائي حيث أنطلقُ
لأكتبَ أجملَ الكلماتِ
يرسمُ حسنها الألقُ
وأنا من يظهرُ المخبوءَ
من فرحٍ ومن كدرٍ
أنا من يشتغل الإحساس
في الإنسان والحجرِ
أنا من يكشفُ المجهولَ
من فكرٍ ومن معنًى
فهل تدرون يا أطفالُ
أيّ المبدعين؟؟

أخيرًا، نشكرُ للدكتور محمود فرغلي ودائرةِ الثّقافة بالشّارقة هذا الكتاب الهامّ، الذي يفتحُ المجالَ لإعادةِ النّظر تجاهَ نقْدِ شعرِ الطّفلِ وإبداعِه.



وقفةٌ معَ الأعْمالِ الفائِزةِ في جائِزَةِ الشّارقَة للدّراساتِ اللّغَويّة والمُعجَميّة

فَرع الدِّراسات المعجميَّة (الدَّورة الرّابعة- 2021)



كتاب:

اللّسانيّات والمعجميّات: أطر التّنظير واتّجاهات التَّطبيق

للدُّكتور: محمّد عبد الصَّبور



هبة هشام
باحث لغويّ في مجمع اللّغة العربيّة بالشارقة

إنّ صناعة المعاجم كانت وما زالت جزءًا محوريًا من جهود الحفاظ على اللّغة وهويّتها، بيدَ أنَّ هذا المجال عانى لفترات طويلة من مشكلات متعدّدة، تمثّلت في غياب معايير موحّدة، واتساع الفجوة بين التّنظير والتّطبيق، فضلاً عن عشوائيّة النّقد الّذي لم يسهم في تطوير الصّناعة بما يتلاءم مع التّحوّلات اللّغويّة والمعرفيّة، وعلى الرّغم من التّطوّرات الّتي جاءت بها اللّسانيّات الحديثة من إدخال مناهج نقديّة مثل: «ما وراء المعجميّات» و«المعجميّات المصطلحيّة»، وتوظيف التّقنيات الرّقميّة المتقدّمة مثل: لسانيّات المدوّنات، إلاّ أنّ كثيرًا من هذه الإسهامات ظلّ محصورًا في الجانب النّظريّ دون ترجمته إلى أدوات عمليَّة تُحدِث نقلةً نوعيَّة في تطوير المعاجم.

من هنا حَـرِصَ مجمَعُ اللُّغَةِ العربيَّةِ بالشّارِقَةِ على تخصيصِ فئةٍ للدِّراساتِ المعجميَّة ضمنَ جائزَةِ الشّارقةِ للدّراسات اللّغويَّة والمُعجميّة انطلاقًا من رسالته الرّامية إلى دعم الباحثين، وتمكينهم من إيجاد حلول عمليَّة، وابتكارات بحثيَّة تسهم في إحياء الصّناعة المعجميَّة، والحفاظ على تراثها مع مواكبة التّطوّرات الحديثة في هذا المجال.

وانْتَقَتْ مِنْ بينِ الأعمالِ المُعجميَّة المُميّزة، كتاب الدُّكتور محمّد عبد الصَّبور بِعُنْوان: (اللّسانيّات والمعجميّات: أطر التّنظير واتّجاهات التَّطبيق) حائزًا المَرْكَزَ الثّاني ضِمْنَ فِئَةِ الدِّراساتِ المعجميَّة خلالَ الدَّورة الرّابعة للجائزة للعام 2021م، وتحتَ مِحْوَرِ: معاجم علوم اللُّغَة (ترجمة، أو تأليف، أو دراسة)، وذلك لما تميّز به من تقديم رؤية مبتكرة توائم بين النّظريّة والتّطبيق في



إنَّ أمـل الـمـعـجـمـيّات ومستقبلها يـكـمـنُ في حـدوث تـعـاون حقيقيّ بين الدّراسات المعجميَّة وصُنّاع المعجم

مجال المعجميّة، فهو يعالج أوجه القصور التّقليديّة من خلال وضع معايير واضحة تُسهم في بناء معاجم أكثر دِقّة وشموليّة، مع التّركيز على الاحتياجات المُعاصِرة للمُستخدِمين والباحثين، وبهذا يضعُ الكتاب لَبِنَة جديدةً في مجال المعجميَّة، جامعًا بين الإطار الأكاديميّ الدَّقيق والتّطبيق العمليّ الفعّال، ليكون إضافة فريدة تُثري المكتبةَ اللُّغويَّة، وتُسهِم في تطوير هذا المجال الحيويّ.

جاء هذا الكتاب ليقدّم نماذج منتقاة من المناهج اللِّسانيَّة الحديثة الّتي طرحت أُطرًا نظريَّة أو مناهج تطبيقيّة تستطيع معالجة إشكاليّات معجميّة مُهمَّة، واستخراج نتائج دالَّة، واقتراح حلول منهجيَّة قابلةٍ للتَّطبيق بُغيَةَ تطوير المعجميّات العربيّة، وقد ناقش الكتاب أربع إشكاليّات معجميَّة أساسيَّة ارتأى المؤلّف مناقشة كلِّ إشكاليَّة منها في فصل مستقلٍّ، وعليه فقد انتظمَ عقد هذا الكتاب في مقدّمة، وأربعة فصول مرتّبة على الوجه الآتي:

الفصل الأوّل: إشكاليّة ترجمة المصـطلح الأجنبـيّ (متعدد الصّـرفيـم) إلى اللُّغة العربيَّة:

تواجه المعجميّات العربيّة إشكاليّة



جـائـزة الشّارقة للدّراسات اللّغويّة والمُعجميّة
Sharjah Linguistic and Lexical Studies Award

حقيقيَّة في ترجمة المُصطَلحات الدّاخلة إلى العربيَّة من لغات عالية الإلصاقيَّة يمكنها زيادة المحتوى الدّلاليّ للمصطلح الواحد عن طريق لصق المزيد من الصَّرفيمات، لذا عُنِيَ المؤلِّف في هذا الفصل بدراسة الاستراتيجيّات الفعليَّة لترجمة المصطلح مُتعدِّد الصَّرفيم، دون أن تؤدّي التَّرجمةُ إلى إخلال بمفهوم المصطلحِ أو مُرونَتِهِ التَّداوليّة، وأجرى المؤلِّف دراسة تطبيقيَّة حصرَ فيها أنماطَ المصطلحاتِ متعدِّدة الصَّرفيم في مدوّنة نصيّة ثريّة، ووضّحَ استراتيجيّات ترجمتها، وكشفَ عن كفاءة هذه الاستراتيجيّات في المُحافظة على مفهومِ المصطلحِ المُترجَم.

الفصل الثّاني: إشكاليَّة القدرة الإنتـاجيَّـة للمُصْطلح:

أوضحت الدِّراسات المفهوميَّة للمصطلح حجم الالتباسات النّاجمة عن تراكم المفردات، والمتماثلات الجناسيَّة، واعتبرتها حالة مُهمَّة من سوء التَّوصيل، لهذا أعطت الدِّراسات المفهوميَّة أولويَّة خاصَّة لقدرة المصطلح على إنتاج مصطلحاتٍ أخرى، وجعلت ما ينتجُ عن المصطلح من مشتقّات لغويَّة مفهوميَّة أحد عناصرها المعتمَدة لدراسة مفهوميَّة المصطلح، لهذا حاول المؤلِّف في هذا الفصل إبرازَ أبعاد هذه الإشكاليَّة، واقتراحَ مصطلح جديد لدراستها أسماه: "القدرة الإنتاجيَّة للمصطلح"، وأوضحَ الفرق بين القدرة الإنتاجيَّة للمصطلح وعمليَّة الاشتقاق، واقترح طريقة لقياسِ القدرة الإنتاجيَّة للمصطلح، وطبَّقها على فئتين مختلفتَين من فئات المصطلح الأجنبيّ المنقول للعربيَّة.

الفصل الثّالث: إشكاليّة كفاءة تعريف المصطلح:

يُعَدُّ غياب التّعريف الجيِّد من أكبر إشكاليّات المعجميّات العربيّة خاصّة والمصطلحيّات عامَّة، وعلى الرَّغم من كلِّ الجهود المبذولة إلّا أنَّ الدِّراسات ما زالت تؤكّد أنَّ التّعريف ليس له قاعدة مُطّردة أو مُلزِمة، لذا جاء هذا الفصل ليُجيبَ عن تساؤلات مهمّة منها: هل تعتَمِد صناعة التّعريف على أسس ومعايير؟ وهل هناك معايير واضحة تضبِطُ الكفاءة التَّعريفيَّة، وتمكِّنُنا من الحكم بموضوعيَّة على جودة تعريفٍ ما؟ ما المكوّنات الّتي يجب توافرها في التّعريف حتى يوضِّح المعنى على الوجه المطلوب؟ وقد حاول المؤلِّفُ في هذا الفصل استقراءَ المكوّنات التّعريفيَّة لتعريف المصطلح، وتتبّعَ القواعد الفعليَّة الّتي تقوم عليها صناعة التّعريف، ووضعَ أساسًا منهجيًّا للكفاءة التّعريفيّة للمُصطلح مستندًا فيه إلى تحديد المكوّنات التّعريفيّة الأساسيَّة، كما ابتكرَ آليَّة لقياس الكفاءة التَّعريفيَّة للمصطلح.

> **يُعَدُّ غياب التّعريف الجيِّد من أكبر إشكاليّات المعجميّات العربيّة خاصَّة والمصطلحيّات عامَّة، وعلى الرَّغم من كلِّ الجهود المبذولة إلّا أنَّ الدِّراسات ما زالت تؤكّد أنَّ التّعريف ليس له قاعدة مُطّردة أو مُلزِمة**

الفصل الرّابع: إشكاليّة التّلازم اللّفظيّ، مع التّقعيد للظّاهرة:

التّلازم اللّفظيّ ظاهرة لغويَّة مهمّة ما زالت تحتاج إلى مزيد من الدّراسة للكشفِ عن طبيعة هذه العلاقة الخاصَّة بين الوحدات المعجميَّة، وتبرز الإشكاليّة بوضوح عندما تقوم بعض المعاجم العربيّة بجمع المتلازمات اللّفظيَّة دون وجود قاعدة واضحة لاختيارها، فحاول المؤلّف في هذا الفصل استكشاف الأبعاد



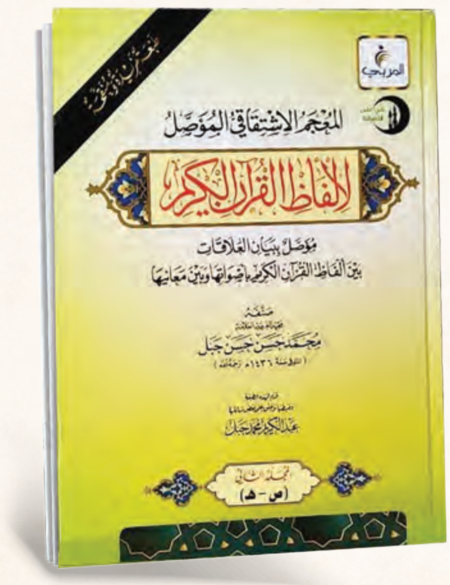
الفعليَّة للتّلازم اللّفظيّ، واقترح طريقة لقياس شيوعه في اللّغة، ووضّح سمات التّلازم اللّفظيّ ذي التّداوليّة العالية، واقترح طريقة لقياس قوّة رابطة التّلازم اللّفظيّ، وكشف عن العوامل الّتي تؤثّر في قوّة الرّابطة، وكشف عن المدى المتاح للإزاحة بين وحدات التّلازم اللّفظيّ، واقترح طريقة لقياس قدرة وحدة معجميَّة على جذب وحدات أخرى لتكوين تلازم لفظيّ، كما اجتهدَ المؤلّف في إنشاء مدوَّنة نصيَّة منوَّعة تشتمل على: أكبر مدوّنة عربيَّة مفتوحة المصدر، ومجموعة من أهمّ المعاجم اللّسانيّة العربيّة، ومجموعة من أهمّ المعاجم اللّسانيّة الإنجليزيّة، وجاء هذا التّنوّع حرصًا من المؤلّف على الإفادة من الإمكانيّات الكبيرة للمدوّنات الإلكترونيّة، ولإثراء نتائج هذا الكتاب بالمقارنة بين المعجميّات العربيَّة والمعجميّات الإنجليزيّة.

خَلُصَت دراسات هذا الكتاب إلى عددٍ من النتائج النّظريّة والتّطبيقيّة، اقترح

> **جاء هذا الكتاب ليقدّم نماذج منتقاة من المناهج اللِّسانيَّة الحديثة الّتي طرحت أُطرًا نظريَّة أو مناهج تطبيقيّة تستطيع معالجة إشكاليّات معجميّة مُهمَّة**

فيها المؤلّف عددًا من المصطلحات الجديدة، وآليّات واستراتيجيّات ومعايير قياس لم يُسبَق إليها حسب تعبيره، مثل استراتيجيّات ترجمة المصطلح متعدّد الصّرفيم ترجمةً تمنح المصطلح المُترجَم الدّقّة، والمرونة في منظومته المفهوميّة، إضافة إلى اقتراح منهجيَّة قياس منضبطة للتّعامل مع القدرة الإنتاجيَّة للمصطلح وفقَ أنظمة مفاهيميَّة متّسقة ومتكاملة، علاوةً على اقتراحِ منهجيَّة لضبط كفاءة التّعريف وتحديد أبعاد موضوعيّة لجودة التّعريف، واقتراح منهجٍ نظريّ لصياغة التّعريف وفق خطوات إجرائيَّة قابلة للتَّطبيق.

تجدر الإشارة هنا إلى أنَّ النّتائج الواردة في هذا الكتاب لا تُعَدُّ إلّا نموذجًا لما يمكن أن تمنحه اللّسانيّات من دراسات متجدّدة، وتحليلات لغويّة، وتفسيرات تعينُ على جعل المعجميّات علمًا أكثر منهجيَّة وعمقًا، وقد عبَّرَ المؤلّف عن مدى حاجة المعجميّات إلى اللّسانيّات بقوله: "إنَّ أمل المعجميّات ومستقبلها يكمنُ في حدوث تعاون حقيقيّ بين الدّراسات المعجميَّة وصُنّاع المعجم، ولابُدّ من إحداث تغيير لذلك الواقع الّذي يؤكّد أنَّ معظم القواميس المتخصّصة مكتوبة بغير لغويّين، وأنَّ بعضها ألّفه متخصّصون ليس لديهم تدريب معجميّ، ولن يكون ذلك إلّا بإقامة جسور متينة تمتدّ لتربط جذر التَّنظير والتّطبيق في بحر المعجميّات».



قِرَاءَةٌ فِي كتاب

«المُعْجَمِ الاشْتِقَاقِيِّ المُؤَصِّلِ لألْفَاظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ»

هُوَ سِفْرٌ مُعْجَمِيٌّ جَليلٌ، لِفَقيهِ العَرَبِيَّةِ الرَّاحِلِ، العَلاَّمَةِ الدُّكتُور "مُحمّد حَسَن حَسَن جَبَل"، ويُعَدُّ مِنْ أَجَلِّ مُصَنَّفَاتِهِ العِلْمِيَّةِ الكَثِيرَةِ فِي عُلُومِ العَرَبِيَّةِ، وخاصَّةً فِقْهِ اللُّغَةِ وتَطْبِيقَاتِهِ الدَّقِيقَةِ فِي مَجَالِ تَأْثِيلِ العَرَبِيَّةِ. تَقَعُ الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ مِنْ هَذَا السِّفْرِ فِي مَا يَزِيدُ عَلَى أَلْفٍ وخَمْسِمِئَةِ صَفْحَةٍ مِنَ القَطْعِ الكَبِيرِ(1)؛ وبِتَأَمُّلِ تِلْكَ الصِّيَاغَةِ الدَّقِيقَةِ لِعُنْوانِ المُعْجَمِ يَتَبَيَّنُ لَنَا مَوْضُوعُ الكِتَابِ، ومَنْهَجُهُ وهَدَفُهُ، وقِيمَتُهُ فِي مَجَالِ عُلُومِ العَرَبِيَّةِ عُمُومًا، والَّتِي لا تَسْتَغْنِي -أَبَدًا- عَنِ الأَبْعَادِ المُعْجَمِيَّةِ لِلُّغَةِ، الَّتِي تَكْشِفُ عَنْ خَبَايَا التَّعْبِيرِ الكَامِنَةِ بَيْنَ أَحْرُفِ الكَلِمَاتِ، وجُذُورِهَا، وبُنَاهَا الصَّرْفِيَّةِ، وبَيْنَ دَلالاتِهَا التَّارِيخِيَّةِ الأَصْلِيَّةِ والمَجَازِيَّةِ.



د. أحمد علي منصور
شاعِرٌ وناقِدٌ، وباحِثٌ في عُلُومِ اللُّغَةِ- مِصْرَ

ومِنَ العُنْوانِ يَتَّضِحُ لَنا ما يَسْتَهْدِفُهُ المُصَنِّفُ مِنْ تَأْصِيلِ الأَلْفَاظِ، وبِخَاصَّةٍ فِي المُعْجَمِ القُرْآنِيِّ، وذَلِكَ بِتَتَبُّعِ تَحَوُّلاتِ جُذُورِهَا واشْتِقَاقَاتِهَا ودَلالاتِهَا ، وتَأْثِيلِ هَذِهِ الجُذُورِ، بَلْ والحُرُوفِ الَّتِي تَتَكَوَّنُ مِنْهَا الجُذُورُ، وتَتَبُّعِ مَعَانِيهَا الدَّقِيقَةِ المَخْصُوصَةِ، وُصُولاً إِلَى التَّعَرُّفِ إِلى مَعَانِي الكَلِمَاتِ مِنْ خِلالِ تِلْكَ الجُذُورِ (ثُنَائِيَّةً، أَوْ ثُلاثِيَّةً، أَوْ رُبَاعِيَّةً).

ومِنْ خِلالِ هَذَا التَّتَبُّعِ اللَّطِيفِ الدَّقِيقِ يَسْتَهْدِفُ المُصَنِّفُ الوُصُولَ إِلَى تَأْصِيلِ العَلاقَاتِ مَا بَيْنَ مُكَوِّنَاتِ بِنْيَةِ الكَلِمَةِ (أَحْرُفًا، وَجُذُورًا)، وَبَيْنَ مَعَانِيهَا وَبَيَانِهَا.

ولَمْ يَكُنْ مَنْهَجُ الدُّكْتُور "جَبَل" يَعْتَمِدُ فِي ذَلِكَ عَلَى تَفْعِيلِ الحَوَاسِّ "التَّصَاقُبِيَّةِ" أَوِ "الأُنُوماتُوبِيَّة"(2)، فِي تَتَبُّعِ -أَوْ تَحَسُّسِ- مَعَانِي الكَلِمَاتِ مِنْ خِلالِ أَصْوَاتِهَا، إِنَّمَا كَانَ مَنْهَجُهُ تَتَبُّعَ المَعَانِي مِنْ خِلالِ اسْتِقْرَاءِ مُكَوِّنَاتِ مَبَانِي مَوَادِّ أَلْفَاظِ المُعْجَمِ، ومَا جَمَعَ بَيْنَهَا مِنْ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٍ، مِنْ رَوَافِدَ دَلالِيَّةٍ لَطِيفَةٍ دَقِيقَةٍ، يُمْكِنُ لِفَقِيهِ اللُّغَةِ أَنْ يَتَوَصَّلَ إِلَيْهَا فَيَكْشِفَ عَنْهَا عِنْدَمَا يُوغِلُ فِي المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ المُتَنَوِّعَةِ الَّتِي تُثْبِتُ

المَعَانِيَ الَّتِي اسْتَعْمَلَتْهَا العَرَبُ فِي مَوْرُوثِهَا المَرْوِيِّ وَالمُدَوَّنِ عَبْرَ العُصُورِ.

ولَقَدْ كَانَ هَذَا المَسْلَكُ ذَكِيًّا حَكِيمًا ولا رَيْبَ، ذَلِكَ أَنَّ المُدَقِّقَ فِي المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ يُدْرِكُ أَنَّ تَعَدُّدَ مَعَانِي الكَلِمَةِ لَمْ يَكُنِ اعْتِبَاطِيًّا(3)، ولا يَعْنِي تَشَتُّتَ الجِذْرِ اللُّغَوِيِّ بَيْنَ مَعَانٍ تَبْدُو -فِي الغَالِبِ- مُتَبَاعِدَةً بِلا عَلاقَاتٍ تَجْمَعُ بَيْنَهَا، أَوْ كَمَا قَدْ يَتَصَوَّرُ البَعْضُ بِأَنَّ الحَرَكَةَ الدَّلالِيَّةَ المُتَنَوِّعَةَ لِمَعَانِي اللَّفْظِ كَانَتْ عَشْوَائِيَّةً غَيْرَ مَحْكُومَةٍ بِقَوَانِينَ لُغَوِيَّةٍ حَاكِمَةٍ فَاعِلَةٍ صَارِمَةٍ. إِنَّمَا عَلَى العَكْسِ، يُمْكِنُنَا أَنْ نَتَبَيَّنَ بِالتَّدْقِيقِ أَنَّ هَذِهِ التَّنَوُّعَاتِ والتَّحَوُّلاتِ الدَّلالِيَّةَ لِمَعَانِي الكَلِمَةِ -عَلَى اقْتِرَابِهَا وتَدَانِيهَا أَحْيَانًا، وتَبَاعُدِهَا وتَشَظِّيهَا أَحْيَانًا أُخْرَى(4)- إِنَّمَا كَانَتْ فِي حَقِيقَةِ الأَمْرِ وَوَاقِعِهِ مَحْكُومَةً بِالقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي تَقُودُ حَتْمًا إِلَى تَطَوُّرِ اللُّغَةِ واتِّسَاعِهَا؛ أَيْ قَوَانِينِ تَطَوُّرِ أَلْفَاظِ اللُّغَةِ، والَّتِي لا تَشَوُّشَ فِيهَا ولا اعْتِبَاطَ.

إِنَّهَا قَوَانِينُ التَّطَوُّرِ اللُّغَوِيِّ(5)، وبِخَاصَّةٍ قَوَانِينُ التَّوَالُدِ، أَوِ التَّوْلِيدِ اللُّغَوِيِّ (اللَّفْظِيِّ، والدَّلالِيِّ)؛ والَّتِي تَحْكُمُ بِأَنَّ اللَّفْظَ الوَاحِدَ يَظَلُّ فِي حَالاتٍ تَجَدُّدِيَّةٍ تَوَالُدِيَّةٍ مُسْتَمِرَّةٍ، إِمَّا عَلَى المُسْتَوَى اللَّفْظِيِّ/ الصَّوْتِيِّ (أَيِ: التَّلَفُّظِ؛ وفِي هَذِهِ الحَالَةِ تُبَدَّلُ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الصَّوْتِيَّةُ، بِزِيَادَةٍ، أَوْ نُقْصَانٍ، أَوْ إِبْدَالٍ، أَوْ قَلْبٍ مَكَانِيٍّ)، وإِمَّا تَتَبَدَّلُ أَحْوَالُ اللَّفْظِ الدَّلالِيَّةُ (حِينَ تَتَوَالَدُ فَتَتَعَدَّدُ وتَتَجَدَّدُ مَعَانِي اللَّفْظِ، وبِخَاصَّةٍ مِنْ طَرِيقِ التَّحْوِيرِ، والتَّحْوِيلِ أَوِ الاسْتِبْدَالِ الدَّلالِيِّ، والمَجَازِيِّ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ، بِأَشْكَالِهِ المُتَنَوِّعَةِ، المُرْسَلَةِ، والاسْتِعَارِيَّةِ، والكِنَائِيَّةِ). وهَذَا فَضْلًا عَنْ أَحْوَالِ تَبَدُّلِ اللَّفْظِ مَبْنًى ومَعْنًى مَعًا، فِي نَقْلَةٍ مُزْدَوِجَةٍ يَحْدُثُ فِيهَا أَنْ تَتَبَدَّلَ أَحْوَالُ اللَّفْظِ (الصَّوْتِيَّةُ)، فِي الوَقْتِ الَّذِي تَتَبَدَّلُ فِيهِ -أَيْضًا- أَحْوَالُ دَلالاتِ اللَّفْظِ، ومَعَانِيهِ المُتَجَدِّدَةِ.


أ.د. عبد الكريم جبل


د.محمد حسن جبل رحمه الله

وعَلَى ذَلِكَ فَإِنَّ حَرَكَةَ اللَّفْظِ العَرَبِيِّ (مَبْنًى ومَعْنًى) حَرَكَةٌ هَائِلَةٌ بَيْنَ المَبَانِي والمَعَانِي، لايَكَادُ فِيهَا مُسْتَعْمِلُو اللُّغَةِ، وذَوُوهَا ، يُلاحِقُونَ عَرَامَةَ خِضَمِّ المُعْجَمِ العَرَبِيِّ واتِّسَاعَهُ. وفَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ كَثِيرًا مَا تَتَعَثَّرُ أَفْهَامُ القِرَاءَةِ والتَّفْسِيرِ والتَّأْوِيلِ وأَقْلامُهَا فِي فَكِّ شِفْرَةِ كَلِمَةٍ، أَوْ تَعْبِيرٍ، أَوْ تَرْكِيبٍ، فِي نَصٍّ مِنَ النُّصُوصِ؛ سَوَاءً فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ أَوْ تَأْوِيلِهِ ، أَوْ قِرَاءَةِ مَقَاصِدِ النُّصُوصِ الأَدَبِيَّةِ العَالِيَةِ كَذَلِكَ؛ حِينَ يَدِقُّ هَذَا اللَّفْظُ أَوْ ذَاكَ عَنِ الإِحَاطَةِ بِمَرَامِيهِ ومَعَانِيهِ، فَضْلًا عَنْ مَعَانِي العِبَارَاتِ المُتَضَمِّنَةِ لِهَاتِيكَ الكَلِمَاتِ. وهُنَا عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَرِفَ بِقُصُورِ القِرَاءَةِ، وغَشَيَانِ الوَعْيِ القَاصِرِ عَنِ الإِحَاطَةِ بِأَسْرَارِ الدَّالِّ اللُّغَوِيِّ الكَثِيفِ المُشَفَّرِ أَوِ الْتِبَاسِهِ ، وَمَدْلُولِهِ الَّذِي كَثِيرًا مَا نَشْعُرُ بِقُصُورِهِ وَضَآلَتِهِ فِي

التَّأْصِيلُ التَّأْثِيلِيُّ عَمَلِيَّةُ تَشْرِيحٍ دَقِيقٍ لِلَفْظِ الكَلِمَةِ، فَضْلًا عَنْ تَشْرِيحِ مَدْلُولاتِهَا السَّائِرَةِ أَوِ المَأْثُورَةِ، الأَصْلِيَّةِ والمُتَحَوِّلَةِ، وبِخَاصَّةٍ المَعَانِي المَجَازِيَةِ

التَّأْصِيلُ التَّأْثِيلِيُّ لا يَتَتَبَّعُ أُصُولَ الأَلْفَاظِ وتَحَوُّلاتِهَا فَحَسْبُ، بَلْ يُؤَثِّلُ أَيْضًا تَحَوُّلاتِ أَحْرُفِهَا، وجُذُورِهَا، واشْتِقَاقَاتِهَا، ومَعَانِيهَا الدَّقِيقَةِ المَخْصُوصَةِ ودَلالاتِهَا

الاشْتِقَاقُ أَكْمَلُ الطُّرُقِ فِي تَعْرِيفِ مَدْلُولاتِ الأَلْفَاظِ كَمَا قَالَ «الفَخْرُ الرَّازِيّ»

فَعَالِيَّتِهِ السِّيَاقِيَّةِ؛ لِنَظَلَّ فِي حَالٍ مِنَ الانْتِظَارِ لِمَنْ يَكْشِفُ لَنَا عَنْ رَافِدٍ جَدِيدٍ مِنْ رَوَافِدِ العَلاقَةِ بَيْنَ الدَّالِّ وَالمَدْلُولِ، أَوِ المَبْنَى وَالمَعْنَى، أَوْ بَيْنَ بِنْيَةِ اللَّفْظِ الصَّوْتِيَّةِ، وَمُكَوِّنَاتِهِ، أَوْ تَجَلِّيَاتِهِ الدَّلالِيَّةِ.

ولِهَذَا كُلِّهِ نَظَلُّ فِي حَاجَةٍ إلى مَعَاجِمَ مُتَجَدِّدَةٍ، تُضِيفُ إلى مَعَاجِمِ الأَسْلافِ -والمُعَاصِرِينَ أَيْضًا- مَوَادَّ جَدِيدَةً، أَوْ دَلالاتٍ مُتَجَدِّدَةً قَدْ نَفْتَقِدُهَا فِيمَا سَبَقَ مِنْ مُدَوَّنَاتِ تُرَاثِ العَرَبِيَّةِ وَمَرْوِيَّاتِهِ، مَوْضُوعِ قِرَاءَتِنَا هَذِهِ. ونَحْنُ فِي ذَلِكَ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ إلى المَعَاجِمِ التَّأْصِيلِيَّةِ، أَوِ التَّأْثِيلِيَّةِ، الَّتِي تُحَاوِلُ الدُّخُولَ إلى أَسْرَارِ اللَّفْظِ، وشِفْرَاتِهِ المُعَقَّدَةِ، لا مِنْ خِلالِ مَرْوِيَّاتِ الدَّلالاتِ المُدَوَّنَةِ فِي التُّرَاثِ القَدِيمِ وحَسْبُ، وإِنَّمَا مِنْ خِلالِ رَصْدِ تَحَوُّلاتِ الحُرُوفِ ودَلالاتِها، ومِنْهَا إِلَى رَصْدِ تَحَوُّلاتِ الجُذُورِ ودَلالاتِها، ومِنْ هَذَا وذَاكَ إِلَى رَصْدِ تَحَوُّلاتِ بِنْيَةِ الكَلِمَةِ كُلِّها، إِنْ كَانَتْ مِنْ جَذْرٍ وَاحِدٍ، أَوْ جَذْرَيْنِ، أَوْ ثَلاثَةٍ عَلَى الأَكْثَرِ.

إِذَنْ نَحْنُ -فِي هَذِهِ الحَالَةِ- نَكُونُ أَمَامَ عَمَلِيَّةِ تَشْرِيحٍ دَقِيقٍ لِلكَلِمَةِ، بِمَا يَشْمَلُ ذَلِكَ مِنْ تَشْرِيحٍ وتَحْلِيلٍ لِلَّفْظِ، فَضْلًا عَنِ التَّشْرِيحِ الدَّلالِيِّ اللَّازِمِ، بِتَقَصِّي الدَّلالاتِ المَعْرُوفَةِ السَّائِرَةِ أَوِ المَأْثُورَةِ لِلكَلِمَةِ فِي التُّرَاثِ بِنُصُوصِهِ المُخْتَلِفَةِ، ثُمَّ بِإِخْضَاعِ هَذِهِ المَادَّةِ لِلفَحْصِ الدَّقِيقِ لِمَعْرِفَةِ مَا يَرْبِطُ بَيْنَ مَعَانِيهَا المُتَعَدِّدَةِ مِنْ رَوَابِطَ. ومِنْ هُنَا قَدْ نَسْتَطِيعُ -مِثْلَمَا يُحَاوِلُ الدُّكْتُور «جَبَل»- أَنْ نَصِلَ إِلَى دَلالاتِ الحُرُوفِ (وهِيَ تَتَنَوَّعُ)، ثُمَّ إِلَى دَلالاتِ



الجُذُورِ (وهِيَ تَتَنَوَّعُ كَذَلِكَ)، ومِنْ ذَلِكَ نَصِلُ إِلَى الدَّلالَةِ (أَوِ الدَّلالاتِ) الأَصْلِيَّةِ لِلكَلِمَةِ (أَوِ الكَلِمَاتِ) المُنْبَنِيَةِ عَلَى تِلْكَ الجُذُورِ (وقَدْ تَتَعَدَّدُ جُذُورُ الكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ المُرَكَّبَةِ مِنْ: جِذْرَيْنِ، أَوْ مَقْطَعَيْنِ، أَوْ ثَلاثَةٍ، أَوْ مَقَاطِعُها)، وُصُولًا إِلَى الدَّلالاتِ الفَرْعِيَّةِ (المُتَفَرِّعَةِ عَنِ الدَّلالَةِ الأَصْلِيَّةِ وَمَعْرِفَةِ أَسْرَارِ مَعْنَاهَا الأَصِيلِ، وَالمَعْنَى أَوِ المَعَانِي المُتَحَوِّلَةِ عَنْهُ).

ولَكَ أَخِي القَارِئُ والبَاحِثُ أَنْ تَتَصَوَّرَ إِلَى أَيِّ مَدًى سَتَتَّسِعُ قِرَاءَتُنَا الدَّلالِيَّةُ لِلكَلِمَةِ الوَاحِدَةِ، فِي نَصٍّ مِنَ النُّصُوصِ، حِينَ نَدْخُلُ إِلَى مَقْصُودِهَا الدَّلالِيِّ مِنْ عِدَّةِ زَوَايَا؛ فَنَقْرَأُ دَلالاتِها -أَوَّلًا- مِنْ خِلالِ أَحْرُفِهَا مُنْفَرِدَةً، أَوْ مَقَاطِعِهَا الصَّوْتِيَّةِ، ثُمَّ مِنْ خِلالِ مُكَوِّنَاتِهَا الجِذْرِيَّةِ (مِنْ جِذْرٍ، أَوْ أَكْثَرَ)، ثُمَّ مِنْ خِلالِ بِنْيَتِهَا الصَّرْفِيَّةِ الكُلِّيَّةِ (ولِكُلٍّ مِنْهَا دَلالاتُهُ المَخْصُوصَةُ، أَوِ المَجَازِيَّةُ أَيْضًا)(6)، ثُمَّ مِنْ خِلالِ الدَّلالاتِ المَجَازِيَّةِ أَوِ التَّمْثِيلِيَّةِ المُتَحَوِّلَةِ عَنِ الدَّلالَةِ الأَصْلِيَّةِ لِلكَلِمَةِ. هُنَالِكَ سَنَكْتَشِفُ أَنَّ الكَلِمَةَ عِبَارَةٌ عَنْ كُتْلَةٍ صَوْتِيَّةٍ مُرَكَّبَةِ العَنَاصِرِ، كَالخَلِيَّةِ فِي الكَائِنِ الحَيِّ فِي الطَّبِيعَةِ، تَتَكَوَّنُ مِنْ عِدَّةِ عَنَاصِرَ مُتَوَاشِجَةٍ مُتَفَاعِلَةٍ، حَيَّةٍ نَابِضَةٍ، مُكْتَنِزَةٍ أَوْ مُخَصَّبَةٍ مِنْ أَمْشَاجٍ صَوْتِيَّةٍ ودَلالِيَّةٍ عَرِيقَةٍ عَرَاقَةَ الزَّمَانِ الَّذِي عَاشَتْهُ الكَلِمَةُ.

ومِنْ هُنَا تَأْتِي قِيمَةُ مِثْلِ هَذَا "المُعْجَمِ الاشْتِقَاقِيِّ المُؤَصِّلِ لأَلْفَاظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ"، لِلعَلَّامَةِ الدُّكْتُور/ مُحمّد حَسَن حَسَن جَبَل؛ لِكَوْنِ هَذَا السِّفْرِ الكَبِيرِ يُمَثِّلُ جُهْدًا فَائِقًا لِعَالِمٍ لُغَةٍ فَقِيهٍ، يُحَاوِلُ بِهِ دَرْءَ هَذَا العَجْزِ التَّارِيخِيِّ عَنْ مَلْءِ تِلْكَ الفَجَوَاتِ فِي تُرَاثِنَا المُعْجَمِيِّ، بِالرَّغْمِ مِنْ مُحَاوَلاتٍ

عَديدَةٍ سَابِقَةٍ فِي هَذَا الاتِّجَاه، لَكِنَّهَا لَمْ تَبْلُغِ الغَايَةَ فِي الإحَاطَةِ بِأسْرَارِ اللَّفْظِ العَرَبِيِّ الـمُعْجِزِ بِشِحْنَاتِهِ اللَّفْظِيَّةِ وَالدَّلالِيَّةِ الخَصِيبَةِ

إضَاءَاتٌ عَلَى المُعْجَم:

قَدَّمَ هَذِهِ الطَّبْعَةَ الرَّابِعَةَ الأُسْتَاذُ الدُّكتُور/ عَبْدُ الكَرِيم مُحمّد حَسَن جَبَل، رَئِيسُ قِسْمِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ السَّابِقُ بِكُلِّيَّةِ الآدَابِ- جَامِعَةِ طَنْطَا بِدِلْتَا مِصْرَ، وهُوَ نَجْلُ العَلَّامَةِ الرَّاحِل، مُصَنِّفِ هَذَا الكِتَاب. قَامَ الدُّكتُور "عَبْدُ الكَرِيم" بِتَدْقِيقِ الطَّبْعَاتِ السَّابِقَة، والزِّيَادَةِ عَلَيْهَا، لِتَمْتَازَ هَذِهِ الطَّبْعَةُ بِضَبْطِ المُفْرَدَات، وشَرْحِ الغَرِيبِ مِنْهَا، وتَوْثِيقِ أَكْثَرِ الشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّةِ وشَرْحِها، وتوثيق بعض النّقول والأقــوال من مصادرها، والتّعليق على بعض المسائل وبيان المراد من بعض عِبارات المُصنِّف، بالإضافة إلى ترجمةٍ موجزةٍ عنه.

وفِي إهْدَائِه، يَتَبَيَّنُ لَنَا مَا يَسْتَهْدِفُهُ المُصَنِّفُ مِنْ خِدْمَةِ قَضَايَا عُلُومِ القُرْآنِ بِخَاصَّةٍ، وعُلُومِ العَرَبِيَّةِ بِعَامَّةٍ، فَيَضَعُ مُعْجَمَهُ بَيْنَ أَيَادِي كُلِّ مَنْ يَهُمُّهُ الأَمْرُ؛ فَجَاءَ الإهْدَاءُ كَالآتي: (إِلَى السَّادَةِ عُلَمَاءِ تَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيمِ ودَارِسِيه، وأَهْلِ القُرْآنِ عَامَّةً. وإِلَى السَّادَةِ عُلَمَاءِ أُصُولِ اللُّغَة، والبَاحِثِينَ فِي فِقْهِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة، وفِي مَتْنِهَا، وفِي أَصْوَاتِهَا، وسَائِرِ قَضَايَاهَا. وإِلَى كُلِّ مَنِ اعْتَزَّ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّة، وَتَحَمَّسَ لَهَا، وَنَاصَرَهَا بِبُحُوثِه، أَوْ عَمَلِهِ فِي مَجَامِعِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة، وَفِي الجَامِعَاتِ وَالـمَدَارِسِ).





الكَلِمَةُ عِبَارَةٌ عَنْ كُتْلَةٍ صَوْتِيَّةٍ مُرَكَّبَةِ العَنَاصِر، كَالخَلِيَّةِ فِي الكَائِنِ الحَيِّ فِي الطَّبِيعَةِ.

تَبَيَّنَ عُلَمَاؤُنَا المُتَقَدِّمُونَ أَنَّ أُسْرَةَ الكَلِمَاتِ فِي العَرَبِيَّةِ لَهَا مَعْنًى مِحْوَرِيٌّ جَامِعٌ يَكُونُ مَعْنًى وَاحِدًا لا يَتَعَدَّى.

وفِي تَقْدِيمِه لِمُعْجَمِه، يَشْرَحُ المُصَنِّفُ مَشْرُوعَهُ الكَبِيرَ؛ يَقُولُ: (هَذَا العَمَلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ -أَيُّهَا الـدَّارِسُ والقَارِئُ الجَادُّ- مُعْجَمٌ اشْتِقَاقِيٌّ مُؤَصَّلٌ لِمَعَانِي أَلْفَاظِ القُرْآنِ الكَرِيم. والمَقْصُودُ بِإِخْرَاجِهِ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ الاشْتِقَاقِيَّةِ هُوَ تَقْدِيمُ تَفْسِيرٍ لِمُفْرَدَاتِ القُرْآنِ الكَرِيم مُوَثَّقٍ ومُؤَصَّلٍ؛ لأَنَّ "الاشْتِقَاقَ هُوَ أَكْمَلُ الطُّرُقِ فِي تَعْرِيفِ مَدْلُولاتِ الألْفَاظِ «كَمَا قَالَ الفَخْرُ الرَّازِيّ. وذَلِكَ حَسْمًا لِلتَّرَدُّدِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ دَارِسُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ الكَرِيم، أَوِ البَاحِثُ فِي مَعَانِي مُفْرَدَاتِه، عِنْدَمَا يُوَاجِهُ بِأَنَّ هُنَاكَ أَقْوَالاً كَثِيرَةً فِي بَيَانِ مَعْنَى المُفْرَدَةِ -أَوِ العِبَارَةِ- القُرْآنِيَّة، فَيُضْطَرُّ إِلَى الاجْتِزَاءِ بِصُورَةٍ مُهْتَزَّةٍ، أَوْ مُلْتَبِسَةٍ، عَنْ ذَلِكَ المَعْنَى. وهَذَا يَقْدَحُ فِي وَثَاقَةِ التَّفْسِير، ويُسِيءُ إِلَى اللُّغَةِ أَيْضًا»(7).

لَعَلَّ هَذِهِ العِبَارَةَ تُوَضِّحُ خُطُورَةَ التَّعَاطِي مَعَ اللَّفْظِ العَرَبِيِّ، وبِخَاصَّةٍ فِي القُرْآنِ الكَرِيم، وتُبَيِّنُ مَا قَدْ يَعْتَوِرُ

بَعْضَ المَوَاضِعِ مِنْ بَعْضِ التَّفَاسِيرِ مِنْ قُصُورٍ، أَوِ اجْتِزَاءٍ، أَوِ الْتِبَاسٍ، أَوْ غُمُوضٍ، أَوْ جَهْلٍ تَامٍّ بِالمَعْنَى أَوِ القَصْدِ أَحْيَانًا لَيْسَتْ بِالقَلِيلَةِ؛ وذَلِك بِسَبَبٍ مِنْ عَدَمِ الوَعْيِ الكَافِي بِالدَّلالاتِ المَقْصُودَةِ لِلأَلْفَاظِ فِي سِيَاقَاتٍ مُعَيَّنَةٍ، أَوْ مُتَعَدِّدَةٍ، قَدْ يَنْبُو عَنْهَا مَا يَتَعَسَّفُ فِي تَقْدِيرِهِ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ، إِلَى الدَّرَجَةِ الَّتِي كَثِيرًا مَا تَبْدُو وَاضِحَةً أَمَامَ المُتَلَقِّي والبَاحِثِ الَّذِي يُلاحِظُ اهْتِزَازًا أَوْ قُصُورًا فِي مُعَالَجَةِ المُفَسِّرِ مَعَ كَلِمَةٍ، أَوْ عِبَارَةٍ، أَوْ آيَةٍ كَامِلَةٍ أَحْيَانًا. ومَعْنَى ذَلِكَ فَإِنَّنَا لا نَزَالُ بِحَاجَةٍ إِلى مُعَالَجَةِ هَذِهِ الفَجَوَاتِ، بِمَزِيدٍ مِنْ تَقَصِّي دَلالاتِ اللَّفْظِ العَرَبِيِّ، وبِخَاصَّةٍ مِنْ طَرِيقِ التَّأْصِيلِ أَوِ التَّأْثِيلِ، وبِالأَخَصِّ مِنْ خِلالِ تَحَرِّي العَوَامِلِ الاشْتِقَاقِيَّةِ وَالتَّوْلِيدِيَّةِ فِي تَحْرِيرِ دَلالاتِ الأَلْفَاظِ.

وفِي هَذَا يَقُولُ المُصَنِّفُ: (وإِنَّمَا كَانَ «الاشْتِقَاقُ أَكْمَلَ الطُّرُقِ فِي تَعْرِيفِ مَدْلُولاتِ الأَلْفَاظِ»؛ لأَنَّهُ يَقُومُ عَلَى اسْتِمْدَادِ مَعَانِي الأَلْفَاظِ مِنِ اسْتِعْمَالِ العَرَبِيِّ لَهَا، مَعَ أَخْذِ تَكْيِيفَاتِهِمْ فِي الحُسْبَانِ)،...، (ثُمَّ إِنَّ كُلَّ لَفْظٍ مُشْتَقٍّ مِنْ تَرْكِيبٍ مَا فَإِنَّهُ يَحْمِلُ مَعْنَى ذَلِكَ التَّرْكِيبِ، أَوْ فَرْعًا مِنْهُ، ضَرُورَةً؛ لِوَحْدَةِ الأَصْلِ الَّتِي هِيَ خَصِيصَةٌ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ، ولأَنَّ ذَلِك هُوَ مَعْنَى الاشْتِقَاقِ. وبِذَا تَبَيَّنَ وَجْهُ صِحَّةِ قَوْلِ الفَخْرِ الرَّازِيِّ إِنَّ "الاشْتِقَاقَ هُوَ أَكْمَلُ الطُّرُقِ فِي تَعْرِيفِ مَدْلُولاتِ الأَلْفَاظِ»)(8).

ويُضِيفُ الدُّكْتُور «جَبَل»: (والسَّبِيلُ إِلَى تَحْرِيرِ المَعْنَى الدَّقِيقِ لِكُلِّ مُفْرَدَةٍ



الفخر الرازي

كُلُّ لَفْظٍ مُشْتَقٍّ مِنْ تَرْكِيبٍ يَحْمِلُ مَعْنَى ذَلِكَ التَّرْكِيبِ أَوْ فَرْعًا مِنْهُ؛ نَظَرًا إِلى وَحْدَةِ الأَصْلِ الَّتِي هِيَ خَصِيصَةٌ لِلُّغَةِ العَرَبِيَّةِ

أُسِّسَ مَنْهَجُ "د. جبل" عَلَى تَتَبُّعِ الدَّلالاتِ المُتَعَدِّدَةِ لِلكَلِمَةِ مِنْ خِلالِ تَحْدِيدِ مَا يُسَمِّيهِ "المَعْنَى المِحْوَرِيَّ الجَامِعَ"، والَّذِي تَرِدُّ إِلَيْهِ بَقِيَّةُ المَعَانِي المُتَرَادِفَةِ

مِنَ المُفْرَدَاتِ القُرْآنِيَّةِ بِالاشْتِقَاقِ تَخَطِّيًا لِلخِلافِ اللَّفْظِيِّ (والأَقْوَى مِنَ اللَّفْظِيِّ فِي حَالِ المُشْتَرَك): هُوَ إِيجَادُ ضَابِطٍ، أَيْ مِعْيَارٍ يُوزَنُ بِهِ، ويُطْمَأَنُّ إِلَى سَلامَةِ تَحْدِيدِ مَعَانِي المُفْرَدَاتِ القُرْآنِيَّةِ)(9).

ولله دَرُّ عَالِمِنَا وهُوَ يُثْبِتُ اعْتِمَادَ مَنْهَجِهِ وتَصْنِيفِهِ عَلَى أَسَاسٍ مِنْ نَظَرِيَّةٍ مُؤَصَّلَةٍ عَنْ أَئِمَّةِ العَرَبِيَّةِ القُدَامَى، وَضَعُوا حَجَرَ الأَسَاسِ لِمِثْلِ هَذِهِ المَشْرُوعَاتِ المُعْجَمِيَّةِ، ومَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤَسَّسَ عَلَيْهَا مِنْ بُحُوثٍ فِي أَلْفَاظِ العَرَبِيَّةِ بَيْنَ مَبَانِيهَا ومَعَانِيهَا؛ فَيَقُولُ: (وقَدْ تَبَيَّنَ لَنَا مِنْ أَئِمَّتِنَا المُتَقَدِّمِينَ مِنَ العُلَمَاءِ بِاللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الاشْتِقَاقِيِّينَ، ومِنَ العُلَمَاءِ بِمَعَانِي المُفْرَدَاتِ القُرْآنِيَّةِ، أَنَّ كُلَّ "أُسْرَةِ كَلِمَاتٍ"، أَيْ كُلَّ تَرْكِيبٍ بِمُفْرَدَاتِهِ (أَيْ كَلِمَاتِهِ كُلِّهَا، قِيَاسِيَّةً وغَيْرَ قِيَاسِيَّةٍ) لَهُ مَعْنًى مِحْوَرِيٌّ جَامِعٌ. وقَدْ ثَبَتَ لِمُؤَلِّفِ هَذَا المُعْجَمِ ثُبُوتًا عِلْمِيًّا صِحَّةُ هَذَا الَّذِي تَبَيَّنَهُ عَدَدٌ مِنْ أَئِمَّتِنَا. كَمَا ثَبَتَ لَهُ أَنَّ هَذَا المَعْنَى المِحْوَرِيَّ الجَامِعَ يَكُونُ مَعْنًى وَاحِدًا لا يَتَعَدَّى)(10).

ويُرْدِفُ «د. جَبَل» بِبَيَانِ مَا أُسِّسَ عَلَيْهِ مَنْهَجُهُ، وسَارَتْ عَلَيْهِ طَرِيقَتُهُ، فِي تَتَبُّعِ الدَّلالاتِ المُتَعَدِّدَةِ لِلكَلِمَةِ العَرَبِيَّةِ، مِنْ خِلالِ تَحْدِيدِ مَا يُسَمِّيهِ "المَعْنَى المِحْوَرِيَّ الجَامِعَ"، والَّذِي تَرِدُّ إِلَيْهِ بَقِيَّةُ المَعَانِي المُتَرَادِفَةِ مِنْ هَذَا المَعْنَى المِحْوَرِيِّ الَّذِي يَسْعَى فِي مُعْجَمِهِ لِلتَّوَصُّلِ إِلَيْهِ وتَأْصِيلِهِ؛ فَيَقُولُ: (وكَانَ ذَلِكَ مِنْ خِلالِ مُعَالَجَةٍ تَطْبِيقِيَّةٍ لِمَا يَقْرُبُ مِنْ (2300) أَلْفَيْنِ وثَلاثِمِئَةِ تَرْكِيبٍ، شَمَلَتْ

جَمِيعَ كَلِمَاتِ كُلِّ تَرْكِيبٍ. فَهَذَا المَعْنَى المِحْوَرِيُّ الجَامِعُ هُوَ الضَّابِطُ، وهُوَ المِعْيَارُ الَّذِي نَحْتَكِمُ إِلَيْهِ فِي تَقْرِيرِ مَا هُوَ الدَّقِيقُ مِنْ تَفْسِيرَاتِ الأَئِمَّةِ لِلْمُفْرَدَةِ والعِبَارَةِ القُرْآنِيَّةِ، أَوْ قَوْلِهِمْ أَنَّهُ المُرَادُ بِهَا، وفِي تَقْرِيرِ مَا اخْتَرْنَاهُ أَوْ عَدَّلْنَاهُ مِنَ الأَمْرَيْنِ: التَّفْسِيرِ، والمُرَادِ)(11).

وزِيَــادَةً فِي تَعْرِيفِ مَنْهَجِ هَذَا المَشْرُوعِ البَحْثِيِّ والمُعْجَمِيِّ، يَعْرِضُ "د.جبَل" فِي مُقدِّمَتِهِ تَوْضِيحَاتٍ ضَرُورِيَّةً لِبَعْضِ المَفَاهِيمِ الأَسَاسِيَّةِ الَّتِي سَارَ عَلَى هَدْيِهَا؛ وذَلِكَ مِنْ نَحْوِ: (المَعْنَى المِحْوَرِيِّ الجَامِعِ)، و(أُسْرَةِ الكَلِمَاتِ)، و(التَّرْكِيب)؛ يَقُولُ: (إِنَّ كَلِمَاتِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ جِدُّ كَثِيرَةٍ، لَكِنَّهَا تَتَجَمَّعُ فِي مَجْمُوعَاتٍ هِيَ الَّتِي سَمَّيْنَاهَا «أُسَــرًا». والأُسْــرَةُ الكَلِمِيَّةُ تَسْمِيَتُهَا المَشْهُورَةُ هِيَ: «مَــادَّةٌ»، وتَسْمِيَتُهَا المُسْتَعْمَلَةُ فِي هَذَا المُعْجَمِ هِيَ: "تَرْكِيبٌ". والَّذِي يَقْضِي بِأَنَّ أَيَّةَ مَجْمُوعَةٍ مِنَ الكَلِمَاتِ تُعَدُّ مِنْ أُسْرَةٍ كَلِمِيَّةٍ وَاحِدَة؛ أَيْ مِنْ تَرْكِيبٍ وَاحِدٍ، هُوَ أَنْ تَكُونَ كُلٌّ مِنْ تِلْكَ الكَلِمَاتِ مُكَوَّنَةً مِنْ أَحْرُفٍ أَصْلِيَّةٍ بِعَيْنِهَا، مُرَتَّبَةٍ تَرْتِيبًا مُعَيَّنًا. فَمَثَلًا تَرْكِيبُ (كَتَبَ) مُكَوَّنٌ مِنْ: (كَ+ تَ+ بَ)، بِهَذَا التَّرْتِيبِ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنِ الأَحْرُفِ الزَّائِدَةِ الَّتِي قَدْ تَتَخَلَّلُ أَوْ تَنْضَمُّ إِلَى هَذِهِ الأَحْرُفِ الثَّلاثَةِ، ....، إِنَّ المَعْنَى المِحْوَرِيَّ لِلتَّرْكِيبِ، إِذَا أُحْكِمَ اسْتِخْلاصُهُ، فَإِنَّهُ يُمَكِّنُنَا مِنْ إِحْكَامِ تَفْسِيرِنَا لِمُفْرَدَاتِ التَّرْكِيبِ فِي سِيَاقَاتِهَا القُرْآنِيَّةِ، ويُمَكِّنُنَا كَذَلِكَ مِنْ تَقْوِيمِ التَّفْسِيرَاتِ المَرْوِيَّةِ لِلَّفْظِ، لِنَخْتَارَ مِنْهَا مَا نَطْمَئِنُّ إِلَى صِحَّتِهِ، ونَسْتَبْعِدَ مَا

المعانــي اللُّغَويَّــةِ العامَّــةِ لبعضِ حُروفِ الألِفْبائِيَّةِ العَربيَّةِ

- **ء** — **الهَمْزَةُ:** (تُعبِّرُ عَنْ «ضَغْطٍ» دَقِيقٍ يَتَمَثَّلُ في صــلابَــةٍ)
- **ب** — **الباءُ:** (تُعبِّرُ عَنْ تَجمُّعٍ تَرَاكُمِيٍّ رَخْوٍ، مَعَ تَلاصُــقٍ ما)
- **ت** — **التَّاءُ:** (تُعبِّرُ عَنْ ضَغْطٍ دَقِيقٍ، يُؤَدِّي إِلى حَبْسٍ ضَعيفٍ أَوْ غَيْرِ شَديدٍ، وقَدْ يُؤَدِّي إِلى قَطْعٍ)
- **ث** — **الثَّاءُ:** (تُعبِّرُ عَنْ نَفاذِ دِقاقٍ بِكَثافَةٍ، وانْتِشارِها كالتَّفَشّي)
- **ج** — **الجيمُ:** (تُعبِّــرُ عَنْ تَجمُّــعٍ هَــشٍّ لَهُ حِــدَّةٌ مــا)
- **ح** — **الحاءُ:** (تُعبِّرُ عَنْ جَفافٍ فِي الباطِنِ، مَعَ احْتِكاكٍ بِعرضٍ يُبْرِزُ وُجودَ الممَرِّ الجافِّ فِي الجَوفِ)
- **خ** — **الخاءُ:** (تُعبِّرُ عَنْ تَخَلْخُلٍ ونَحْوِهِ في أَثْناءِ غِلَظٍ، كما تُعبِّرُ عَنِ الاحْتِكَاكِ)
- **د** — **الدَّالُ:** (تُعبِّرُ عَنِ امْتِدادٍ طُولِيٍّ دَقيقٍ مَع انْحِصارٍ، أَيِ: احْتِباسٍ)
- **ر** — **الرَّاءُ:** (تُعبِّــرُ عَنْ سُــيولَةِ الجِــرْمِ مَــع اسْــتِرْسالٍ)
- **ز** — **الزَّايُ:** (تُعبِّرُ عَنْ شَديدِ اكْتِنازٍ بازْدِحامِ أَشْياءَ أَوْ أَجْزاءٍ، بَعْضِــهَا إِلى بَعْــضٍ
- **س** — **السِّينُ:** (تُعبِّرُ عَنِ امْتِدادٍ دَقيقٍ حادٍّ أَوْ قَويٍّ نافِذٍ فِي جِرْمٍ أَوْ جُزْءٍ مِنْهُ).
- **ش** — **الشِّينُ:** (تُعبِّرُ عَنْ تَسَيُّبٍ وتَفَرُّقٍ، أَيِ انْتِشارٍ وتَفَرُّقٍ، وعَدَمِ تَجَمُّعٍ أَوْ تَعَقُّدٍ).
- **ص** — **الصّادُ:** (تُعبِّرُ عَنْ كَوْنِ الشَّيْءِ غَليظًا في ذاتِهِ، خالِصًا مِمَّا يُخالِطُهُ، أَوْ نَفاذٍ كَذَلِكَ)
- **ض** — **الضّادُ:** (تُعبِّرُ عَنْ غِلَظٍ وثِقَلٍ لَهُ حِدَّةٌ ما، يُخَالِطُ فيَضْغَطُ بِغِلَظِهِ وثِقَلِهِ ما خالَطَهُ)

يَتَجَافَى مَعَ المَعْنَى المِحْوَرِيِّ. وهَذِهِ جَدْوَى بَالِغَةُ القِيمَةِ؛ لأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَلْفَاظِ رُوِيَتْ لَهَا تَفْسِيرَاتٌ مُخْتَلِّةٌ، ولا يَسَعُنَا الاخْتِيَارُ العَشْوَائِيُّ، وبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَ السِّيَاقُ يَسْمَحُ بِأَكْثَرَ مِنْ تَفْسِيرٍ. وهَذَا المَعْنَى المِحْوَرِيُّ هُوَ أَهَمُّ مُسْتَوَيَاتِ التَّأْصِيلِ هُنَا)(12).

ويَمْضِي فِي مُقَدِّمَتِهِ المُطَوَّلَةِ، لِيَشْرَحَ المُصَنِّفُ مَنْهَجَهُ العَامَّ، وطَرَائِقَهُ وخُطُوَاتِهِ فِي تَتَبُّعِ وتَأْصِيلِ مَعَانِي الأَلْفَاظِ، مِنْ خِلالِ «المَعْنَى المِحْوَرِيِّ»، ولا يَتَّسِعُ المَقَامُ ولا المِسَاحَةُ -هَهُنَا- لِسَرْدِهَا، ولَكِنْ نَكْتَفِي مِنْهَا بِمَا يَكْشِفُ مَزِيدًا مِنَ الآفَاقِ الَّتِي يَفْتَحُهَا هَذَا المُعْجَمُ؛ فَيَقُولُ: (ولا يَخْفَى أَنَّ اسْتِخْلاصَ المَعْنَى المِحْوَرِيِّ لِكُلِّ تَرْكِيبٍ هُوَ أَعْوَصُ مَا فِي هَذَا العَمَلِ؛ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى إِدْرَاكِ عَلاقَاتٍ، ومِنْ حَيْثُ إِنَّ هَذِهِ العَلاقَاتِ لا بُدَّ أَنْ تُبَيَّنَ، مَعَ خُلُوِّهَا مِنَ التَّكَلُّفِ، ومِنْ حَيْثُ إِنَّ هَذِهِ العَلاقَاتِ لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ مُتَّسِقَةً مَعَ تَكْيِيفِ العَرَبِ ونَظْرَتِهِمْ لأُمُورِ حَيَاتِهِمْ بِكُلِّ مَا فِيهَا، ثُمَّ مِنْ حَيْثُ إِنَّ المَعْنَى المِحْوَرِيَّ المُسْتَخْلَصَ لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ صِيَاغَتُهُ جَامِعَةً، تَصْلُحُ أَنْ يَنْضَوِيَ تَحْتَهَا مَعْنَى كُلٍّ مِنْ مُفْرَدَاتِ التَّرْكِيبِ، وأَنْ تَكُونَ صِيَاغَةُ ذَلِكَ المَعْنَى "مُحَرَّرَةً"؛ بِأَنْ تَكُونَ خَاصَّةً بِهَذَا التَّرْكِيبِ ومُفْرَدَاتِهِ، وأَنْ تَكُونَ "مُوجَزَةً"، لِيُمْكِنَ التَّعْبِيرُ عَنِ المَعْنَى المِحْوَرِيِّ لِلتَّرْكِيبِ بِجُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ. ومِنْ هُنَا فَإِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ فِي عِبَارَةِ "المَعْنَى المِحْوَرِيِّ" هِيَ مَقْصُودَةٌ، ويُمْكِنُ أَنْ يُفَسَّرَ بِهَا لَفْظٌ -أَوْ أَكْثَرُ- مِنْ مُفْرَدَاتِ التَّرْكِيبِ)(13).

ويَظَلُّ مُصْحَفُ القُرْآنِ هُوَ المُصْحَفَ؛ لا يَزِيدُ لَفْظُ القُرْآنِ فِيهِ ولا يَنْقُصُ، إِلَّا أَنَّ مَعَانِيَهُ ومَرَامِيَهُ هِيَ الَّتِي لا تَزَالُ تَزْدَادُ وتَتَجَدَّدُ.

يُضْطَرُّ بَعْضُ المُفَسِّرِينَ إِلَى الاجْتِزَاءِ بِصُورَةٍ مُهْتَزَّةٍ، أَوْ مُلْتَبِسَةٍ عِنْدَ مُعَالَجَةِ بَعْضِ الكَلِمَاتِ أَوِ العِبَارَاتِ، وهَذَا يَقْدَحُ فِي وَثَاقَةِ التَّفْسِيرِ، ويُسِيءُ إِلَى اللُّغَةِ

هَذَا، وتَكْمِيلًا لِلفَائِدَةِ مِنْ هَذَا العَرْضِ القِرَائِيِّ/ الاسْتِقْرَائِيِّ، بِبَيَانِ نَمَاذِجَ مِنْ تَطْبِيقَاتِ هَذَا المُعْجَمِ، نَعْرِضُ بَعْضَ الشَّوَاهِدِ التَّوْضِيحِيَّةِ الَّتِي عَرَضَهَا المُصَنِّفُ نَفْسُهُ فِي مُقَدِّمَتِهِ المُطَوَّلَةِ، لِبَيَانِ مَنْهَجِهِ، وطَرَائِقِ تَطْبِيقِهِ ونَتَائِجِهِ الَّتِي بَنَاهَا عَلَى أَسَاسٍ مِنَ المُلاحَظَاتِ الحِسِّيَّةِ الدَّقِيقَةِ لِمَادَّةِ اللَّفْظِ وتَرْكِيبِهِ. يَقُولُ: (إِنَّ المَلاحِظَ المُشْتَرَكَةَ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا اسْتِخْلاصُ المَعْنَى المِحْوَرِيِّ... ... هُوَ قِوَامُ الجَانِبِ الاشْتِقَاقِيِّ فِي هَذَا المُعْجَمِ). ثُمَّ يُقَدِّمُ عَدَدًا مِنَ الشَّوَاهِدِ التَّطْبِيقِيَّةِ؛ فَيَقُولُ: (ولِتَمْثِيلِ المَعْنَى المِحْوَرِيِّ بِاخْتِصَارٍ نَقُولُ: إِنَّ تَرْكِيبَ (عَصَو- عَصَى) أَوْضَحُ اسْتِعْمَالاتِهِ المَادِّيَّةِ هِيَ: «العَصَا» المَعْرُوفَةُ. وقَدْ عَرَّفَهَا المُعْجَمُ بِـــ «العُود»، ... الخ. فَالمَلْحَظُ فِي تَسْمِيَةِ «العَصَا»، وعَظْمِ السَّاقِ، هُوَ صَلابَتُهَا مَعَ امْتِدَادِهَا...؛ وعَلَى ذَلِكَ فَالعِصْيَانُ مَأْخُوذٌ مِنَ الصَّلابَةِ، والصَّلابَةُ تَتَمَثَّلُ فِي حَالِ العَصَا، وفِي عَظْمِ السَّاقِ، وفِي النَّوَى الصُّلْبِ، ....، واخْتَارَ العَرَبُ التَّعْبِيرَ عَنِ العَصَا بِهَذِهِ الأَحْرُفِ: (ع+ ص+ و) حَسْبَ ذَوْقِهِمْ لِلُغَتِهِمْ بِحُرُوفِهَا فِي كُلِّ مَوَاقِعِ تِلْكَ الحُرُوفِ. فَإِنْ تَعَدَّدَتِ الاسْتِعْمَالاتُ اللُّغَوِيَّةُ الحِسِّيَّةُ فَالأَصْلُ أَحَدُهَا: تَعْيِينًا، أَوْ بِلا تَعْيِينٍ، أَوْ بَعْضُهَا، أَوْ كُلُّهَا)(14).

ومِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، لا يَفُوتُنَا أَنْ نُشِيرَ إِلَى ضَابِطٍ آخَرَ أَسَاسِيٍّ قَامَ عَلَيْهِ مَنْهَجُ تَتَبُّعِ المَعَانِي؛ مِنْ خِلالِ تَتَبُّعِ دَلالاتِ الحُرُوفِ نَفْسِهَا، والَّتِي يَقُولُ المُصَنِّفُ إِنَّهُ "اسْتَخْلَصَ المَعَانِيَ اللُّغَوِيَّةَ العَامَّةَ لِلْحُرُوفِ الأَلِفْبَائِيَّةِ العَرَبِيَّةِ اسْتِخْلاصًا عِلْمِيًّا"، وذَلِكَ عَلَى أَسَاسَيْنِ؛ الأَوَّلُ: هُوَ مَعَانِي كَلِمَاتِ التَّرَاكِيبِ المُكَوَّنَةِ مِنَ الحُرُوفِ المُرَادِ تَحْدِيدُ مَعْنَاهَا، والثَّانِي هُوَ: "هَيْأَةُ تَكَوُّنِ الحُرُوفِ فِي الجِهَازِ الصَّوْتِيِّ، فَإِنَّ هَيْأَةَ التَّكَوُّنِ هَذِهِ يَشْعُرُ بِهَا



الإنْسَانُ عِنْدَ التَّنَبُّهِ لِذَلِكَ، ويَسْتَطِيعُ أَنْ يُحِسَّ مِنْهَا بِمَذَاقٍ لِلحَرْفِ يُسْهِمُ مَعَ الاسْتِعْمَالاتِ اللُّغَوِيَّةِ لَهُ فِي تَحْدِيدِ مَعْنَاهُ. وقَدْ كَانَ «الخَلِيلُ» –ومَنْ بَعْدَهُ مِنَ الأَئِمَةِ– يُسَمُّونَ تَجْرِبَةَ نُطْقِ الحَرْفِ مِنْ أَجْلِ تَحْدِيدِ مَخْرَجِهِ: «ذَوْقًا»، و«تَذَوُّقًا»)(15).

كَمَا قَدَّمَ «د. جَبَل» سَرْدًا بِالمَعَانِي اللُّغَوِيَّةِ العَامَّةِ لِلحُرُوفِ الأَلِفْبَائِيَّةِ العَرَبِيَّةِ؛ نَخْتَارُ مِنْهَا لِلبَيَانِ والتَّمْثِيلِ مَا يَلِي: الهَمْزَةُ: (تُعَبِّرُ عَنْ «ضَغْطٍ» دَقِيقٍ يَتَمَثَّلُ فِي صَلابَــةٍ). والبَاءُ: (تُعَبِّرُ عَنْ تَجَمُّعٍ تَرَاكُمِيٍّ رَخْوٍ، مَعَ تَلاصُقٍ مَا). والتَّاءُ: (تُعَبِّرُ عَنْ ضَغْطٍ دَقِيقٍ، يُؤَدِّي إِلَى حَبْسٍ ضَعِيفٍ أَوْ غَيْرِ شَدِيدٍ، وقَدْ يُؤَدِّي إِلَى قَطْعٍ). والثَّاءُ: (تُعَبِّرُ عَنْ نَفَاذِ دِقَاقٍ بِكَثَافَةٍ، وانْتِشَارِهَا كَالتَّفَشِّي). والجِيمُ: (تُعَبِّرُ عَنْ تَجَمُّعٍ هَشٍّ لَهُ حِدَّةٌ مَا). والحَاءُ: (تُعَبِّرُ عَنْ جَفَافٍ فِي البَاطِنِ، مَعَ احْتِكَاكٍ بِعِرَضٍ يُبْرِزُ وُجُودَ المَمَرِّ الجَافِّ فِي الجَوْفِ). والخَاءُ: (تُعَبِّرُ عَنْ تَخَلْخُلٍ ونَحْوِهِ فِي أَثْنَاءِ غِلَظٍ...، كَمَا تُعَبِّرُ عَنِ الاحْتِكَاكِ). والدَّالُ: (تُعَبِّرُ عَنِ امْتِدَادٍ طُولِيٍّ دَقِيقٍ مَعَ انْحِصَارٍ، أَيِ احْتِبَاسٍ). والذَّالُ: (تُعَبِّرُ عَنْ ثَخِينٍ رَطْبٍ أَوْ غَضٍّ يَنْفُذُ). والرَّاءُ: (تُعَبِّرُ عَنْ سُيُولَةِ الجِرْمِ مَعَ اسْتِرْسَالٍ). والزَّايُ: (تُعَبِّرُ عَنْ شَدِيدِ اكْتِنَازٍ بِازْدِحَامِ أَشْيَاءَ أَوْ أَجْزَاءٍ، بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ. والسِّينُ: (تُعَبِّرُ عَنِ امْتِدَادٍ دَقِيقٍ حَادٍّ أَوْ قَوِيٍّ نَافِذٍ فِي جِرْمٍ أَوْ جُزْءٍ مِنْهُ). والشِّينُ: (تُعَبِّرُ عَنْ تَسَيُّبٍ وتَفَرُّقٍ، أَيِ انْتِشَارٍ وتَفَرُّقٍ، وعَدَمِ تَجَمُّعٍ أَوْ تَعَقُّدٍ). والصَّادُ: (تُعَبِّرُ عَنْ كَوْنِ الشَّيْءِ غَلِيظًا فِي ذَاتِهِ، خَالِصًا مِمَّا يُخَالِطُهُ، أَوْ نَفَاذٍ كَذَلِكَ). والضَّادُ: (تُعَبِّرُ عَنْ غِلَظٍ وثِقَلٍ لَهُ حِدَّةٌ مَا، يُخَالِطُ فَيَضْغَطُ بِغِلَظِهِ وثِقَلِهِ مَا خَالَطَهُ). ....، إِلَى آخِرِ مَا يَسْرُدُهُ المُصَنِّفُ مِنْ مَعَانِي حُرُوفِ العَرَبِيَّةِ، مَدْعُومَةً بِبَعْضِ الشُّرُوحِ والشَّوَاهِدِ مِنْ أَلْفَاظِ العَرَبِيَّةِ(16).

وأَخِيرًا، لَيْسَ هَذَا كُلَّ مَا فِي الأَمْرِ، وما كَانَ هَذَا العَمَلُ نِهَايَةَ المَطَافِ؛ فَلا يَزَالُ الكَثِيرُ مِمَّا يُقَالُ فِيهِ وفِي غَيْرِهِ، تَحَاوُرًا وجِدَالًا نَافِعًا مُنْتِجَ الثِّمَارِ، جَدِيدَ الآثَارِ، يُعَدُّ امْتِدَادًا لأَسْفَارٍ عَبْقَرِيَّةٍ خَطَّهَا أَفْذَاذُ الأَئِمَّةِ مِنْ عُلَمَاءِ أُمَّتِنَا المُتَقَدِّمِينَ، وثُلَّةٍ

تَهْدِفُ الصُّوَرُ الاشْتِقَاقِيَّةُ بِالمُعْجَمِ إِلَى تَقْدِيمِ تَفْسِيرٍ مُوَثَّقٍ ومُؤَصَّلٍ لِمُفْرَدَاتِ القُرْآنِ الكَرِيمِ؛ حَسْمًا لِلتَّرَدُّدِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ دَارِسُ التَّفْسِيرِ فِي مَعَانِي المُفْرَدَاتِ

عَلَى المُسْتَوَى التَّطْبِيقِيِّ عَالَجَ "د. جَبَل" مَا يَقْرُبُ مِنْ (2300) تَرْكِيبٍ، وكَانَ "المَعْنَى المِحْوَرِيُّ الجَامِعُ" لِكُلِّ كَلِمَةٍ هُوَ الضَّابِطَ والمِعْيَارَ الَّذِي احْتَكَمَ إِلَيْهِ فِي تَقْدِيرِ دَلالاتِ المُفْرَدَةِ والعِبَارَةِ القُرْآنِيَّةِ

مِنْ خِيَارِنَا المُتَأَخِّرِينَ؛ سَعْيًا إلى مَزِيدٍ مِنَ الكُشُوفَاتِ لِسَبْعَةِ أَبْحُرِ مِدَادِ الكَلِمِ العَرَبِيِّ، والَّتِي تَظَلُّ مُنْفَتِحَةً عَبْرَ الأَزْمِنَةِ لِمَزِيدٍ مِنَ الجَوْسِ والغَوْصِ لِلْفَوْزِ بِلآلِئِ آلاءِ العَرَبِيَّةِ، لا سِيَّمَا مَعَانِي كَلِمَاتِ الخِطَابِ القُرْآنِيِّ ومَبَانِيهِ ومَقَاصِدِهِ، الَّتِي تَتَجَدَّدُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ، لا نَفَادَ لَهَا مَا بَقِيَتْ كَلِمَاتُ اللهِ. وهُوَ بَعْضُ مِمَّا نَتَفَهَّمُهُ مِنْ تَفْسِيرٍ لِمَا جَاءَ في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ (١٧)، وكَذَا في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾(18).

نَعَمْ، ويَظَلُّ مُصْحَفُ القُرْآنِ هُوَ المُصْحَفَ؛ لا يَزِيدُ لَفْظُ القُرْآنِ فِيهِ ولا يَنْقُصُ، إلَّا أَنَّ مَعَانِيَهُ ومَرَامِيَهُ هِيَ الَّتِي لا تَزَالُ تَزْدَادُ وتَتَجَدَّدُ، كَأَنَّمَا كَلِمَاتُ القُرْآنِ لا تَزَالُ تَتَنَزَّلُ فِيمَا يَتَجَدَّدُ مِنْ مَعَانٍ لَهَا لا تَنْفَدُ أَبَدًا، ولَوْ أَنَّمَا في الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ تَخُطُّ جَدِيدَهَا، ولَوْ أَنَّ سَبْعَةَ أَبْحُرٍ تَمُدُّ مَخْطُوطَهَا، فَتَنْفَدُ البُحُورُ ثُمَّ لا تَنْفَدُ كَلِمَاتُ اللهِ ولَوْ جِيءَ بِمِثْلِ هَذِهِ البُحُورِ مَدَدًا يَمُدُّ مَدَدًا.

حَوَاشٍ ومَرَاجِعُ:

(1)- د. مُحَمَّد حَسَن حَسَن جَبَل: الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ لأَلْفَاظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ- مُؤَصَّلٌ بِبَيَانِ العَلاقَاتِ بَيْنَ أَلْفَاظِ القُرْآنِ الكَرِيمِ بِأَصْوَاتِهَا وبَيْنَ مَعَانِيهَا، الطَّبْعَةُ الرَّابِعَةُ- مَزِيدَةٌ ومُنَقَّحَةٌ، مَرْكَزُ المُرَبِّي لِلاسْتِشَارَاتِ التَّرْبَوِيَّةِ والتَّعْلِيمِيَّةِ، تَوْزِيعُ الفِرْدَوْسِ لِلطَّبْعِ والنَّشْرِ والتَّوْزِيعِ والتَّرْجَمَةِ (الإسكَنْدَرِيَّة، 1440هـ/ 2019م).

(2)- "التَّصَاقُبِيَّةُ"، وكَذَا "الأُنُومَاتُوبِيَّةُ"، ونُرَادِفُ بَيْنَهُمَا؛ هُمَا تَعْرِيبُنَا المُطَابِقُ لِلاصْطِلاحِ الغَرْبِيِّ: (onomatopoeia)، والَّذِي يُشِيرُ إِلَى تِلْكَ الكَلِمَاتِ المُعَيَّنَةِ -بِأَيَّةِ لُغَةٍ- مِمَّا يَتَّسِمُ بِعَلاقَاتِ مُحَاكَاةٍ حِسِّيَّةٍ (أَوْ تَمْثِيلِيَّةٍ، أَوْ تَأْثِيرِيَّةٍ) فِيمَا بَيْنَ بِنْيَةِ لَفْظِ الكَلِمَةِ (أَيْ تَلَفُّظِهَا الصَّوْتِيِّ أَحْرُفًا ومَقَاطِعَ) وبَيْنَ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ الكَلِمَةُ مِنْ مَعْنًى فِي التَّدَاوُلِ اللِّسَانِيِّ. وعَلَى أَيَّةِ حَالٍ أَشَارَ الكَثِيرُ مِنَ المَرَاجِعِ إِلَى مَفْهُومِ "الأُنُومَاتُوبِيَّةِ" وشَوَاهِدِهَا مِنَ اللُّغَاتِ المُخْتَلِفَةِ، ونُشِيرُ بِصِفَةٍ خَاصَّةٍ إِلَى تَنَاوُلٍ مُفَصَّلٍ فِي المَوْقِعِ الآتي: (https://www.merriam-webster.com/dictionary/onomatopoeia= شُوهِدَ: 23/9/2021م).

(3)- تَرْتَكِزُ "نَظَرِيَّةُ الاعْتِبَاطِيَّةِ اللُّغَوِيَّةُ" عَلَى التَّصَوُّرِ والادِّعَاءِ الشَّائِعِ بِعَدَمِ وُجُودِ عَلاقَاتٍ طَبِيعِيَّةٍ بَيْنَ أَلْفَاظِ الكَلِمَاتِ وبَيْنَ مَعَانِيهَا، بَعْدَ اسْتِثْنَاءِ الكَلِمَاتِ الأُنُومَاتُوبِيَّةِ التَّصَاقُبِيَّةِ ومَعَانِيهَا. واسْتَنَدَ القَائِلُونَ بِهَذَا إِلَى اخْتِلافِ أَصْوَاتِ الأَلْفَاظِ بَيْنَ اللُّغَاتِ في تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ الوَاحِدِ؛ فَإِنَّهَا -بِذَلِكَ النَّظَرِ- تَكُونُ أَلْفَاظًا اعْتِبَاطِيَّةً (لا عَلاقَةَ لَـهَا كَدَوَالَّ لُغَوِيَّةٍ لَفْظِيَّةٍ بِـمَدْلُولاتِهَا الَّتِي تُشِيرُ إِلَيْهَا). ولِلمَزِيدِ يُنْظَرُ عَلَى سَبِيلِ الـمِثَالِ: إِتْشسن (جين): اللِّسَانِيَّاتُ- مُقَدِّمَةٌ إِلَى الـمُقَدِّمَاتِ، تَرْجَمَةٌ وتَعْلِيقٌ: د. عَبْدِ الكَرِيمِ مُحَمَّد جَبَل، الـمَرْكَزِ القَوْمِيّ لِلتَّرجمَة، عدد 2939/ 2، ط1 (القاهرة، 2020م)، ص49-52، 67؛ تَمَّام حَسَّان: اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ مَعْنَاهَا ومَبْنَاهَا، الهَيْئَةُ الـمِصرِيَّة العامَّة لِلكِتاب (القاهرة، 1973م)، ص66-70، 220-221، 318-319.

(4)- مَا نَقْصِدُهُ بِتَبَاعُدِ مَعَانِي الكَلِمَةِ أَوْ تَشَظِّيهَا هُوَ أَنَّ المَعَانِيَ المُتَعَدِّدَةَ المُتَنَوِّعَةَ لِلكَلِمَةِ، المُتَوَلِّدَةَ عَنِ المَعْنَى الأَصْلِيِّ لِلكَلِمَةِ؛ إِنَّمَا تَخْتَلِفُ نِسْبِيًّا وتَدْرِيجِيًّا مِنْ سِيَاقٍ إِلى آخَر، مَعَ اتِّصَالِهَا بِالمَعْنَى الأَصْلِيِّ بِشَكْلٍ أَوْ بِآخَر، ولَكِنْ مِنْهَا مَا قَدْ يَخْتَلِفُ -أَيْضًا- اخْتِلافًا بَيِّنًا يُبْعِدُ المَعْنَى المُتَوَلِّدَ عَنِ المَعْنَى الأَصْلِيِّ، وهُوَ مَا يُؤَدِّي إِلى حَالَةٍ مِنْ (تَبَاعُدِ هَذِهِ المَعَانِي و(تَشَظِّيهَا) بِرَغْمِ ارْتِفَادِهَا مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ.

(5)- عَنِ قَوَانِينِ التَّطَوُّرِ اللُّغَوِيِّ وشَوَاهِدِهِ ، وبِخَاصَّةٍ عَلَى مُسْتَوَى الكَلِمَاتِ، أَلْفَاظًا ومَعَانِيَ؛ يُنْظَرُ بِالإِضَافَةِ إلى الـمَرَاجِعِ السَّابِقَةِ: حِلْمِي خَلِيل: مُقَدِّمَةٌ لِدِرَاسَةِ فِقْهِ اللُّغَةِ، دَارُ الـمَعْرِفَةِ الجَامِعِيَّةِ (الإسكندرية، 1993م)؛ رَمَضَان عَبْدُ التَّوَّاب: لَحْنُ العَامَّةِ والتَّطَوُّرُ اللُّغَوِيُّ، دَارُ الـمَعَارِفِ بِمصر، ط1 (القاهرة، 1967م)؛ عَبْدُ الصَّبُور شَاهِين: دِرَاسَاتٌ لُغَوِيَّةٌ- القِيَاسُ فِي الفُصْحَى- الدَّخِيلُ في العَامِّيَّةِ، مَكْتَبَةُ الشَّبَاب (القاهرة، 1988م).

(6)- ومِنْ أَمْثِلَةِ الدَّلالَةِ المَخْصُوصَةِ لِلبِنْيَةِ الصَّرْفِيَّةِ دَلالَةُ صِيغَةِ "اسْم الفَاعِلِ" عَلَى الفِعْلِ وفَاعِلِه، فِي مُقَابِلِ صِيغَةِ "اسْمِ المَفْعُولِ" الدَّالَّةِ عَلَى الفِعْلِ ومَفْعُولِهِ. وأَمَّا مِثَالُ الدَّلالاتِ المَجَازِيَّةِ لِلصِّيَغِ الصَّرْفِيَّةِ فَهُوَ مِنْ نَحْوِ اسْتِعْمَالِ صِيغَةِ «فَاعِل» بِمَعْنَى «مَفْعُول» (أَيِ اسْتِعْمَالِ اسْمِ الفَاعِلِ بِمَعْنَى اسْمِ المَفْعُولِ)، أَوِ العَكْسِ بِاسْتِعْمَالِ صِيغَةِ اسْمِ المَفْعُولِ بِمَعْنَى اسْمِ الفَاعِلِ. وهُوَ مَعْلُومٌ لَدَى العُلَمَاءِ.

(7)- الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص23، ويُنْظَرُ أَيْضًا: مَفَاتِيحُ الغَيْبِ (التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ)، لِلإِمَامِ فَخْرِ الدِّينِ الرَّازِيِّ (مُحَمَّد بْن عُمَر)، مج1، دَارُ الغَدِ العَرَبِيِّ (القاهرة، 1412هـ- 1992م)، ص37.

(8)- الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص23.

(9)- الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص24.

(10)- الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص24.

(11)- الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص24-25.

(12)- الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص25.

(13)- الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص29.

(14)- الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص27-28.

(15)- الـمُعْجَمُ الاشْتِقَاقِيُّ المُؤَصَّلُ، المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص34.

(16)- لِلتَّفَاصِيلِ والشُّرُوحِ والشَّوَاهِدِ، يُنْظَرُ المَرْجِعُ السَّابِقُ، ص34-45.

(17)- القُرْآنُ الكَرِيمُ، سُورَةُ لُقْمَان، مِنَ الآيَةِ 27.

(18)- القُرْآنُ الكَرِيمُ، سُورَةُ الكَهْف، مِنَ الآيَةِ 109.



مِن أعْلامِ العَربيّة

- ابـنُ حَـجَـرٍ العَسْـقَلانيّ اللُّغَـويُّ النَّحْـوِيُّ الشّـاعِرُ الأديبُ «2»
- ابن بونة الجكني.. إمـام النّحـو ومجدد العلوم
- مَكَانَةُ الإمَامِ الشّافِعِيِّ في العَربيّةِ وعُلُومِهَا

ابـــنُ حَــجَــرٍ العَسْــقَلانيّ

اللُّغَـــويُّ النَّحْـــويُّ الشّـاعِرُ الأديبُ «2»

(773–852 هـ)





عبد الســتار الشــيخ
باحث أكاديمي

وأمّا في النَّحْوِ فليس بأَقَلَّ مِن تقدُّمِه في الأدبِ وتفوُّقِه فيه؛
وإنَّ الباحثَ المتأمِّلَ لِمَا كَتَبه في "فتح الباري" -الذي صَبَّ فيه صَيِّبَ علمِه الغزيرِ، وتجلّتْ فيه عَبقريَّتُه في كلِّ العلومِ التي برعَ فيها- لَيَجدُ ما يُبهرُه من طولِ باعِه في هذا الفنِّ، وسَعةِ اطّلاعِه، وقوّةِ حجَّتِه، وبَراعتِه واقتدارِه على حلِّ الإشكالاتِ النَّحْويّةِ، أوِ الاستشهادِ لها بالآيةِ والحديثِ، أوِ الرّدِّ على كبار أئمّةِ النّحوِ؛
ولقد أنصفَه فَخرُ الأدباءِ شمسُ الدِّين النَّواجيّ عندما وصَفَه بقولِه:

ورُضْـتَ جماحَ النَّحوِ حتّى مَلَكتَـهُ ٭٭٭ وأصـبحتَ فيــه مالِكـاً وابــنَ مــالكِ

(الجواهر والدرر ص 452)

ومثلُ هذه الشّهادةِ من هذا الأديبِ لها ما وراءَها، وهي تدلُّ عمّا عايَنَه فيه معاصرو ابنِ حجرٍ من تفوّقٍ وسَبْقٍ، وليس الخبرُ كالعِيانِ. وأسوقُ هنا بعضَ الأمثلةِ لتأكيدِ هذا الجانبِ في شخصيّةِ ابنِ حجرٍ العلميّةِ:

• فعند شرحِ قولِه ﷺ: «لو كانَ لي مثلُ أُحُدٍ ذهبًا مايَسُرُّني أن لا يمرَّ عليَّ ثلاثٌ وعندي منه شيءٌ، إلَّا شيءٌ، أَرصُدُه لدَيْنٍ»؛ يقول: «قَوْلُهُ لَوْ كَانَ لي مثل أحد ذَهَبا»، قَالَ ابن مَالِكٍ: فِيهِ وُقُوعُ التَّمْيِيزِ بَعْدَ مِثْلٍ وَهُوَ قَلِيلٌ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾. قَوْلُهُ: «مَا يَسُرُّنِي أَنْ لَا يَمُرَّ"، قَالَ ابنُ مَالِكٍ: فِيهِ وُقُوعُ جَوَابِ لَوْ مُضَارِعًا مَنْفِيًّا بِمَا، وَالْأَصْلُ أَنْ يَكُونَ مَاضِيًا مُثْبَتًا، وَكَأَنَّهُ أَوْقَعَ الْمُضَارِعَ مَوْقِعَ الْمَاضِي أَوْ يَكُونَ الْأَصْلُ : مَا كَانَ يَسُرُّنِي، فَحَذَفَ كَانَ وَهُوَ جَوَابُ لَوْ، وَفِيهِ ضَمِيرٌ هُوَ الِاسْمُ وَيَسُرُّنِي الْخَبَرُ، وَحَذْفُ كَانَ مَعَ اسْمِهَا وَبَقَاءُ خَبَرِهَا كَثِيرٌ، وَهَذَا أَوْلَى». (فتح الباري 5/56).

وعندَ شرحِ قولِه ﷺ: «نِعْمَ المَنيحةُ اللَّقْحةُ الصَّفيُّ منحةً، والشّاةُ الصَّفيُّ تَغْدو بإناء وتروحُ بإناء»، يقول:«وَقَوْلُهُ: مِنْحَةً، مَنْصُوب على التَّمْيِيز، قَالَ ابنُ مَالِكٍ: فِيهِ وُقُوعُ التَّمْيِيزِ بَعْدَ فَاعِلِ نِعْمَ ظَاهِرًا، وَقَدْ مَنَعَهُ سِيبَوَيْهِ إِلَّا مَعَ الْإِضْمَارِ مثل: ﴿بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ وَجَوَّزَهُ الْمُبَرِّدُ، وَهُوَ الصَّحِيحُ" (فتح

الباري 5/244، 242).

وجاء في حديث عائشةَ: «فكان عامرُ بن فُهيرةَ غلاماً لعبدِ الله بنِ الطُّفيل بنِ سَخْبَرة أخو عائشةَ لأمِّها"؛ يقول الحافظ – معلِّقاً على عبارة "أخو عائشةَ»– : «في رواية الكُشْمِيهَنِيِّ: «أخي عائشة»، وهما جائزان، الأُولى على القَطْع، والثّانيةُ على البَدَل». (فتح الباري 7/390، 389).

• ويستدلُّ للنَّحوِ بالقرآنِ والحديث:

من ذلك شرحُه لحديثِ النّبيِّ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أن يُلقي في أنفسِكُما شيئًا"؛ يقول: «قَوْلُهُ: "في أَنْفُسِكُمَا» هُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: «في قُلُوبِكُما، وَإِضَافَةُ لَفْظِ الْجَمْعِ إِلَى الْمُثَنَّى كَثِيرٌ مَسْمُوعٌ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. (فتح الباري 4/282).

وفي حديث أبي حُميد الساعِديِّ قال: «غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَلَمَّا جَاءَ وَادِيَ الْقُرَى، إِذَا امْرَأَةٌ في حَدِيقَةٍ لَهَا ...». قال الحافظ: «قَوْلُهُ: إِذَا امْرَأَةٌ في حَدِيقَةٍ لَهَا»، اسْتُدِلَّ



ابن حجر العسقلاني

بِهِ عَلَى جَوَازِ الِابْتِدَاءِ بِالنَّكِرَةِ، لَكِنْ بِشَرْطِ الْإِفَادَةِ، قَالَ ابن مَالِكٍ: لَا يَمْتَنِعُ الِابْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ الْمَحْضَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ إِذَا لَمْ تَحْصُلْ فَائِدَةٌ، فَلَوِ اقْتَرَنَ بِالنَّكِرَةِ الْمَحْضَةِ قَرِينَةٌ يَتَحَصَّلُ بِهَا الْفَائِدَةُ جَازَ الِابْتِدَاءُ بِهَا، نَحْوُ: انْطَلَقْتُ فَإِذَا سَبُعٌ فِي الطَّرِيقِ» (فتح الباري 3/345، 343).

• وله رُدُودٌ نَحْوِيَّةٌ قَيِّمَةٌ:

منها ما جاء في شرح الحديثِ الشّريفِ: (إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ ..)، يقول: «قَوْلُهُ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ كَذَا فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ وَلِغَيْرِهِ وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةَ بِغَيْرِ

قَالَ ابن مَالِكٍ: لَا يَمْتَنِعُ الِابْتِدَاءُ بِالنَّكِرَةِ الْمَحْضَةِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ إِذَا لَمْ تَحْصُلْ فَائِدَةٌ، فَلَوِ اقْتَرَنَ بِالنَّكِرَةِ الْمَحْضَةِ قَرِينَةٌ يَتَحَصَّلُ بِهَا الْفَائِدَةُ جَازَ الِابْتِدَاءُ بِهَا، نَحْوُ: انْطَلَقْتُ فَإِذَا سَبُعٌ فِي الطَّرِيقِ»

بَاءٍ». ثم قال: «وَاسْتَشْكَلَ بَعْضُهُمْ دُخُولَ الْبَاءِ، قَالَ: لِأَنَّهُ مُتَعَدٍّ بِنَفْسِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، وَفِيهِ نَظَرٌ لِثُبُوتِ زِيَادَةِ الْبَاءِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ كَحَدِيثِ: «عَلَيْكُمْ بِرُخْصَةِ اللَّهِ»، وَحَدِيثِ: «فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»، وَحَدِيثِ: «فَعَلَيْكَ بِالْمَرْأَةِ»، قَالَهُ لِأَبِي طَلْحَةَ فِي قِصَّةِ صَفِيَّةَ، وَحَدِيثِ:



«عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ»، قَالَتْهُ عَائِشَةُ لِعُمَرَ، وَحَدِيثِ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ»، وَحَدِيثِ: «عَلَيْكَ بِخُوَيْصَّةِ نَفْسِكَ»، وَغَيْرِ ذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ الَّذِي عَلَّلَ بِهِ هَذَا الْمُعْتَرِضُ غَيْرُ مُوفٍ بِمَقْصُودِهِ؛ إِذْ لَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِهِ يَجُوزُ أَنْ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ امْتِنَاعُ تَعَدِّيهِ بِالْبَاءِ، وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِيهِ لُغَتَيْنِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ». (فتح الباري 2/118-117).

وفي حديث أمِّ حَبيبةَ قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ لَكَ فِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ؟ قَالَ: «فَأَفْعَلُ مَاذَا؟». قُلْتُ: تَنْكِحُ». يقول الحافظ معلِّقًا على قوله ﷺ: (فأفعلُ ماذا؟): وَفِيهِ شَاهِدٌ عَلَى جَوَازِ تَقْدِيمِ الْفِعْلِ عَلَى مَا الِاسْتِفْهَامِيَّةِ خِلَافًا لِمَنْ أَنْكَرَهُ مِنَ النُّحَاةِ". فتح الباري 9/158، 142).

ومن ردودِه البارعةِ ما جاء في شرح حديثِ حارثةَ بنِ وهبٍ قال: «صلّى بنَا النّبيُّ ﷺ آمَنَ ما كان بمنًى ركعتَيْن». قال ابنُ حَجرٍ: «قَوْلُهُ: آمَنَ أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ مِنَ الْأَمْنِ. قَوْلُهُ: "مَا كَانَ": قَالَ الطِّيبِيُّ: مَا مَصْدَرِيَّةٌ، وَمَعْنَاهُ الْجَمْعُ؛ لِأَنَّ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ أَفْعَلُ يَكُونُ جَمْعًا، وَالْمَعْنَى: صَلَّى بِنَا وَالْحَالُ أَنَّا أَكْثَرُ أَكْوَانِنَا فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ أَمْنًا، وَسَيَأْتِي فِي بَابِ الصَّلَاةِ بِمِنًى مِنْ كِتَابِ الْحَجِّ عَنْ آدَمَ عَنْ شُعْبَةَ بِلَفْظِ: عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، وَقَالَ فِي رِوَايَتِهِ: «وَنَحْنُ أَكْثَرُ مَا كُنَّا قَطُّ وَآمَنُهُ»، وَكَلِمَةُ قَطُّ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَنَحْنُ مَا كُنَّا أَكْثَرَ مِنَّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَلَا أَكْثَرَ أَمْنًا، وَهَذَا يُسْتَدْرَكُ بِهِ على ابنِ مَالِكٍ حَيْثُ قَالَ: اسْتِعْمَالُ قَطُّ غَيْرُ مَسْبُوقَةٍ بِالنَّفْيِ مِمَّا يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّحْوِيِّينَ، وَقَدْ جَاءَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِدُونِ النَّفْيِ».

> **إنّ الذي يقرأُ لابنِ حجرٍ في شرحِه الكلامَ النّبويَّ؛ لَيَجِدُ ما يُعجبُه، بل ويُطربُه، حيث تتزاحمُ عند الإمامِ معالمُ العظمةِ والسّبقِ والإبداعِ، فيَستدلُّ للمعنى اللُّغويِّ بالقرآنِ والحديثِ، ويشيرُ إلى نُكتٍ لُغويّةٍ، وإذا لزمَ الأمرُ حرَّر بحوثًا وفوائدَ لُغويّةً، ويَستدركُ على أئمّةِ اللّغةِ ويردُّ عليهم، بعد أن يَستوعبَ آراءَهم، ويطّلعَ على مصنّفاتِهم**

(فتح الباري 2/564-563).

وله بحوثٌ نحويّةٌ فذّةٌ، وفوائدُ نادرةٌ، لايُـمْكِنُ حَصْرُها أوِ الإشارةُ إليها في هذه العُجالةِ، وفيما ذكرناه غُنيةٌ للدّلالةِ على عبقريّةِ هذا الإمامِ في هذا الميدانِ، كيف لا وهو يتصدّى لشرحِ كلامِ الله سبحانه وحديثِ رسولِه ﷺ.

وأمّا في اللّغةِ فقد فاقَ أعيانَها في سَعةِ الاطّلاعِ عليها، وحفظِها، وسُرعةِ استحضارِها، حتّى إنَّ كبارَ أُدباءِ عصْرِه كانوا يختلفون إليه ليُزيلَ عنهم ما أَشكَلَ عليهم.

والّذي يطّلعُ على التّراثِ العلميِّ الضّخمِ للحافظِ لايَقْضِي العَجَبَ من تفوّقِه في لغةِ القرآن، ويجدُ نفسَه مُضطرًّا إلى تَأمُّلِ معالمَ بارزةٍ في شخصيّةٍ لُغويٍّ جبلٍ في الحفظِ والفهمِ، هو كالفَيروزآباديّ، مع السّلاسةِ في التّعبيرِ، وعذوبةِ اللّفظِ، ورقّةِ الأسلوبِ، وجزالةِ العبارةِ، ووضوحِ الإشارةِ، دونما تقعُّرٍ في البيانِ، أوِ استخدامِ حُوشِيّ الكلامِ، بل يأخذُك إلى فهمِ فكرتِه دونما عناءٍ، كالماءِ ينساحُ حاملًا معه جواهرَه ولآلئَه.

وإنّ الذي يقرأُ لابنِ حجرٍ في شرحِه الكلامَ النّبويَّ؛ لَيَجِدُ ما يُعجبُه، بل ويُطربُه، حيث تتزاحمُ عند الإمامِ معالمُ العظمةِ والسّبقِ والإبـداعِ، فيَستدلُّ للمعنَى اللُّغويِّ بالقرآنِ والحديثِ، ويشيرُ إلى نُكتٍ لُغويّةٍ، وإذا لزمَ الأمرُ حرّر بحوثًا وفوائدَ لُغويّةً، ويَستدركُ على أئمّةِ اللّغةِ ويردُّ عليهم، بعد أن يَستوعبَ آراءَهم، ويطّلعَ على مصنّفاتِهم بما يُدهشُ العقلَ حقًّا!! ويُشفِعُ ذلك باختياراتٍ لُغويّةٍ. كلُّ هذا بلُغةٍ سهلةٍ ميسورةٍ، مع سَعةٍ في العطاءِ، ووجازةٍ في العبارةِ، وتلك هي البراعةُ، وهذا هو التّفوّقُ بعينِه.

• فمن استشهاده للمعنَى اللُّغويّ بالقرآنِ والسُّنّة:

ما شرحَ به قولَه سبحانه وتعالى: ﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فقال: «وَتَحْرِيرُ ذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ الْبَلَاءِ مِنَ الْأَضْدَادِ، يُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ النِّعْمَةُ، وَيُطْلَقُ وَيُرَادُ بِهِ النِّقْمَةُ، وَيُطْلَقُ أَيْضًا عَلَى الِاخْتِبَارِ، وَوَقَعَ ذَلِكَ كُلُّهُ فِي الْقُرْآنِ،كَقَوْلِهِ تَعَالَى:﴿بَلَآءً حَسَنًا﴾، فَهَذَا مِنَ النِّعْمَةِ وَالْعَطِيَّةِ،وَقَوْلِهِ:﴿بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، فَهَذَا مِنَ النِّقْمَةِ،



وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الِاخْتِبَارِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾، والابتلاءُ بِلَفْظ الافتعال يُراد بِهِ النِّقمة وَالاخْتِيَارُ أَيْضًا" (فتح الباري 7/190).

وعند شرْح قوله ﷺ: (الإيمان بضعٌ وستُّون شُعْبةً)، يقول: «قَوْلُهُ: بِضْعٌ بِكَسْرِ أَوَّلِهِ، وَحُكِيَ الْفَتْحُ لُغَةً، وَهُوَ عَدَدٌ مُبْهَمٌ مُقَيَّدٌ بِمَا بَيْنَ الثَّلَاثِ إِلَى التِّسْعِ كَمَا جَزَمَ بِهِ الْقَزَّازُ، وَقَالَ ابن سِيدَهْ: إِلَى الْعَشْرِ، وَقِيلَ: مِنْ وَاحِدٍ إِلَى تِسْعَةٍ، وَقِيلَ: مِن اثْنَيْنِ إِلَى عَشَرَةٍ، وَقِيلَ مِنْ أَرْبَعَةٍ إِلَى تِسْعَةٍ، وَعَنِ الْخَلِيلِ: الْبِضْعُ السَّبْعُ، وَيُرَجِّحُ مَا قَالَهُ الْقَزَّازُ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، وَمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ، وَكَذَا رَوَاهُ الطَّبَرِيُّ مَرْفُوعًا" (فتح الباري 1/51).

• ومن ذلك النُّكتُ والفوائدُ والبحوثُ اللُّغويّةُ:

• فمنَ الفوائدِ اللّغويّة:

شرحُه لمعنى: (وايـمُ الله)، قال: «قَوْلُهُ: وَايْمُ اللَّهِ، هَمْزَتُهُ هَمْزَةُ وَصْلٍ عِنْدَ الْجُمْهُورِ، وَقِيلَ: يَجُوزُ الْقَطْعُ، وَهُوَ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ مَحْذُوفٌ، أَيْ: ايْمُ اللَّهِ قَسَمِي، وَأَصْلُهُ: أَيْمُنُ اللَّهِ، فَالْهَمْزَةُ حِينَئِذٍ هَمْزَةُ قَطْعٍ، لَكِنَّهَا لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ خُفِّفَتْ فَوُصِلَتْ، وَحُكِيَ فِيهَا لُغَاتٌ: أَيْمُنُ اللَّهِ مُثَلَّثَةُ النُّونِ، وَمُنُ اللَّهِ مُخْتَصَرَةٌ مِنَ الْأُولَى مُثَلَّثَةُ النُّونِ أَيْضًا، وَايْمُ اللَّهِ كَذَلِكَ، وَمُ الله كَذَلِك بِكسر الْهمزَة أَيْضا، وَأم الله» (فتح الباري 6/598).

> **وفي تفسير «المُفْلِس» يقول: «الْمُفْلِسُ شَرْعًا مَنْ تَزِيدُ دُيُونُهُ عَلَى مَوْجُودِهِ، سُمِّيَ مُفْلِسًا؛ لِأَنَّـهُ صَارَ ذَا فُلُوسٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ ذَا دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ صَارَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَدْنَى الْأَمْوَالِ وَهِيَ الْفُلُوسُ**

وفي تفسير «المُفْلِس» يقول: «الْمُفْلِسُ شَرْعًا مَنْ تَزِيدُ دُيُونُهُ عَلَى مَوْجُودِهِ، سُمِّيَ مُفْلِسًا؛ لِأَنَّهُ صَارَ ذَا فُلُوسٍ بَعْدَ أَنْ كَانَ ذَا دَرَاهِمَ وَدَنَانِيرَ؛ إِشَارَةً إِلَى أَنَّهُ صَارَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا أَدْنَى الْأَمْوَالِ وَهِيَ الْفُلُوسُ، أَوْ سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يُمْنَعُ التَّصَرُّفَ إِلَّا فِي الشَّيْءِ التَّافِهِ كَالْفُلُوسِ؛ لِأَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَتَعَامَلُونَ بِهَا إِلَّا فِي الْأَشْيَاءِ الْحَقِيرَةِ، أَوْ لِأَنَّهُ صَارَ إِلَى حَالَةٍ لَا يَمْلِكُ فِيهَا فَلْسًا، فَعَلَى هَذَا فَالْهَمْزَةُ فِي أَفْلَسَ لِلسَّلْبِ» (فتح الباري 5/62).

• ومنَ النّكتِ اللّغويّة:

قولُه: «وَالْأَحَابِيشُ بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ وَالْمُوَحَّدَةِ وَآخِرُهُ مُعْجَمَةٌ، وَاحِدُهَا أُحْبُوشٌ بِضَمَّتَيْنِ، وَهُمْ بَنُو الْهُونِ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ وَبَنُو الْحَارِثِ بنِ عَبْدِ مَنَاةَ بنِ كِنَانَةَ وَبَنُو الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ كَانُوا تَحَالَفُوا مَعَ قُرَيْشٍ، قِيلَ: تَحْتَ جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ الْحَبَشِيُّ أَسْفَلَ مَكَّةَ، وَقِيلَ: سُمُّوا بِذَلِكَ لِتَحَبُّشِهِمْ أَيْ تَجَمُّعِهِمْ، وَالتَّحَبُّشُ التَّجَمُّعُ، وَالْحُبَاشَةُ الْجَمَاعَةُ" (فتح الباري 5/334).

• ومن بحوثه اللّغويّة القيِّمة:

قولُه في تعريف البلاغة: «وَاخْتُلِفَ فِي تَعْرِيفِ الْبَلَاغَةِ، فَقِيلَ: أَنْ يُبَلِّغَ بِعِبَارَةِ لِسَانِهِ كُنْهَ مَا فِي قَلْبِهِ، وَقِيلَ: إِيصَالُ الْمَعْنَى إِلَى الْغَيْرِ بِأَحْسَنِ لَفْظٍ، وَقِيلَ: الْإِيجَازُ مَعَ الْإِفْهَامِ

وَالتَّصَرُّفُ مِنْ غَيْرِ إِضْمَارٍ، وَقِيلَ: قَلِيلٌ لَا يُبْهَمُ ،وَكَثِيرٌ لَا يُسْأَمُ، وَقِيلَ: إِجْمَالُ اللَّفْظِ وَاتِّسَاعُ الْمَعْنَى، وَقِيلَ: تَقْلِيلُ اللَّفْظِ وَتَكْثِيرُ الْمَعْنَى، وَقِيلَ: حُسْنُ الْإِيجَازِ مَعَ إِصَابَةِ الْمَعْنَى، وَقِيلَ سُهُولَةُ اللَّفْظِ مَعَ الْبَدِيهَةِ، وَقِيلَ: لَمْحَةٌ دَالَّةٌ أَوْ كَلِمَةٌ تَكْشِفُ عَنِ الْبُغْيَةِ، وَقِيلَ: الْإِيجَازُ مِنْ غَيْرِ عَجْزٍ وَالْإِطْنَابُ مِنْ غَيْرِ خَطَأٍ، وَقِيلَ: النُّطْقُ فِي مَوْضِعِهِ وَالسُّكُوتُ فِي مَوْضِعِهِ، وَقِيلَ: مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ وَالْوَصْلِ، وَقِيلَ: الْكَلَامُ الدَّالُّ أَوَّلُهُ عَلَى آخِرِهِ وَعَكْسُهُ، وَهَذَا كُلُّهُ عَنِ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَعَرَّفَ أَهْلُ الْمَعَانِي وَالْبَيَانِ الْبَلَاغَةَ بِأَنَّهَا مُطَابَقَةُ الْكَلَامِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ وَالْفَصَاحَةِ، وَهِيَ خُلُوُّهُ عَنِ التَّعْقِيدِ، وَقَالُوا: الْمُرَادُ بِالْمُطَابَقَةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْمُتَكَلِّمُ بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْمَقَامَاتِ كَالتَّأْكِيدِ وَحَذْفِهِ، وَالْحَذْفِ وَعَدَمِهِ، أَوِ الْإِيجَازِ وَالْإِسْهَابِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ» (فتح الباري 13/177).

• ومن بدائعِه وهو يتكلّمُ في الموضوعِ أو يشرحُ الفكرةَ؛ أنّه يؤدِّي الغرضَ بعبارةٍ وجيزةٍ مع سَعةِ العطاءِ، وتلخيصٍ لكلامِ الأئمّةِ بأسلوبٍ مشرقٍ مُنيرٍ:

اصغِ إليه وهو يشرحُ قولَ ضِمام بنِ ثعلبةَ رضي الله عنه عنِ النّبيِّ ﷺ: «إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ»، يقول الحافظُ: «قَوْلُهُ: فَلَا تَجِدْ، أَيْ: لَا تَغْضَبْ، وَمَادَّةُ وَجَدَ مُتَّحِدَةُ الْمَاضِي وَالْمُضَارِعِ مُخْتَلِفَةُ الْمَصَادِرِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْمَعَانِي، يُقَالُ فِي الْغَضَبِ: مَوْجِدَةً، وَفِي الْمَطْلُوبِ: وُجُودًا، وَفِي الضَّالَّةِ: وِجْدَانًا، وَفِي الْحُبِّ: وَجْدًا بِالْفَتْحِ، وَفِي الْمَالِ: وُجْدًا بِالضَّمِّ، وَفِي الْغِنَى: جِدَةً بِكَسْرِ الْجِيمِ وَتَخْفِيفِ الدَّالِ الْمَفْتُوحَةِ عَلَى الْأَشْهَرِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ، وَقَالُوا أَيْضًا فِي الْمَكْتُوبِ: وِجَادَةً، وَهِيَ مُوَلَّدَةٌ». (فتح الباري 1/151، 148).

ومن بدائعِه وهو يتكلّمُ في الموضوعِ أو يشرحُ الفكرةَ؛ أنّه يؤدِّي الغرضَ بعبارةٍ وجيزةٍ مع سَعةِ العطاءِ، وتلخيصٍ لكلامِ الأئمّةِ بأسلوبٍ مشرقٍ مُنيرٍ

وأما ردودُه على اللّغويّين فقائمةٌ على الحجّةِ والبرهانِ والمنطقِ القويمِ:

من ذلك قولُه في شرح حديثِ النّبيِّ ﷺ: (يا معشرَ النّساءِ تصدَّقنَ، فإنّي أُريتُكُنَّ أكثرَ أهلِ النّارِ)، يقول: «قَوْلُهُ: يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ: الْمَعْشَرُ كُلُّ جَمَاعَةٍ أَمْرُهُمْ وَاحِدٌ، وَنُقِلَ عَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِالرِّجَالِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ يَرُدُّ عَلَيْهِ، إِلَّا إِنْ كَانَ مُرَادُهُ بِالتَّخْصِيصِ حَالَةَ إِطْلَاقِ الْمَعْشَرِ لَا تَقْيِيدَهُ كَمَا فِي الْحَدِيثِ" (فتح الباري 1/406).

وفي حديثِ الاستسقاء: «... فَأَتَى الرَّجُلُ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَشِقَ الْمُسَافِرُ وَمُنِعَ الطريقُ»، يقول ابنُ حجرٍ: «وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ بَشِقَ لَيْسَ بِشَيْءٍ وَإِنَّمَا هُوَ لَثِقَ يَعْنِي بِلَامٍ وَمُثَلَّثَةٍ بَدَلَ الْمُوَحَّدَةِ وَالشِّينِ يُقَالُ لَثِقَ الطَّرِيقُ أَيْ صَارَ ذَا وَحَلٍ وَلَثِقَ الثَّوْبُ إِذَا أَصَابَهُ نَدَى الْمَطَرِ. قَالَ الْخَطَّابِيُّ: وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَشِقَ بِالْمِيمِ بَدَلَ الْمُوَحَّدَةِ، أَيْ: صَارَتِ الطَّرِيقُ زَلِقَةً، وَمِنْهُ مَشِقَ الْخَطُّ، وَالْمِيمُ وَالْبَاءُ متقاربتان. وَقَالَ ابنُ بَطَّالٍ: لَمْ أَجِدْ لِبَشِقَ فِي اللُّغَةِ مَعْنًى، وَفِي نَوَادِرِ اللِّحْيَانِيِّ: نَشِقَ بِالنُّونِ أَيْ نَشِبَ انْتَهَى. وَفِي النُّونِ وَالْقَافِ مِنْ مُجْمَلِ اللُّغَةِ لِابْنِ فَارِسٍ وَكَذَا فِي الصِّحَاحِ: نَشِقَ الظَّبْيُ فِي الْحِبَالَةِ أَيْ عَلِقَ فِيهَا، وَرَجُلٌ نَشِقٌ إِذَا كَانَ مِمَّنْ يَدْخُلُ فِي أُمُورٍ لَا يَتَخَلَّصُ مِنْهَا».

ويعقِّبُ ابنُ حجرٍ على هؤلاء جميعاً فيقول: «وَمُقْتَضَى كَلَامِ هَؤُلَاءِ أَنَّ الَّذِي وَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ تَصْحِيفٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ لَهُ وَجْهٌ فِي اللُّغَةِ لَا كَمَا قَالُوا، فَفِي الْمُنَضَّدِ لِكُرَاعٍ: بَشِقَ بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ: تَأَخَّرَ وَلَمْ يَتَقَدَّمْ، فَعَلَى هَذَا فَمَعْنَى بَشِقَ هُنَا: ضَعُفَ عَنِ السَّفَرِ وَعَجَزَ عَنْهُ كَضَعْفِ الْبَاشِقِ وَعَجْزِهِ عَنِ الصَّيْدِ؛ لِأَنَّهُ يُنَفِّرُ الصَّيْدَ وَلَا يَصِيدُ» (فتح الباري 2/517).

وفي حديث أبي بكرةَ قال: «كُنَّا عندَ رسـولِ الله ﷺ فانْكسفتِ الشَّمسُ». يقول: «قَوْلُهُ: فَانْكَسَفَتْ، يُقَالُ: كَسَفَتِ الشَّمْسُ بِفَتْحِ الْكَافِ

وَانْكَسَفَتْ بِمَعْنًى، وَأَنْكَرَ الْقَزَّازُ انْكَسَفَتْ، وَكَذَا الْجَوْهَرِيُّ حَيْثُ نَسَبَهُ لِلْعَامَّةِ، وَالْحَدِيثُ يَرُدُّ عَلَيْهِ" (فتح الباري 2/527-526).

وفي معنى قولِه تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ يقول: «قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أَيْ: فَأَضْمَرَ مِنْهُمْ خِيفَةً أَيْ خَوْفًا، فَذَهَبَتِ الْوَاوُ فَصَارَتْ يَاءً مِنْ أَجْلِ كَسْرَةِ الْخَاءِ. قَالَ الْكِرْمَانِيُّ: مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ لَا يَلِيقُ بِجَلَالَةِ هَذَا الْكِتَابِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهِ (يعني صحيح البخاري) أن يُذكرَ فيه. انتهى». ويعقّب ابنُ حجر قائلًا: «وَكَأَنَّهُ رَأَى فِيهِ مَا يُخَالِفُ اصْطِلَاحَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَهْلِ عِلْمِ التَّصْرِيفِ فَقَالَ ذَلِكَ؛ حَيْثُ قَالُوا فِي مِثْلِ هَذَا: أَصْلُ خِيفَةٍ خِوْفَةٌ، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكَوْنِهَا بَعْدَ كَسْرَةٍ، وَمَا عُرِفَ أَنَّهُ كَلَامُ أَحَدِ الرُّؤوسِ الْعُلَمَاءِ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَهُوَ أَبُو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى الْبَصْرِيُّ» (فتح الباري 6/426).



ابن سيده

ومن هذا القبيلِ ما جاء في إحدى تراجمِ البُخاريّ في صحيحه، وهو قوله: «بابُ تزويجِ النّبيِّ ﷺ عائشةَ، وقدومِها المدينةَ، وبنائِه بها». يقول ابنُ حجر: «وَقَدْ تُعُقِّبَ قَوْلُهُ: "بِنَائِهِ بِهَا" اعْتِمَادًا عَلَى قَوْلِ صَاحِبِ الصِّحَاحِ: الْعَامَّةُ تَقُولُ: بَنَى بِأَهْلِهِ وَهُوَ خَطَأٌ، وَإِنَّمَا يُقَالُ: بَنَى عَلَى أَهْلِهِ، وَالْأَصْلُ فِيهِ أَنَّ الدَّاخِلَ عَلَى أَهْلِهِ يُضْرَبُ عَلَيْهِ قُبَّةٌ لَيْلَةَ الدُّخُولِ، ثُمَّ قِيلَ لِكُلِّ دَاخِلٍ بِأَهْلِهِ: بَانٍ انْتَهَى. وَلَا مَعْنَى لِهَذَا التَّغْلِيطِ لِكَثْرَةِ اسْتِعْمَالِ الْفُصَحَاءِ لَهُ، وَحَسْبُكَ بِقَوْلِ عَائِشَةَ: «بَنَى بِي»، وَبِقَوْلِ عُرْوَةَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ الثَّالِثِ: "وَبَنَى بِهَا" (فتح الباري 7/224، 223).

ومن روائعِ ردودِه واستدراكاتِه شرحُه لقولِ أبي بكرٍ الصّدّيق: "لَا هَا اللهِ إذًا، لا يَعْمِدُ إلى أَسَدٍ من أُسْدِ الله، يُقاتِلُ عنِ الله ورسولِه ﷺ، فيُعْطِيك سَلَبَهُ». فبعدَ أن يستوعبَ الآراءَ في الكلام على "لاها الله إذاً"، يقول: " وَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ، أَمْكَنَ حَمْلُ مَا وَرَدَ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ: لَا وَاللَّهِ حِينَئِذٍ، ثُمَّ أَرَادَ بَيَانَ السَّبَبِ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: لَا يَعْمِدُ إِلَخْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَإِنَّمَا أَطَلْتُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لِأَنَّنِي مُنْذُ طَلَبْتُ الْحَدِيثَ وَوَقَفْتُ عَلَى كَلَامِ الْخَطَّابِيِّ وَقَعَتْ عِنْدِي مِنْهُ نَفْرَةٌ لِلْإِقْدَامِ عَلَى تَخْطِئَةِ الرِّوَايَاتِ الثَّابِتَةِ خُصُوصًا مَا فِي الصَّحِيحَيْنِ، فَمَا زِلْتُ أَتَطَلَّبُ الْمُخَلِّصَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى أَنْ ظَفِرْتُ بِمَا ذَكَرْتُهُ، فَرَأَيْتُ إِثْبَاتَهُ كُلَّهُ هُنَا، وَاللَّهُ الْمُوَفِّقُ» (فتح الباري 8/40-37).

ومن طرائفِ ردودِه ما أوردَه في شرحِ قوله ﷺ: (تُحشَرون حُفاةً عُراةً غُرْلًا)، فيقول: «قَوْلُهُ: غُرْلًا بِضَمِّ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الرَّاءِ جَمْعُ أَغْرَلَ، وَهُوَ الْأَقْلَفُ، وَزْنُهُ وَمَعْنَاهُ، وَهُوَ مَنْ بَقِيَتْ غُرْلَتُهُ وَهِيَ الْجِلْدَةُ الَّتِي يَقْطَعُهَا الْخَاتِنُ مِنَ الذَّكَرِ، قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ: لَا تَلْتَقِي اللَّامُ مَعَ الرَّاءِ فِي كَلِمَةٍ إِلَّا فِي أَرْبَعٍ: أُرُلٌ اسْمُ جَبَلٍ، وَوَرَلٌ اسْمُ حَيَوَانٍ مَعْرُوفٍ،



وَحَزَلٌ ضَرْبٌ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَالْغُزْلَةِ، وَاسْتُدْرِكَ عَلَيْهِ كَلِمَتَانِ: هَزَلٌ وَلَدُ الزَّوْجَةِ، وَبَزَلٌ الدِّيكُ الَّذِي يَسْتَدِيرُ بعنقه، والستّة حوشية إِلاّ الغُزلةَ" (فتح الباري 11/382، 378).

وهذا كلّه نابعٌ من سَعةِ اطِّلاعِ هذا الإمام على كُتبِ اللُّغويّين، وآرائهم، وتعمّقه فيها، وحُسنِ تصرُّفه، وسُرعةِ بديهتِه واستحضارِه لمرادِه؛ كما يظهرُ ذلك واضحًا عندما يتناولُ شرحَ اللّفظةِ أوِ العبارةِ، بكثرةٍ ما يَستدلُّ له من كُتبِ أساطينِ اللُّغة.

ففي شرحِ حديثِ حذيفةَ قال: «كانَ النّبيُّ ﷺ إذا قام منَ اللّيلِ يَشُوصُ فاهُ بالسِّواك»، يقول: «قَوْلُهُ: يَشُوصُ ـ بِضَمِّ الْمُعْجَمَةِ وَسُكُونِ الْوَاوِ بَعْدَهَا مُهْمَلَةٌ ـ وَالشَّوْصُ بِالْفَتْحِ: الْغَسْلُ وَالتَّنْظِيفُ كَذَا فِي الصِّحَاحِ، وَفِي الْمُحْكَمِ: الْغَسْلُ عَنْ كُرَاعٍ، وَالتَّنْقِيَةُ عَنْ أَبِي عُبَيْدٍ، والدّلكُ عَن ابن الأَنْبَارِيِّ» (فتح الباري 1/356).

وفي معنى القلنسوة يقول: «قوله: (والقَلَنْسُوَة): غِشَاءٌ مُبَطَّنٌ يُسْتَرُ بِهِ الرَّأْسُ، قَالَهُ الْقَزَّازُ فِي شَرْحِ الفصيحِ، وَقَالَ ابن هِشَام: هِيَ الَّتِي يُقَالُ لَهَا الْعِمَامَةُ الشَّاشِيَّةُ، وَفِي الْمُحْكَمِ: هِيَ مِنْ مَلَابِسِ الرَّأْسِ مَعْرُوفَةٌ، وَقَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ: هِيَ الَّتِي تُغَطَّى بِهَا الْعَمَائِمُ، وَتَسْتُرُ مِنَ الشَّمْسِ وَالْمَطَرِ» (فتح الباري 1/493).

وعند شرحِ حديثِ أبي حُميدٍ السّاعديّ في وصفِ صلاةِ النّبيّ ﷺ، حيث يقول: «فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ اسْتَوَى، حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ مَكَانَهُ"، يقول الحافظ: «قَوْلُهُ:«حَتَّى يَعُودَ كُلُّ فَقَارٍ": الْفَقَارُ ـ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَالْقَافِ ـ جَمْعُ فَقَارَةٍ وَهِيَ عِظَامُ الظَّهْرِ، وَهِيَ الْعِظَامُ الَّتِي يُقَالُ لَهَا خَرَزُ الظَّهْرِ، قَالَهُ الْقَزَّازُ، وَقَالَ ابن سِيدَهْ: هِيَ مِنَ الْكَاهِلِ إِلَى الْعَجْبِ، وَحَكَى ثَعْلَبٌ عَن نَوَادِرِ ابن الأَعْرَابِيِّ أَنَّ عِدَّتَهَا سَبْعَةَ عَشَرَ، وَفِي أَمَالِي الزَّجَّاجِ: أُصُولُهَا سَبْعٌ غَيْرُ التَّوَابِعِ، وَعَنِ الْأَصْمَعِيِّ:هِيَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ:سَبْعٌ فِي الْعُنُقِ وَخَمْسٌ فِي الصُّلْبِ وَبَقِيَّتُهَا فِي أَطْرَافِ الْأَضْلَاعِ، وَحَكَى فِي الْمَطَالِعِ أَنَّهُ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ الْأَصِيلِيِّ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَ لِابْنِ السَّكَنِ بِكَسْرِهَا وَالصَّوَابُ بِفَتْحِهَا، وَسَيَأْتِي مَا فِيهِ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ كَمَالُ الِاعْتِدَالِ» (فتح الباري 2/308).

وَمَن توقَّفَ عند كلامِه على «حديث أمّ زَرْعٍ» وجد العَجَبَ العُجابَ، فقد لخَّص ما ذكره الأئمّةُ في شرح هذا الحديث، بعباراتٍ وجيزةٍ، وقال مبيِّناً مصادرَه في ذلك: «وَقَدْ شَرَحَ حَدِيثَ أُمِّ زَرْعٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ شَيْخُ الْبُخَارِيِّ رَوَيْنَا ذَلِكَ فِي جُزْءِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ دِيزِيلَ الْحَافِظِ مِنْ رِوَايَتِهِ عَنْهُ وَ أَبُوعُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَّامٍ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ نَقَلَ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ لَا يَحْفَظُ عَدَدَهُمْ، وَتَعَقَّبَ عَلَيْهِ فِيهِ مَوَاضِعَ أَبُو سَعِيدٍ الضَّرِيرُ النَّيْسَابُورِيُّ وَأَبُو مُحَمَّدٍ ابنُ قُتَيْبَةَ كُلٌّ



شرحُ اللّفظةِ أو العبارة عند الإمام نابعٌ من سَعةِ اطِّلاعِه على كُتبِ اللُّغويّين، وآرائهم، وتعمّقه فيها، وحُسنِ تصرُّفِه، وسُرعةِ بديهتِه واستحضارِه لمرادِه.

مِنْهُمَا فِي تَأْلِيفٍ مُفْرَدٍ، وَالْخَطَّابِيُّ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ، وَثَابِتُ بْنُ قَاسِمٍ، وَشَرَحَهُ أَيْضًا الزُّبَيْرُ بْنُ بَكَّارٍ، ثُمَّ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ بْنِ نَاصِحٍ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، ثُمَّ إِسْحَاقُ الْكَاذِيُّ فِي جُزْءٍ مُفْرَدٍ، وَذَكَرَ أَنَّهُ جَمَعَهُ عَنْ يَعْقُوبَ بْنِ السِّكِّيتِ وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ وَعَنْ غَيْرِهِمَا، ثُمَّ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الْحَكِيمِ بْنُ حِبَّانَ الْمِصْرِيُّ، ثُمَّ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي الْفَائِقِ، ثُمَّ الْقَاضِي عِيَاضٌ وَهُوَ أَجْمَعُهَا وَأَوْسَعُهَا، وَأَخَذَ مِنْهُ غَالِبُ الشُّرَّاحِ بَعْدَهُ، وَقَدْ لَخَّصْتُ جَمِيعَ مَا ذَكَرُوهُ" (فتح الباري 9/256-255)!

وقد لخَّص الحافظُ كلَّ ما جاء عند هؤلاء، بعباراتٍ جامعةٍ، وأسلوبٍ فذٍّ، بنحوٍ من عشرين صفحةً (فتح الباري 9/277-256)، والعِلْمُ مَواهِبُ، وصدق الله القائل: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾.

وما أروعَ قولَ الشّرف عيسى بن حجّاج السّعديِّ في مدح الإمامِ ابنِ حجرٍ (الجواهر والدرر ص 403):

وَعَلَى الخَليلِ وَنَحْوِهِ يَسْمُو وَفِي
لُغَةٍ يَفُوقُ أَبَا عُبَيْدَةَ مَعْمَرا

لقد كان من توفيقِ الله لهذا الإمامِ الكبيرِ أن قذفَ في قلبِه حُبَّ اللُّغةِ وعلومِها، فتوجَّهَ إليها، وبرعَ في فنونِها، وفاقَ في نثرِها ونظْمِها، ونحْوِها وغريبِها؛ وذلك لأنَّ اللُّغةَ آلةُ فهم كلِّ علمٍ، ومفتاحُ كلِّ فنٍّ، وسبيلُ تذوُّقِ وجوهِ إعجازِ الكتابِ الحكيمِ، والكشْفِ عن خبايا جوامعِ الكَلِمِ النّبويِّ. وتلك النّعمةُ منَّ الله بها على إمامِنا ابنِ حجرٍ، فهو إذ أتقنَ هذا العلمَ العزيزَ المهمَّ، توجّهَ يقرعُ أبوابَ مختلِفِ العلومِ، وفي مُكْنَتِه مفاتِحُ فتحِ المغاليقِ، وأسبابِ النُّبوغِ.

> **لقد كان من توفيقِ الله لهذا الإمامِ الكبيرِ أن قذفَ في قلبِه حُبَّ اللُّغةِ وعلومِها، فتوجَّهَ إليها، وبرعَ في فنونِها، وفاقَ في نثرِها ونظْمِها، ونحْوِها وغريبِها؛ وذلك لأنَّ اللُّغةَ آلةُ فهم كلِّ علمٍ، ومفتاحُ كلِّ فنٍّ، وسبيلُ تذوُّقِ وجوهِ إعجازِ الكتابِ الحكيمِ، والكشْفِ عن خبايا جوامعِ الكَلِمِ النّبويِّ. وتلك النّعمةُ منَّ الله بها على إمامِنا ابنِ حجرٍ**

ونحن إذْ أطَلْنا بعضَ الشّيءِ في هذا البابِ؛ فلأهميَّةِ هذا الجانبِ في حياةِ ابنِ حجرٍ من جهةٍ، ولأنَّ مَن ترجمَ له أغفلَ هذه المزيَّةَ البارزةَ، أو مرَّ عليها كسحابةِ صيفٍ؛ من جهةٍ أخرى. وبرأْيِنا أنَّ "ابنَ حجرٍ اللُّغويّ" أُسُّ الأساسِ في شوامخِ علومِ ابنِ حجرٍ المختلفةِ، بل إنَّ هذا الفصلَ جديرٌ بأن يُفردَ بالتّأليفِ مع مصنّفاتِه في اللّغةِ وعلومِها.

وإمامُنا مُكْثِرٌ منَ التّصنيفِ جدًّا، فقد أَرْبَتْ تواليفُه على (300) مُصنَّفٍ، في أَزْيَدَ من(300) مجلَّد.

ونَخْتِمُ حديثَنا عنه بذِكْرِ ماصنَّفَهُ منَ الأَعْلاقِ النَّفيسةِ في اللّغةِ العربيّةِ وعلومِها:

1 - التّذكرةُ الأدبيّةُ وسمّاها: "مسامرُ السّاهرِ ومساهرُ السّامرِ" وهي بخطّه في (40) مجلّدًا لطافًا، كما وصفَه تلميذُه السّخاوي.

2 - ديوانُ شعرِه الكبير.

3 - منتخبٌ منَ الدّيوان الكبيرِ، سمّاه «السَّبْعُ السّيارةُ النّيّرات» قرأه عليه السّخاوي وغيرُه.

4 - السّهلُ المنيعُ في شواهدِ البديعِ.

5 - مقدّمةٌ في العَروض.

6 - تقريبُ الغريبِ الواقعِ في الصّحيح: وهو بيانُ غريبِ صحيحِ البخاريّ.

7 - غِراسُ الأساسِ: جمع فيه المجازاتِ اللّغويّةَ الواردةَ في "أساس البلاغة «للزّمخشريّ»، ولم يقلّدْه في جميعِها، بل أسقطَ بعضَ ما عَدَّهُ الزّمخشريُّ منَ المجازِ، وأضاف أشياءَ لم يعدَّها الزّمخشريُّ منَ المجازِ؛ ممّا يشيرُ إلى أنَّ الزّمخشريَّ لم يَستقصِ تتبُّعَ المجازاتِ اللّغويّةِ في «أساسه».

8 - المستدركُ على البَشتكيّ في جمع «ديوان ابنِ نُباتة»:

بدرُ الدّين البَشتكيُّ أديبٌ شاعرٌ، وهو من شيوخِ ابنِ حجرٍ، أخذ الأدبَ عنِ ابنِ نُباتة، وجَمَع ديوانَه، وفاتَه كثيرٌ منه، فاستدرك ابنُ حجرٍ ما فاتَهُ من شعرِ ابنِ نباتةَ في مجلّد.



المؤثّر الأبرز في المحظرة الشنقيطية

ابن بونة الجكني.. إمام النّحو ومجدد العلوم

فَمَنْ سَهَلَ التَّسهيلَ بعدَ صُعوبة *** وَمَنْ لَخَّصَ التَّلخيصَ دُرّاً مُنظَّمَا
وَأَغْنَى عَنِ الشَّيخِ السَّنُوسِيِّ مَنْطِقاً *** وَعِلْمِ كَلامِ مَنْ يُرِيدُ تَكَلُّمَا

حرمة الله بن عبد الجليل واصفاً شيخه المختار بن بونة الجكني

المحاظر هي الجامعات المتنقلة التي اشتهرت بها بلاد شنقيط، وتميّزت بشموليتها، وفرادة منهجها ومقرراتها، وموسوعية أساتذتها، ويحقّ للطالب فيها اختيارُ المَتن الذي سيدرسه، شريطة ألا يجمع بين فنَّيْن في وقت واحد. وقد اشتهر كثير من شيوخ هذه المحاظر بالموسوعية والتبحر في شتّى الفنون، لدرجة أن طلابها يتعاقبون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. جماعات وفرادى، على الشيخ لِتلقِّي دروسه الشفوية، فيظل يتنقل بين: علوم القرآن الكريم، والسيرة النبوية، والفقه وأصوله، والأدب بجميع فنونه، وأنساب العرب... دون أن يختلَّ إلقاؤه نتيجة لاختلاف هذه العلوم.



د. أحمد غوثم امّمد
سكرتير تحرير مجلة الرافد الرقمية

وكان من أمثل هؤلاء الشيوخ الموسوعيين الذين جمعوا بين التأليف والتدريس، تاجُ العلماء المُختار بن بونة الجكني، الذي أكبَّ على تحرير العلوم حتى بَرَعَ فيها، وصار شيخ المنقول، وإمام المعقول، وبلغ درجة الاجتهاد، وانتهت إليه رئاسة النحو في بلاد شنقيط، وأخذ عنه جمهور النحاة، وحاز السَّبق في كل الميادين، فأنشد لسان حاله:

وَدعْ كُلّ صَوتٍ غَيْرَ صَوتِي فَإنّني
أنا الطّائرُ المَحْكِيُّ والآخَرُ الصَّدَى

ابن بونة: من الميلاد إلى الوفاة

هو المختار بن محمد سعيد، المعروف بابن بونة الجكني (1080-1220هـ). (بونة: أصلها: أبونا، وتستعمل لقباً للآباء، وقد صارت علماً على المختار، والجكني نسبة لقبيلة تجكانت، المشهورة بالعلماء والعلماء، حتى قيل فيها: العلم جكنيٌّ) العلامة المدرس الشاعر، إمام المناطقة، والمتكلمين، والنحاة

المتخصصين في بلاد شنقيط.
قال عنه محمد عبد الله بن أبي بكر البرتلي الولاتي (ت: 1219هـ): "كان رحمه الله عارفاً بأصول الدين، نحوياً لغوياً بيانياً، منطقياً، متفنناً، مدرساً لعلوم العربية والمعقول، من شيوخ العصر، ثاقب الذهن، جيّد النظر، نجيباً بذولاً للإنصاف سريع الجواب، سريع الرجوع إلى الحق، أديباً شاعراً محبوباً فائقاً في الشعر».
وعرّفه العلامة سيدي عبد الله بن سيدي محمد بن محمد ابن انبوجه العلوي التيشيتي (ت: 1330هـ)، بأنه: "الشيخ العالم العلامة، البدر الفهامة، حجة الإسلام وبدر التمام، القائم بالعلم أوانَ انقضاضه، والحامل لواءه في جحفل رياضه، الشيخ المختار بن سعيد بن بونَا، المعروف بابن بونَا، الجكني الرمضاني التكروري رحمه الله تعالى».

عاش ابن بونة عمراً مديداً؛ قيل إنه: (120) سنة، وقيل: (140).

دَرس ابن بونة على عِدة شيوخ، منهم: المختار بن الأمين الملقب «انجبنان» الحيبلّي، صاحب كتاب «شافي الغليل في علوم الخلاصة والتسهيل». ومحمد بن بوحمد المجلسي. وكانت له صلة بابن رازكة ومحمذن بن بابانا العلويين. واشتهرت رحلاته في البلاد بحثاً عن شروح التسهيل لابن مالك، وخاصةً شرح الدماميني «تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد».

أما الآخذون عنه؛ فهم نخبة من العلماء الأجلاء في بلاد شنقيط، نذكر منهم: المجيدري بن حبيب الله اليعقوبي (ت: 1204هـ). وعلامة الأقطار ونزهة الأبصار عبد الله بن أحمد بن الحاج حمى الله القلاوي (ت: 1209هـ)، وابن أُخته العلامة محمد النابغة بن أعمر (ت: 1245هـ). والعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت: 1233هـ). وغالي بن المختار البوصادي (ت: 1200هـ). والعلامة حرمة الله بن عبد الجليل العلوي (1243هـ). ومولود بن أحمد الجواد اليعقوبي (ت: 1243هـ).

وممن أخذ عنه -أيضاً- بُلَّا بن الفاضل الشقروي (ت: 1274هـ). والأديب سيدي عبد الله بن أحمد دامُ الحسني (1274هـ). ومحمد اديَيْجَه الكمليلي (ت: 1274هـ)، الذي أمره ابن بونة بشرح كتابه وسيلة السعادة، وفي ذلك يقول:

وشيخنا المختار أعني البوني
أجازني في جملة الفنون
وبعد ذا وسيلة السعاده
أمرني بشرحها زياده
والأمرَ ذا سأل عبدَ الباقي
شرحا لها وهو من الحذاق
أن قال: يا فلانُ قم للشرح
وحسبكم بأمره من شرح

وأخذ عنه كثير من العلماء غير من ذكرنا.



ابن بونة وتأسيس المقررات الدراسية:

تميّزت المدرسة النحوية الشنقيطية بتركيزها على كتب جمال الدين محمد بن مالك الطائي الأندلسي (ت: 672هـ) كالخلاصة، والكافية، والتسهيل، بل كل ما كتب ابن مالك مما هو موجود عندهم، مثل المثلث، والمقصور والممدود، ولامية الأفعال. ولم يخرجوا عن مصنفاته إلا في حالات قليلة كاهتمامهم بـ«ملحة الإعراب» للحريري، و"مقدمة ابن آجُرُّوم" لمحمد بن محمد الصنهاجي، و«الفريدة» لجلال الدين لسيوطي.

ولما ظهر كتاب «الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة" للمختار بن بونة، انكبَّ طلاب العلم عليه، ولقي رواجاً كبيراً، وتنافس النساخ في كتابته واقتنائه.

وقد علّل د. محمد المختار ولد اباّه تركيز الشناقطة على مؤلفات ابن مالك النحوية "أن ابن مالك جمع بين آراء المدارس السابقة، من بصريين وكوفيين وأندلسيين، وأنه اجتهد في اختيار مذهب وسط بين أئمة النحو الذين سبقوه، كما اجتهد في توسيع أفق النموذج اللغوي، باعتماده الحديث النبوي الشريف، خلافاً لأوائل النحاة الذين كانوا يعتقدون أنه روي بالمعنى من طرف علماء لم يكونوا مختصين في اللغة" .

وهكذا تبوأت مؤلفاته مكانة عظيمة في كافة أنحاء الدنيا، واحتلّت الصدارة في نظام المحظرة الشنقيطية تدريساً وتأليفاً، وشرحاً وتعليقاً.

> **تميّزت المدرسة النحوية الشنقيطية بتركيزها على كتب جمال الدين محمد بن مالك الطائي الأندلسي (ت: 672هـ) كالخلاصة، والكافية، والتسهيل**

> **لما ظهر كتاب «الجامع بين التسهيل والخلاصة المانع من الحشو والخصاصة" للمختار بن بونة، انكبَّ طلاب العلم عليه، ولقي رواجاً كبيراً، وتنافس النساخ في كتابته واقتنائه**

وانتقلت الألفية شيئاً فشيئاً من جفاف المتون العلمية إلى نضارة الأعمال الفنية؛ فالشناقطة كانوا: «يتعاملون مع مادة الخلاصة على أنها ليست علماً فقط؛ وإنما يرون فيها نوعاً من الفن، وذلك بتحويل المادة إلى قضية شبه أدبية، وكلما صعبت المسألة اجتهدوا في تمييزها، وإعطائها شكلاً يقربها من الذهن والذوق» .

ومن أدبيات طلاب المحظرة: أن الطالب إذا ركب الفرس، واكتحل، وأخذ الهراوة، فقد عرف النحو. وركوب الفرس يعني فهمه لباب «التنازع»، أما الاكتحال فهو عبارة عن تمكّنه من أحكام أفعل التفضيل. وأما أخذ الهراوة فيدل عندهم على معرفة ما طرأ على جمع «هراوة» من إبدال وإعلال.

وتحولت بعض أبيات الألفية وعبارتها إلى أمثال شعبية، وحكم متداولة، عند العامة، مثل: «وحذفُ ما يُعلم جائز»، «وليقسْ ما لم يُقل»، «وإن بشكل خِيفَ لَبسٌ يُجتنب»، «وما أُبيح افعلْ ودَعْ ما لم يُبح».

لقد نشر المختار بن بونة النحو بعد دفنه، ووسّع دراسته في قُطره بتدريسه والتأليف فيه، وتميّزت مدرسته بالموسوعية والتقعيد لكافة العلوم الفقهية والنحوية، والأصولية، وعلم الكلام والعقائد، والمنطق والبيان... إلى غير ذلك من الفنون التي بَرَع فيها. كما كانت محظرته محط رحال الطلاب، فازدحموا عليها من كل حدب وصوب، وكان صَبوراً لا يملُّ من تدريسهم ليلاً ولا نهاراً، رغم الصعوبات والعوائق البدوية من حلٍّ وترحال.

وقد صف تلميذه الكُفْء العلامة حرمة الله بن عبد الجليل، منازل هذه المحظرة العتيقة، وطابع الموسوعية

فيها، بقوله:

دِمَـنٌ دعتكَ إلى القريضِ فإن تُجِبْ
فلِمثلها يُـهدى القـريضُ ويُـنـدبُ
وإذا سَكـتّ عَـن الـجَـوابِ لِعَـبْـرةٍ
فَـاضَتْ فَـذاكَ من الإجـابـةِ أَصْـوبُ

إلى أن يقول مُستعيداً ذكرياته أيام الطلب:

كُـنّـا مـع الـبـونـيِّ فـي عَـرَصـاتِـهـا
هـالاتِ بَـدْرٍ لـم يَـشُـبْـهـا غَـيْـهبُ
فِـيـهَـا تَـجـمَّـعَ سِـيـبـويـه ويُـوسُـفٌ
والـكَـاتـبـيُّ والاشْـعـرِيُّ وأشْـهَـبُ

ومع انشغال ابن بونة بالتدريس وكثرة طلابه، وتنقلاته في أكنافِ البلاد يمنة ويسرة؛ فقد كان مكباً على تحرير العلوم، وألّف كُتباً نفيسةً في اللغة والنحو، والمنطق والبيان، وأصول والفقه والعقيدة... وصارت بمثابة المقررات الرئيسة في ثقافة المحظرة؛ منها:

* مقدمة في النحو؛ ألّفها للمبتدئين في النحو.
* سُلّم الطَّالبين إلى قواعد النحويين.
* نَظم في إعراب الجُمل.
* الجامع بين التسهيل والخُلاصة المانع من الحشو والخصاصة.
* تبصرة الأذهان في نُكت المعاني والبديع والبيان.
* تحفة المحقق في حل مشكلات المنطق.
* مبلغ المأمول نظم جمع الجوامع لابن السبكي في الأصول.
* درر الوصول في علم الأصول. نظم ورقات إمام الحرمين.
* وسيلة السعادة في معنى كلمة الشهادة. لخّص فيها مقدمات السنوسي في العقيدة، مع زيادات كثيرة عليها.
* ديوان شعري.

لكن تأليفه الفائق في الأهمية والانتشار كان دون شك: "الجامع بين التسهيل والخُلاصة، المانع من الحشو والخصاصة"، الذي اشتهر في المحاظر الشنقيطية باسم "احمرار ابن بونة". وسُمّي بالاحمرار تمييزاً له عن نظم ابن مالك المصطلح عليه بالاكحلال، نظراً للون الحبر الذي كان يميز به كل منها عن الآخر عند الكتابة. وقد وضع عليهما "الطرة" المشهورة، وأثراها بالشواهد من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأشعار العرب، فانتشرت في البلاد، وتربعت على مناهج الدراسات النحوية المحظرية. و"الطُّرة" في



الاصطلاح المحظري هي ما يُدوِّنُه الطالب على حواشي كتابه أو دفتره، من شروح الشيخ أثناء الدرس.

الخصائص والمميزات لكتاب «الجامع»:

لمّا شاعَ نبوغ المختار بن بونة بين الناس، ورحل إليه الطلبة من البلاد الشاسعة، شرع في تأسيس محظرته. وكانت صفاته العلمية والاجتماعية تُمثل النموذج الأمثل لشيخ المحظرة؛ فقد كان حسَن الصحبة والمعاملة للطلبة، جواداً بما يملك. كما كان بارعاً في الفنون التي تدرّس في المحاظر، واجتمع حوله نُخبة من خيرة طلاب العلم يومها، فألقى عصا التسيار، واستقرّ به النّوى، وبدأ تأسيس

> **لمّا شاعَ نبوغ المختار بن بونة بين الناس، ورحل إليه الطلبة من البلاد الشاسعة، شرع في تأسيس محظرته وكانت صفاته العلمية والاجتماعية تُمثل النموذج الأمثل لشيخ المحظرة**



مشروعه النحوي، وتقعيده للعلوم.

يقول صاحب الوسيط مبيناً مكانته وتجديده في علم النحو: "تاجُ العلماء الذي طوّق بحلي علمه كل عاطل، ووردت هيم الرجال زلاله، وصدر عنه كلهم وهو ناهل، ولا يوجد عالم بعده إلا وله عليه الفضل الجزيل، بما استفاد من مصنفاته، وتلقى من مسنداته، ويكفيك أنه هو الذي نشر النحو بعد دفنه، وكفى الناس مشقة مؤنه، وكانوا لا يتجاوزون قبله ما في الألفية وشروحها، مع عدم معرفة الخطة التي يمكن للطالب أن يخزن في ذهنه بها ما يكون قريب التناول عند الحاجة إلى ذلك، حتى نظم لهم ما تخلف عن الألفية مما تضمنه التسهيل؛ وألصق كل شذرة بما يناسبها، وضم إلى ذلك طرته المُفيدة، وأتى على كل مسألة بالشواهد من كلام العرب» .

جمع ابن بونة في محظرته المتميزة كل ما وجد من شروح كتب ابن مالك، مثل شروح ابن الدماميني، والمرادي، وابن عقيل، وشرح الأشموني. وما عليها من حواشٍ وتعاليق، وتصريح الأزهري على توضيح ابن هشام. والتفّ حوله فريق من نبهاء الطلبة، كانوا له خير عون على تحقيق مشروعه النحوي.

لقد قسم المختار كتابه «الجامع» إلى قسمين:

القسم الأول: التذييل المعروف بـ«الاحمرار»، وفيه إضافات مسهبة تناولت جميع أبواب النحو في الخلاصة، مع زيادة أبواب كثيرة تركها



ابن مالك، مثل الموصول الحرفي، والتاريخ، والقسم وجوابه، والتسمية بلفظ كائن ما كان، وتتميم الكلام، والإلحاق، والقلب، ومخارج الحروف، والهجاء. وفي الاحمرار حافظ ابن بونة على استعمال «النظم»، مراعاةً لأصول الثقافة الشنقيطية، ونزعتهم للحفظ عن طريق «الأنظام».

القسم الثاني: «الطُّرة»؛ وهي عبارة عن مجموعة من الحواشي، وُضعت في جمل مختصرة، تتكرر فيها مصطلحات تشير إلى مواضع الإطلاق والتقييد، ومحال الوفاق والخلاف. وتبين الاستعمالات الشاذة، والنادرة، والمؤولة، وشواهدها .

ولقد تبارى علماء الشناقطة في فتح أقفال هذه الطرة، فتوالت عليها الحواشي، والتعليقات، والتقييدات، نثراً ونظماً، فجاءت سلاسل يفسر بعضها بعضاً، دون أن تصل في الآخر إلى

> **«الطُّرة»؛ وهي عبارة عن مجموعة من الحواشي، وُضعت في جمل مختصرة، تتكرر فيها مصطلحات تشير إلى مواضع الإطلاق والتقييد، ومحال الوفاق والخلاف. وتبين الاستعمالات الشاذة، والنادرة، والمؤولة، وشواهدها**

المتن النهائي.

وقد أرجع الأستاذ المحقق محمد محفوظ بن أحمد اختلاف نسخ الطُّرة إلى: «أن الشروح المقتضبة التي وضعها ابن بونة أصلاً على هذا الكتاب، ونال منها تسمية الطُّرة، كانت هي نفسها موضع العديد من التعليقات والحواشي، والطُّرر والأنظام التي تخللتها، تفسيراً واستدراكاً وزيادة.. ومن ثم كانت هناك اختلافات كثيرة في أحجام الكتاب، فهناك الطُّرة القديمة المختصرة المعروفة باسم (امنيويحه)، وهناك (أم الحواشي) التي هي أغزر مادة وأكثر تعليقات».

وهكذا ظلّت مسيرة الفوائد النحوية التي ينظمها الطلاب، والتعليقات التي يدرجها الأساتذة، هي مصدر الزيادات على «طرة» ابن بونة. وقد استمرت هذه الاستشهادات على مدى الأيام، وما

زالت مستمرة على قدر وتيرة استمرار المحظرة ومستوياتها التعلمية.

لقد أعاد المختار بن بونة بهذا العمل الجليل بناء مدرسة ابن مالك، ونشر النحو بعد دفنه، وأصبح سَنَدُ اللغة العربية في بلاد شنقيط يرجع إليه، بعد انتشار«طُرّته»، وتربعها على مناهج الدراسات النحوية المحظرية. مما جعل العلامة المؤرخ المختار بن حامد يصفه بالقول: «انتهت إليه رئاسة النحو، وأخذ عنه جمهور النحاة».

وحَلّاهُ الدكتور محمد المختار بن ابّاه بـ«المعلم الثاني» بعد ابن مالك، وقارن بين عمليْهما قائلًا: «إذا كان لجمال الدين بن مالك -الذي يُسميه يحظيه بن عبد الودود إمام الملّة- الفضل في انتقاء عمل تربوي بديع، استهوى به أفئدة الدارسين؛ فإن الفضل الأخير يعود إلى المعلم الثاني بعده المختار بن بونة، في فرض منظومة ابن مالك على جميع طبقات النحويين في شنقيط».

ولم يكن هذا العمل الذي قام به ابن بونة هيّناً ولا سهلاً؛ فقد رد إلى الخلاصة ما استبعدته من أقوال «إمام الملّة» في الكافية والتسهيل، وأخذَ لُبّ ما في كتب الشراح، وما لهم من تنبيه، وتأويل، وتفريع. ولم يقتصر على التسهيل -المصدر الأساسي للاحمرار والطُّرة- بل اقتبس مرات من الكافية الشافية.

لم يكن هذا العمل الذي قام به ابن بونة هيّناً ولا سهلاً؛ فقد رد إلى الخلاصة ما استبعدته من أقوال «إمام الملّة» في الكافية والتسهيل، وأخذَ لُبّ ما في كتب الشراح



الخاتمة:

يتضح مما تقدم أنّ بضاعة الشناقطة في النحو لم تكن مزجاة؛ فقد انتزعوا أصولها من كتب ابن مالك، وفروعها من أدوات ابن هشام، وتنبيهات الأشموني، وتخريجات الدماميني. وصنعوا من هذا المزيج مدرسة نحوية لغوية، أصبحت بموجبها بلاد شنقيط ركناً ثالثاً إلى جانب «رُكنَيِ الشرق، وخِدريِ الضاد»: بلاد مصر وبلاد الشام. ورفعت هذه المدرسة صيت الشناقطة في الحواضر المشرقية والمغربية، وشهد القاصي والداني لهم بإتقان علوم اللغة رواية ودراية، حتى إن الإمام المرتضى الزَّبيدي صاحب التاج: «كان يعطي للعلامة محمذون بن حبّ الله اليعقوبي المعروف بالمجيدري (ت: 1204هـ) ما كتب من شرحه على القاموس يصححه له، وربما خط على سطر أو سطرين من تلك الشروح، ويسلم له المرتضى». بل إن هذه المكانة صارت من البدَهيات، كما يقول الشيخ عبد الله كنون: «فإن تفوق أهل شنقيط في علوم العربية والنبوغ الذي ظهر منهم في هذا العصر، وخاصة في نظم الشعر العربي المتين، مِن ما لا خفاء به على أحد».

إنّ بضاعة الشناقطة في النحو لم تكن مزجاة؛ فقد انتزعوا أصولها من كتب ابن مالك، وفروعها من أدوات ابن هشام، وتنبيهات الأشموني، وتخريجات الدماميني

وهذه المساهمة في إحياء علوم العربية جعلت عبد السلام هارون يُهدي كتابه الشهير «تحقيق النصوص ونشرها» لثلاثة أعلام، اعترافاً بمكانتهم وريادتهم في تحقيق المخطوطات والاهتمام بالتراث، هم: ابن التلاميد الشنقيطي

واثنان من تلاميذه؛ فقال: «إلى ذكرى هؤلاء العلماء المحققين: أحمد تيمور باشا، أحمد زكي باشا، محمد محمود الشنقيطي: كانوا سدنة الثقافة العربية الخالدة، وعاشوا حياتهم في سبيل صونها ورعايتها».

وقد تميزت هذه المدرسة؛ زيادة على ما تقدم بالآتي:

* أن مدار سندها يرجع إلى الإمام المختار بن بونة الذي انتهت إليه رئاسة النحو في بلاد شنقيط، وأخذ عنه جمهور النحاة. بل وُصف بـ«المعلم الثاني» بعد ابن مالك.

* استقرار دراسة النحو في بلاد شنقيط على كتابَيِ الخلاصة لابن مالك، والجامع لابن بونة، خصوصاً طُرّة «أم الحواشي».

ومع أن أساتذة النحو وطلابه وجدوا في كتاب «الجامع»زيادات مهمة لم تكن في الخلاصة؛ لمن أراد التعمق في النحو والتخصص فيه. فإن منهم -مع ذلك- من تجاوز هذا كله وحفظ الكافية، وطالع بعمق شرح الصبّان، ومغني اللبيب لابن هشام، وشرح الشاطبي...إلخ.

* انتقال الألفية من جفاف المتون العلمية إلى نضارة الأعمال الفنية، فطلاب المحاظر صاروا يتعاملون مع الألفية على أنها ليست علماً فقط؛ وإنما يرون فيها نوعاً من الفن. ومن مظاهر ذلك شيوع الأمثال، والأحاجي والألغاز، والمنظومات التي تُضمَّن أشطارٌ من الألفية في أعجازها، مثل منظومة العلامة محمد النابغة القلاوي المشهورة، في رثاء شيخه أحمد بن العاقل.

* الشفاهية في التعليم؛ لقد صارت هذه المتون العلمية (الخلاصة، والاحمرار، والطرة، والشواهد الشعرية...) من النصوص المُشاعة في التعليم المحظري، ولذلك كثرت فيها التحويرات والتغييرات، والزيادات والحذف، حسب المستويات العلمية لطلاب كل محظرة. وميزة هذه الشفاهية أنها أعطت هذه المتون نوعاً من التجدد والإبداع، فاستمرت على مدى الأيام.

* اعتماد الطلاب على الحفظ. الثقافة الشنقيطية تأسست عبر كل تاريخها على الحفظ، وعُرف الشناقطة بقوة حافظتهم. وقد استعان طلاب المحظرة على حفظ هذه المتون وغيرها بوسائل منها: النظم، والشعر، واستعمال الرموز والاختصارات، والأمثال. بل حولوا بعض أدبيات الخلاصة إلى نوادر وقصص، لتحريك أذهان الطلبة، وإعطاء مادة التدريس نوعاً من الحيوية، كقصة: «وامنع هنا إيقاع ذات الطلب»، و«نحو أتى القاضي بنت الواقف». إضافةً للشروح والحواشي، ونظم مسائل الخلاف.

> **استقرّت دراسة النحو في بلاد شنقيط على كتابَيِ الخلاصة لابن مالك، والجامع لابن بونة، خصوصاً طُرّة «أم الحواشي»**

> **انتقلت الألفية من جفاف المتون العلمية إلى نضارة الأعمال الفنية، فطلاب المحاظر صاروا يتعاملون مع الألفية على أنها ليست علماً فقط؛ وإنما يرون فيها نوعاً من الفن**

(1) فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور: 141.
(2) شرح وسيلة السعادة لابن انبوجه: 3. مخطوط.
(3) راجع: شرح وسيلة السعادة لابن انبوجه، 4.
(4) تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: 443.
(5) المصدر السابق نفسه: 443.
(6) الوسيط في تراجم أدباء شنقيط: 2/ 125-126.
(7) راجع: تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب، 458.
(8) ألفية ابن مالك مع احمرار ابن بونة: 12.
(9) الموسوعة، جزء الثقافة: 57.
(10) تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب: 457.
(11) الرواية الشنقيطية من الألفية والشواهد النحوية: 234.
(12) النبوغ المغربي في الأدب العربي: 314.
(13) تحقيق النصوص ونشرها: 3.

مَكَانَةُ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ فِي العَرَبِيَّةِ وعُلُومِهَا





د.معتز وسام المحتسب
باحث لغوي متعاون مع
مجمع اللغة العربية بالشارقة

عُرِفَ الإمامُ محمدُ بنُ إدريسَ الشّافعيُّ (ت: 204هـ) ببراعتِه في علمِ الفقهِ وأصولِه والحديثِ والتّفسيرِ، فقد حازَ في ذلك قصبَ السَّبْقِ، وبلغَ فيها رُتبةً عاليةً لم يبلُغْها إلاّ قِلَّةٌ قليلةٌ، ولم تكن هذه العلومُ هي التي أتْقنَها وبرعَ فيها فحَسْبُ، فقد أتقنَ جُملةً منَ العلومِ والفنونِ الأخرى، من أهمِّها علومُ اللّغةِ، فهو لُغويٌّ حاذقٌ وأديبٌ شاعرٌ، فصيحٌ عالي البيانِ، وذلك أنَّهُ اعتنَى بالعربيّةِ وعلومِها منذُ صغرِه، وفي ذلك يقولُ: «أقمتُ في بطونِ العربِ عشرين سنةً آخذُ أشعارَها ولُغاتِها، وحفظتُ القرآنَ، فما علمتُ أنَّه مرَّ بي حرفٌ إلاّ وقد علمتُ المعنى فيه»(1).

وعلمُ الشّافعيِّ بالعربيّةِ والشّعرِ لا يقلُّ عن علمِه بالفقهِ وأصولِه، إلاّ أنَّ شُهْرتَه في علومِ الشّريعةِ صرفتْ أذهانَ الكثيرِ عنِ العلمِ بمكانتِه في علومِ اللّغةِ. قال تلميذُه يونسُ بنُ عبدِ الأعلى المصريُّ: «كان الشّافعيُّ إذا أخذَ في العربيّةِ قلتُ: هو بهذا أعلمُ، وإذا تكلّمَ في الشّعرِ وإنشادِه قلتُ: هو بهذا أعلمُ، وإذا تكلّمَ في الفقهِ قلتُ: هو بهذا أعلم»(2).

وكان الشّافعيُّ يعلمُ مكانةَ نفسِه في العربيّةِ وعلومِها، وفي ذلك يقولُ: «ما رأيت أحدًا أعلمَ بهذا الشّأنِ منّي، وقد كنتُ أحبُّ أن أرى الخليلَ بنَ أحمد»(3).

سلامةُ السَّليقةِ اللُّغويَّةِ عندَ الشّافعيِّ:

عاش الإمامُ الشّافعيُّ في عصرٍ كان قد فشا فيه اللَّحنُ في كلامِ العامَّةِ، وفسدتْ فيه السّليقةُ اللُّغويّةُ عند عربِ الحواضرِ، إلاّ أنَّ لغةَ الشّافعيِّ سَلِمتْ من ذلك، وقد حُكِيتْ أخبارٌ كثيرةٌ تدلُّ على أنّه بلغَ مَبلغًا رفيعًا في الفصَاحةِ وسَلامةِ السَّليقةِ، وكأنّه من عصرٍ سبقَ العصرَ الذي عاش فيه، فمِن شهادةِ تلاميذه ومُعاصريه بذلك(4):

- قال تلميذُه الحسنُ بن محمّد الزّعفرانيُّ: «ما رأيتُ أحدًا قطُّ أفصحَ ولا أعلمَ منَ الشّافعيِّ؛ كان أعلمَ النّاسِ، وأفصحَ النّاس، وكان يُقرَأ عليه من كلِّ الشِّعرِ فيَعرفُه».

وقال تلميذُه الرّبيعُ بنُ سليمانَ: «كان الشّافعيُّ عَرَبِيَّ النَّفْس، عَرَبِيَّ اللّسانِ». وقال أيضًا: «لو رأيتَ الشّافعيَّ وحُسْنَ بيانِه وفصاحتِه لتعجَّبتَ منه، ولو أنَّه ألَّف هذه الكُتُبَ على عربيَّتِه التي كان يتكلَّمُ بها، لم

يُقْدَرْ على قراءةِ كُتبِه».

وقال الجاحظُ: «نظرتُ في كُتب الشّافعيِّ فإذا هو دُرٌّ منظومٌ إلى دُرٍّ».

ولعُلُوِّ لُغةِ الإمامِ الشّافعيِّ وجزالةِ ألفاظِه ألَّفَ اللُّغويُّ المشهورُ أبو مَنصورٍ الأزهريُّ كِتابًا شرحَ فيه غريبَ ألفاظِ الشّافعيِّ التي وردَتْ في مختصَرِ الـمُزَنيِّ، سمّاه: (الزّاهرُ في غريبِ ألفاظِ الإمامِ الشّافعيِّ)، وقال في مقدِّمته: «عكفتُ على النَّظر في المؤلَّفات التي صنَّفها فُقهاءُ أمصار المسلمين ... فدرستُها وأخذتُ حظِّي مِن فوائدِها، وألفيتُ أبا عبد الله محمَّدَ بنَ إدريسَ الشافعيَّ -أنارَ اللهُ بُرْهانَه، ولقَّاه رِضوانَه- أثقبَهم بصيرةً، وأبرَعَهم بيانًا، وأغزَرَهم عِلمًا، وأفصَحَهم لسانًا، وأجْزَلَهم ألفاظًا، وأوسعَهم خاطِرًا، فسمعتُ مبسوطَ كُتُبه وأمَّهاتِ أصولِه من بعضِ مشايخِنا، وأقبلتُ على دراستِها دَهْرًا، واسْتَغْنَتْ بما استكثرْتُه مِن علم اللُّغة على تفهُّمِها؛ إذ كانت ألفاظُه -رحمه الله- عربيةً محضةً، ومِن عُجْمَة المولَّدين مَصونَةً، وقدَّرتُ تَفسيرَ ما اسْتَغْرَبَ منها، فعَلِمتُ أني إن استقصَيْتُ تَخْريجَها كَثُرَ حتى يَمَلَّ قارئُه، فأعْمَلْتُ رأيي في تفسيرِ ما استغرَبَ منها في الجامعِ الذي اختصَرَهُ أبو إبراهيم إسماعيلُ بنُ يحيى -رحمه الله- من جميعها»(5).

الشَّافعيُّ حُجَّةٌ في اللُّغة:

لعلوِّ لُغة الإمام الشّافعيّ ونصاعَتِها وسلامَتِها مِنَ اللَّحْن سلامةً تامَّةً شهدَ له جمعٌ مِنَ اللُّغويّين بأن كَلامَه حُجَّةٌ في اللُّغة، يُحْتَجُّ بلُغته كما يُحْتَجُّ بلُغةِ الأعرابِ من أهل الباديةِ في وقتِه، وكما يُحتَجُّ بلُغةِ مَن عاش مِنَ العرب في صدْرِ الإسلام أو قبلَ الإسلامِ، فممّا رُويَ في ذلك:

قال ابنُ هشام الحميريُّ: «قولُ الشَّافعيِّ حُجَّةٌ في اللُّغَةِ»(6).

وقال أبو عثمانَ المازنيُّ: «الشّافعيُّ عندنا حُجَّةٌ في النَّحو»(7).

وقال أبو مَنصورٍ الأزهريُّ: «والشَّافعيُّ فصيحٌ، وقولُهُ حُجَّةٌ في اللُّغة»(8).

وسأل رجلٌ محمّدَ بنَ عبدِ الله بنِ عبدِ الحَكمِ المصريَّ فقال له: «أصلحَك



عُرِف الإمامُ محمدُ بنُ إدريسَ الشّافعيُّ (ت: 204هـ) ببراعتِه في علْم الفقهِ وأصولِه والحديثِ والتّفسيرِ، فقد حازَ في ذلك قصَبَ السَّبْقِ، وبلغَ فيها رُتبةً عاليةً لم يبلُغْها إلّا قِلَّةٌ قليلةٌ أتقنَ جُملةً منَ العلومِ والفنونِ الأخرى، من أهمِّها علومُ اللّغةِ، فهو لُغويٌّ حاذقٌ وأديبٌ شاعرٌ، فصيحٌ عالي البيانِ

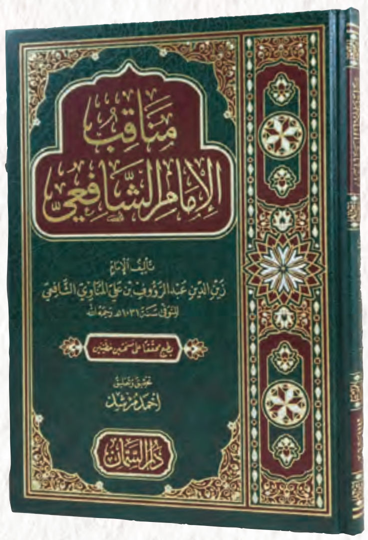


اللهِ، أكان الشّافعيُّ حُجَّةً في اللّغةِ؟» فقال: «إنْ كان أحدٌ من أهلِ العلم حُجَّةً فالشَّافعيُّ حُجَّةٌ في كلِّ شيءٍ»(9).

الشّافعيُّ ممَن تُؤخَذُ عنه اللُّغةُ:

لم يكنِ الشّافعيُّ ممن أُخِذ عنه الفقهُ وأصولُه ونحوُ ذلك من علوم الشّريعة فحسبُ، وإنّما كان أيْضًا ممّن أُخِذَت عنه العربيّةُ وبعضُ علومِها، وفي هذا يقولُ أبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلّام: «كان الشّافعيُّ ممّن يؤخَذُ عنه اللّغةُ»(10)، حتى إنَّ بعضَ كبارِ اللّغويّين من معاصرِيه أخذَ عنه اللُّغةَ، منهمُ الأصمعيُّ اللّغويُّ الأديبُ المشهورُ(11)، فقد قال: «صَحَّحْتُ أشعارَ الهُذَلِيِّينَ على شابٍّ من قُرَيش بمكَّةَ يقال له: محمّد بنُ إدريسَ الشّافعيُّ». وقال: «قرأتُ على الشّافعيِّ الشِّعْرَ». وقال أيضًا: «قرأتُ شِعْرَ الشَّنْفَرى على علّامةٍ بمكّةَ يقال له: محمّدُ بنُ إدريسَ الشّافعيّ، فأنشدني لثلاثين شاعرًا أساميهم: عَمْرو».

وكان بعضُ أهلِ اللّغةِ يَجلسون في حلَقاتِ الإمـامِ الشّافعيِّ ليَسمعُوا فصاحتَه وجزالَةَ ألفاظِه وهو يُلقِي دروسَــه؛ ليَكتسبُوا اللُّغةَ العاليةَ السّليمةَ، وفي ذلك يقول تلميذُه الحسنُ بنُ محمّد الزَّعْفراني: «كان قومٌ من أهل العربيّةِ يَختلفون(12) إلى مجلسِ الشّافعيِّ معَنا ويجلسون ناحيةً، فقلتُ لرجل من رؤسائِهم: إنّكم لا تَتعاطَون العلمَ(13) فلِمَ تَخْتَلفون معَنا؟ قالوا: نسمعُ لُغةَ الشّافعيّ»(14).



والأخبارُ في هذا كثيرةٌ جدًّا(15).

دفاعُ اللُّغويّين عن لُغةِ الشّافعيّ:

على الرَّغم من عُلُوِّ لغةِ الشّافعيِّ، إلّا أنّه لم يَسلمْ مِن انتقاداتٍ يسيرة على ألفاظٍ نُقلت عنه، ومع ذلك كان الصَّوابُ فيها معه، والسّببُ في ذلك أنَّ لُغةَ العربِ واسعةٌ، كما قال: «ولسانُ العربِ أوسعُ الألسنةِ مَذهبًا وأكثرُها ألفاظًا، ولا نَعْلَمُه يحيطُ بجميعِ علْمِه إنسانٌ غيرُ نبيٍّ، ولكنّه لا يذهبُ منه شيءٌ على عامَّتِها حتى لا يكونَ مَوجودًا فيها من يَعرفُه»(16). والذي أقدمَ على تخطئةِ الشّافعيّ إنّما خفِيَ عليه أنَّ ما قالَه الشّافعيُّ مُوافقٌ للُغةٍ أخرى ثابتةٍ عنِ العربِ غيرِ التي يَعرفُها هذا المنتقِدُ.

وقد سُئلَ اللُّغويُّ أبو عمرَ الزّاهدُ غلامُ ثعلبٍ عن ألفاظٍ أُخِذَتْ على الشّافعيّ، وأنَّ صوابَها في العربيّةِ على خلافِ ما قال الشّافعيُّ، فقال: «كلامُ الشّافعيّ صحيحٌ؛ سمعتُ أبا العباس ثعلبًا يقولُ: يأخُذون على الشّافعيِّ وهو من







بيْتِ اللّغةِ! يجبُ أن يُؤخذَ عنهش(17).
ومن أبرزِ مَن عُني بلُغةِ الشّافعيّ والدّفاعِ عنها أبو منصورٍ الأزهريُّ، وفيه يقول السُّبكيُّ: «وكانَ إمامًا في اللُّغَة، بَصيرًا بالفِقْهِ ... شَديدَ الانتِصار لألفاظِ الشّافعيِّ»(18)، وقد نقلَ في كتابِه (تهذيبُ اللغة) عنِ الشّافعيِّ في مواضعَ كثيرةٍ، معتدًّا بقولِه ولُغتِه، ومن أمثلةِ ذلك قولُه في الجذرِ (ع و ل) وفي بيان الفرقِ بين الفعلَين (عالَ) و(أعالَ): «قالَ اللهُ جلَّ وعزَّ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النِّساء: 3]: قالَ أكثرُ أهلِ التَّفسيرِ: مَعْناهُ: ذَلِكَ أقربُ ألّا تَجُورُوا وتَميلوا، ورُوِيَ عن عبد الرحمن بنِ زَيْدِ بنِ أسلمَ أنَّهُ قالَ في قَوْله: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ ؛ أي: أدْنَى ألَا يكثُرَ عِيالُكم. قُلْتُ: وإلى هذا القَوْلِ ذَهَبَ الشّافِعيُّ فيما أخْبَرَني عبدُ المَلِكِ عَنِ الرّبيعِ عَنهُ. قُلْتُ: والمَعْروفُ في كلامِ العَرَبِ: عالَ الرَّجُلُ يَعولُ إذا جارَ، وأَعالَ يُعيلُ إذا كَثُرَ عِيالُهُ. وقد رَوى أبو عُمَرَ عن أحْمدَ بنِ يَحيى عن سَلَمَةَ عنِ الفَرّاءِ أنَّ الكِسائيَّ قالَ: عالَ الرَّجُلُ يَعيلُ إذا افْتقرَ، وأعالَ الرَّجُلُ إذا كَثُرَ عِيالُه. قالَ الكِسائيُّ: ومِنَ العَرَبِ الفُصَحاءِ مَن يَقولُ: عالَ يَعولُ إذا كَثُرَ عِيالُهُ. قُلْتُ: وهذا يؤيِّدُ ما ذَهَبَ إلَيْهِ الشّافِعيُّ في تَفسيرِ الآيَة؛ لِأَنَّ الكِسائيَّ لا يَحْكي عنِ العَرَبِ إلّا ما حَفِظَهُ وضَبَطَهُ. وقولُ الشّافِعيِّ نَفْسُهُ حُجَّةٌ؛ لِأَنَّهُ عربيُّ اللِّسانِ فَصيحُ اللَّهْجَةِ. وقد اعْترضَ عَلَيْهِ بعضُ المُتَحَذْلِقينَ فخَطَّأَهُ، وقد عَجِلَ ولم يَتَثَبَّتْ فيما قالَ. ولا يَجوزُ للحَضَرِيِّ أن يَعْجَلَ إلى إنْكارِ ما لا يعرِفُهُ من لُغاتِ العَرَبِ»(19).

وبهذا النّصِّ النّفيسِ عنِ الأزهريِّ أختمُ هذا المقالَ، ففيه فوائدُ عظيمةٌ، في تقديرِ مكانةِ الشّافعيّ ولُغتِه، وفي بيانِ اتِّساع لُغةِ العربِ، وفي وجوبِ التّأنّي في التَّصويبِ اللُّغويِّ.

---

(1) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد. تح: بشار عواد، ج: 2، ص: 393.
(2) ياقوت الحموي، معجم الأدباء. تح: إحسان عباس، ج: 6، ص: 2402.
(3) ياقوت الحموي، معجم الأدباء. تح: إحسان عباس، ج: 6، ص: 2402.
(4) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي. تح: صقر، ج: 2، ص: 44–51.
(5) الأزهري، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي. تح: بشناتي، ص: 93–95.
(6) ابن عبد البر، الانتقاء. ص: 93.
(7) البيهقي، مناقب الشافعي. تح: صقر، ج: 2، ص: 44.
(8) الأزهري، تهذيب اللغة. تح: النجار وآخرين، ج: 3، ص: 195.
(9) البيهقي، مناقب الشافعي. تح: صقر، ج: 2، ص: 44.
(10) البيهقي، مناقب الشافعي. تح: صقر، ج: 2، ص: 44.
(11) انظر: مناقب الشافعي للبيهقي. تح: صقر، ج: 2، ص: 44–45.
(12) أي: يَتردّدون إلى مجالسه.
(13) أي: علم الفقه ونحوه من علوم الشريعة.
(14) ياقوت الحموي، معجم الأدباء. تح: إحسان عباس، ج: 6، ص: 2402.
(15) عقد البيهقي في كتابه (مناقب الشافعي) بابًا سماه: «ما يُستدَلُّ به على فصاحة الشافعي ومعرفته باللغة وديوان العرب» أورد فيه جملة من هذه الأخبار، انظرها في ج: 2، ص: 41–59.
(16) الشافعي، الرسالة. تح: شاكر، ص: 42.
(17) البيهقي، مناقب الشافعي. تح: صقر، ج: 2، ص: 52.
(18) السبكي، طبقات الشافعية الكبرى. تح: الطناحي، ج: 3، ص: 64.
(19) الأزهري، تهذيب اللغة. تح: النجار وآخرين، ج: 3، ص: 195.

بيت القصيد



قَصيدَةٌ تَحْمِلُ الكَثيرَ مِنْ مَعاني الحُزْنِ والشَّوْقِ، مِنْ شاعِرٍ ماتَتْ جَدَّتُهُ حُزْنًا على فِراقِهِ وشَوقًا إِلَيْهِ، هِيَ قَصيدَةٌ للمُتَنَبّي في رِثاءِ جَدَّتِهِ.

ومَطْلَعُ القَصيدَةِ:

أَلا لا أُري الأَحْــداثَ مَـدْحًـا ولا ذَمّـا * فما بَطْشُها جَـهْلًا ولا كَفُّها حِلْما**

وبَيْتُ القَصيدِ فيها قَوْلُهُ:

وإِنّــي لَـمِـنْ قَــوْمٍ كــأَنَّ نُـفوسَـهُـمْ * بها أَنَــفٌ أَنْ تَـسْـكُـنَ الـلَّـحْـمَ والعَـظْـما**

فهُوَ يَمْدَحُ نَفْسَهُ وقَوْمَهُ مُبالِغًا بعَظَمَتِهِمْ، ويَذْكُرُ أَنَّهُ مِنْ قَوْمٍ تَأْنَفُ أَرْواحُهُمْ أَنْ تَكونَ في أَجْسادٍ مِنْ لَحْمٍ وعَظْمٍ ودَمٍ.



أَدَبٌ ونَقدٌ

- نَظَرَاتٌ أُسْلُوبِيَّةٌ في الشِّعْرِ العَرَبيِّ القَدِيمِ
- المقدمات (الغيريّة): معالم تأصيليّة

نَظَرَاتٌ أُسْلُوبيَّةٌ في الشِّعْرِ العَرَبيِّ القَدِيمِ



تتحقَّقُ جماليةُ الشّعرِ بمقدارِ عُدولِه عنِ الأصلِ، حيث يَصيرُ التّعبيرُ البديلُ ناطقًا بالأبعادِ مُثمرًا للدّلالاتِ والنُّكتِ والفوائدِ التي تحتاجُ إلى فطنةٍ وذكاءٍ لاستكْناهِ خَباياها، وإلى خبرةٍ للقبضِ على الأسرارِ وتَسويغِ الجمالياتِ المُنفلتةِ، وعادةً ما يكونُ التّعبيرُ المعدولُ إليه أليقَ بالسّياقِ، وأكثرَ إنتاجًا للدّلالاتِ وأخْلقَ لشعريّةِ التّناسُبِ.

تنتشرُ في معلّقةِ عَمرو بن كلثوم ظواهرُ أسلوبيّةٌ تَكتنفُ أسرارًا بليغةً، تَرتبطُ بغرضِ الفخرِ الذي يُبرزُ فَوْقَ القبيلةِ وهيمنَتَها على غيرِها، هذه الهيمنةُ التي تجلّتْ في خواصَّ أسلوبيّةٍ بارزةٍ، سواءٌ تعلّقَ الأمرُ بالصّورةِ الشّعريّةِ المختارةِ أو الضّميرِ المهيمنِ أو الأصواتِ المعبّرةِ عنِ الموضوعاتِ الرّئيسَةِ، ومن ذلك قولُه:

وَأَنَّـا الْمَانِعُـونَ لِمَـا أَرَدْنَـا * وَأَنَّا النَّـازِلُونَ بِحَيْـثُ شِـينَا**



د. سعيد بكور
أستاذ الأدب العربي القديم في جامعة ابن طفيل/ المغرب

يمثّلُ الضّميرُ (نا) سِمةً أسلوبيّةً صوتيّةً طاغيةً تمتدُّ من ألفِ القصيدةِ إلى يائِها، وهي تدلُّ على العُلوِّ والسّموِّ والفَوقِ والغلبةِ، وفي الوقت نفسِه ترمزُ أُسلوبيًّا إلى تلاحُمِ القبيلةِ ووحدتِها، وفي هذا البيتِ يُبرزُ الشّاعرُ أنّ قومَه يفعلون ما يشاؤون، لا يملكُ أحدٌ أن يعترضَ سبيلَهم، فهم يَنزلون بأيِّ مكانٍ أرادُوا، ويَكشفُ الفعلُ (شينا) هذا المعنى، فهم يجدون سهولةً ويُسرًا في النّزولِ بأيِّ أرضٍ، لا أحدَ بمُكنتِه أن يُبديَ مقاومةً، وتَعكسُ ياءُ المدّ بعد الشّينِ هذا الأمرَ، وقد أحسنَ الشّاعرُ عندما لم يُثبتِ الهمزَ (شئنا) الذي يدلُّ في هذا المقامِ على

الثِّقلِ والمقاومةِ والصّعوبةِ، فنزولُ جماعةِ الشّاعرِ سهلٌ لا تواجِهُهم فيه مقاومةٌ منَ الأعداءِ، وكأنَّ الأرضَ خلَتْ منَ المُعارضين، والوقوفُ على هذه اللّمْحةِ الدّالّةِ من ثمارِ تساوُقِ الصّوتِ والدّلالةِ.

يصفُ ذو الرّمّة في بائيَّتِه الذّائعةِ الثّورَ في عالَمِ الصّحراءِ، وأحوالَه النّفسيّةَ، وصراعَه الوجوديَّ لضمانِ البقاءِ، يقولُ واصفًا حمايةَ عناصرِ الطّبيعةِ له:

ضَمَّ الظَّلامُ على الوَحْشِيِّ شَمْلَتَهُ ورائحٌ من نَشاصِ الدّلوِ مُنْسَكِبُ

يعتمدُ الشّاعرُ على التّشخيصِ، حيث يَصيرُ السّوادُ لباسًا يَقي الثّورَ الخطرَ ويُبعدُه عنِ النّظرِ، ويتحوّلُ اللّيلُ إلى أبٍ حانٍ حامٍ يُلقي بشَمْلتِه السّوداءِ على الثّورِ حتى يُخفيَه، ويعكسُ عطفَ الطّبيعةِ التي تحمي الطّرفَ الأضعفَ، لكن يتنبّهُ الشّاعرُ إلى أنَّ هذه الحمايةَ للثّور ناقصةٌ، فإنْ كان الظّلامُ قد أخْفاه عنِ النّظر، فإنّ قدرةَ الكلابِ المفترسةِ على تتبُّعِ الرّائحةِ يمكنُ أن تقودَهم إليه، هنا يتدخّلُ المطرُ الغزيرُ (رائحٌ من نِشاصِ الدّلوِ مُنْسَكِبُ) الذي تضوعُ بسببِه رائحةُ التّرابِ ورائحةُ شجرِ الأرطى، ممّا يُفضي إلى تشتّتِ تركيزِ الكلابِ وعدمِ قُدرتِها على تتبُّعِ الرّائحةِ واقتفاءِ أثرِها، ويُسهمُ في المقابلِ في إبعادِ مشاعرِ الخوفِ التي تعتملُ بداخلِه. وهذه التّفاعُلاتُ الكيميائيّةُ بين رائحةِ التّرابِ ورائحةِ شجرِ الأرطَى جعلتِ الثّورَ في مأمنٍ من ترصُّدِ المتربّصِين به.



في سياقٍ آخرَ، يصفُ المتنبّي معاناتَه النّفسيّةَ جرّاءَ بُعدِ الأحبّةِ ومُقاساةِ الوحدةِ، فالعيدُ قد أقبلَ والأحبّةُ دونَهم البيدُ والمهامهُ، يقولُ:

أَصَخْرَةٌ أَنا؟ ما لي لا تُغَيِّرُني هَذي المُدامُ وَلا هَذي الأَغاريدُ

يَرتبطُ الأسلوبُ الإنشائيُّ عادةً بالانفعالِ، لكنَّ الشّاعرَ يجعلُه في هذا السّياقِ قرينَ الثّباتِ والتّأمُّلِ، فهو يُخاطبُ نفسَه مُستفهمًا معبّرًا عن استغرابِه من حالِه، ويُفصحُ تساؤلُه عن تحوّلاتِ الذّاتِ منَ الرّاحةِ والنّعيمِ إلى التّعبِ والشّقاءِ، ويُتبعُ الاستفهامَ الأوّلَ باستفهامٍ ثانٍ يُؤكّدُ معنَى التّعجّبِ والاستغرابِ، ويخلقُ تناسبًا بديعًا بين الجُملتَين، فالمتلقّي لا شكَّ يَتطلّعُ إلى سببِ وصْفِ الشّاعرِ لنفسِه بالصّخرةِ تحديدًا، والصّخرةُ من سِماتها الصّلابةُ والجمودُ وعدمُ الحركةِ، وكذلك الشّاعرُ جامدٌ عاطفيًّا لا يتحرّكُ ولا يحسُّ رغمَ العبِّ منَ المدامِ ورغمَ سماعِ الأغاني،

يا سَاقِيَيَّ: أَخَمْرٌ في كُؤوسِكُما؟
أَم في كُؤوسِكُما هَمٌّ وَتَسهيدُ؟
أَصَخْرَةٌ أَنا؟ ما لي لا تُحَرِّكُني
هَذي المُدامُ وَلا هَذي الأَغاريدُ!

ونقفُ على سِمةٍ أسلوبيّةٍ بديعةٍ تتمثّلُ في اختيارِه لفظَ (الأغاريد) جمعًا، وهو يفيدُ المبالغةَ الضّمنيّةَ في وصْفِ كبرِ الهمِّ الذي لم تستطعِ الأغاريدُ الكثيرةُ التي تغنّيها الجواري تحريكَه وتطريبَه.

ويضطلعُ الحذفُ بدورٍ فاعلٍ في إنتاجِ الدّلالةِ والجمالِ، حيث إنَّ طيَّ العبارةِ أو إسقاطَها يُؤدّي دورًا عكسيًّا في إثمارِ الدّلالاتِ اللّامتناهيّةِ، ويخلقُ ما يمكنُ تسميتُه بشعريّةِ المفارقةِ، ذلك أنّ قلّةَ اللّفظِ تثمرُ غزارةَ المعاني، ويرتبطُ الحذفُ، عادةً، بالسّياقِ الدّاخليّ ونفسيّةِ المبدعِ، يقولُ المتنبّي واصفًا تمنّعَ المحبوبةِ ولهفتَه:

قـالَتْ وقـد رأَتِ اصفـراري: مَـنْ بِـهِ؟
وَتَـنَـهَّـدَتْ، فـأَجَـبْـتُـهـا: الـمُـتَـنَـهِّـدُ

تقومُ شِعريّةُ البيتِ على الحذفِ والالتفاتِ، فاصفرارُ الشّاعرِ وشُحوبُه سببُه صدُّ المحبوبةِ وإعراضُها، وهو مؤكّدٌ بـ(قد) التّحقيقيّةِ، وتزيدُ المحبوبةُ دلًّها وتمنّعَها بسؤالِها وعدمِ التفاتِها إليه بالخطابِ، فقد سألتْ غيرَه (من به؟) ولم تسألْه وهو صاحبُ الشّأنِ، ويفيدُ ذلك لامبالاتَها وإخراجَها إيّاه من حقلِها اللُّغويِّ بتوظيفِها ضميرَ الغائبِ لا المخاطَبِ، فهو عندها خارجَ دائرةِ اهتمامِها، لكنَّ بُؤرةَ البيتِ الجماليَّةَ تكمنُ في قولِ الشّاعرِ (المتنهّد)، حيث حذفَ المسنَدَ إليه، وأفادَ الحذفُ اللّهفةَ والمسارعةَ في الجوابِ للفْتِ الانتباهِ، وكأنّي به أرادَ اقتناصَ فرصةِ وجودِها وانتهزَ لحظةَ وقوفِها للسّؤالِ، وللحذفِ علاقةٌ بنفسيّةِ الشّاعرِ المُتعبةِ التي لا تقوَى على الشّرحِ المستفيضِ.

وقد تنتجُ الفاعليّةُ الجماليّةُ للشّعرِ عنِ استثمارِ الأساليبِ الإنشائيّةِ والنّعوتِ وتساوُقِها مع الشّعورِ؛ لتعبّرَ عن تجربةٍ حياتيّةٍ وجوديّةٍ مؤثّرةٍ ما يزالُ الدّهرُ يردّدُها، كما في قولِ الخنساءِ:

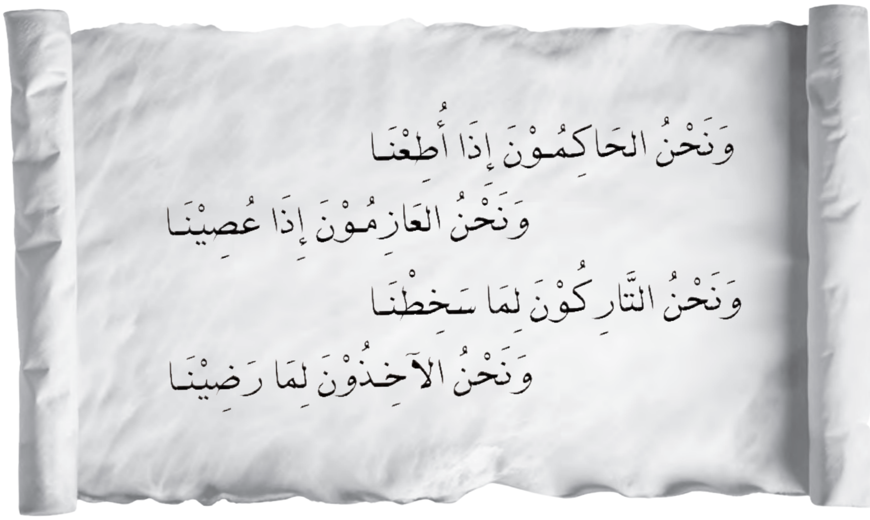
أَعَـيْـنَـيَّ جُـودا وَلَا تَـجْـمُـدَا
أَلَا تَـبْـكِـيَـانِ لِـصَـخْـرِ الـنَّـدَى؟
أَلَا تَـبْـكِـيَـانِ الْـجَـوَادَ الْـجَـمِـيـلَ؟
أَلَا تَـبْـكِـيَـانِ الْـفَـتَـى الـسَّـيِّـدا؟

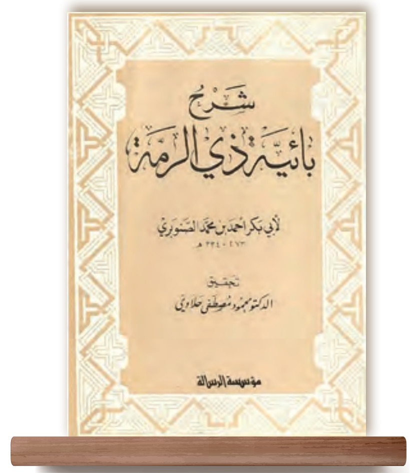
تُباغتُ الشّاعرةُ المتلقّي بأساليبِ النّداءِ والأمرِ والنّهي، وتتلُوها باستفهامٍ يمثّلُ نتيجةً لخطٍّ الانفعالِ الممتدِّ المتصاعدِ، وتجتمعُ هذه الأساليبُ في رقعةٍ وزنيّةٍ صغيرةٍ تعكسُ اضطرامَ المشاعرِ وشدّةَ الانفعالِ. ومخاطبةُ الشّاعرةِ لعينَيْها جاءَ على سبيلِ المجازِ، وهي وسيلةٌ لُغويّةٌ هدفُها التّنفيسُ عنِ الذّاتِ في موقفِ الرّثاءِ. وما دامَتِ الصّدمةُ مُدليةً بدَلْوِها، فإنَّنا نَجِدُ الشّاعرةَ تُكرّرُ صيغةَ الاستفهامِ، وكأنّها تلومُ عينَيْها على عدمِ الانسكابِ والانهمارِ وهما منها.

ولا شكَّ أنَّ تواليَ الصّفاتِ دون فاصلِ عطْفٍ (الجواد الجميل / الفتى السيد) يدلُّ في هذا المقامِ على أنَّ الثّاويَ في الثّرى يستحقُّ الأسَى والأسفَ والبكاءَ، وقد يدلُّ تَكرارُ الاستفهامِ أيضًا على الإلحاحِ



برعَ ابنُ سعيدٍ المغربيُّ في الشِّعرِ والنَّثرِ، وأجادَ في كليْهما، وعُرِفَ ناثرًا أكثرَ منه شاعرًا، فهو المؤرِّخُ صاحبُ التَّصانيفِ المختلفةِ؛ فقد تركَ ابنُ سعيدٍ تراثًا ضخمًا ومؤلَّفاتٍ نفيسةً في الأدبِ والتَّاريخِ والجغرافيا.





وتصبيرِ النّفسِ، ولعلَّ فاعليّةَ الأصواتِ المتردّدةِ في البيتَين عكست توتّرَ الشّاعرةِ واضطرامَ مشاعرِها وشـدّةَ انفعالِها، كما أنّ التّركيزَ على مدِّ الألفِ (دا/ يا/ دى/يا/ دا/ لا/ دا) صوّرَ حُرقةَ النّفسِ والتياعَها ورغبتَها في البَوْحِ، وبين قوّةِ التّضعيفِ في (عينيّ) وتردادِه مرّتين في (السّيدا) ترتسمُ دائرةٌ منَ الانفعالِ والتّوتّرِ التي تحتوي أبعادًا مأساويّةً تنطقُ بها الصّورُ والأساليبُ والأصواتُ.

تعتمدُ الأسلوبيّةُ في تحليلِها على ما يُسمّى بالبدائلِ أو ما يُصطلحُ عليه بالتّخيّرِ الأسلوبيِّ، حيث يختارُ الشّاعرُ بين لفظَين يتقاربان في الدّلالةِ، ويكونُ اللّفظُ المختارُ أنسبَ للسّياقِ، ومن ذلك قولُ ذي الرّمّةِ واصفًا الواقعَ النّفسيَّ للثّورِ الخائفِ الذي تتهدّدُه قُوَى الشَّرِّ:

فَـبَـاتَ يُـشْـئِـزُهُ ثَــأْدٌ، ويُـسْـهِـرُهُ
تَـذَؤُّبُ الـرِّيـحِ والـوَسْـواسُ وَالـهِضَـبُ

> **وقـد تـنـتـجُ الـفـاعـليّـةُ الـجـمـالـيّـةُ لـلـشِّـعـرِ عـن اسـتـثـمـارِ الأسـالـيـبِ الإنـشـائـيّـةِ والـنّـعـوتِ وتـسـاوُقِـهـا مـع الـشّـعـورِ؛ لتعبّـرَ عن تجربةٍ حياتيّةٍ وجـوديّـةٍ مؤثّرةٍ ما يزالُ الدّهرُ يردّدُها.**

يُصوِّرُ الشّاعرُ العالمَ الدّاخليَّ للثّورِ في اللّيلِ المطيرِ، حيث تُصدرُ الرّياحُ أصواتًا مخيفةً عاليةً، ويزيدُ سقوطُ المطرِ من هولِ المشهدِ السّمعيِّ، وتُضيفُ الوَساوسُ والظّنونُ التي تسرِي في الدّمِ قلقًا، ويزدادُ وجيفُ القلبِ خفقانًا بسببِ ما يمسُّه من ندًى وقرٍّ، ولعلَّ في اختيارِه لفظَ (يُشئز) عوضَ (يُقلق) ما يعضّدُ هذا التّفسيرَ، إذ يعكسُ صوتَ المخاوفِ المتلاطِمةِ التي تُصدرُ خشخشةً وأزيزًا (يُشبهُ صوتَ الزّاي والشّين)، يُنغّصان العالمَ الدّاخليَّ ويُغطّيان على مشاعرِ الطّمأنينةِ.

والتّناسبُ حاصلٌ بين الفعلَين (يُشئز) و(يُسهر)، فالسَّهرُ ناتجٌ عنِ الشّأزِ، وهو أمرٌ اضطُرَّ إليه، وفُرِضَ عليه بقوّةِ الخوفِ ودافـعِ غريزةِ البقاءِ، والضّميرُ في الفعلَين يخلقُ لدَى المتلقّي تشويقًا وتطلّعًا لمعرفةِ السّببِ المُفرزِ للقلقِ والسّهرِ.

يسمحُ الوقوفُ على الظّواهرِ الأسلوبيّةِ في الشِّعرِ باكْتِنَاهِ كثيرٍ منَ الأسرارِ الجماليّةِ الخفيّةِ، حيث يكونُ الصّوتُ والتّركيبُ والصّورةُ تَجلّياتٍ تعبيريّةً لها بلاغتُها وجماليّتُها، توجّهُ الدّلالةَ وتُفرزُ الإشعاعَ الجماليَّ، وما على القارئِ إلّا أن يُصيخَ السّمعَ للصّورةِ التّعبيريّةِ، ويَعْتَمِدَ على حَدْسِهِ وذوقِه وخبرتِه في خوضِ غمارِ التّحليلِ والتّأويلِ.













المقدمات (الغيريّة).. معالم تأصيليّة

د. عبد الله المذكوري

حظيت المقدمات في التّراث العربي بمكانة سامقة، ومنزلة عالية؛ إذ يُتطرق منها إلى ما بعدها، ويُرتقى عليها إلى ما يتلوها، فهي بمنزلة الرّأس من الجسد، والأساس من البناء، وكما أنّ الرّأس يضم أعضاء الجسد ويرأسها، كذلك المقدمة التي يقدّمها المنشئ في صدر كلامه تضم ما تتبعه، ويقع في ضمنه، وكما أنّ الباني لابدّ له من وضع أساس لما يَبنيه يَعتمد عليه، ويستند إليه، كذلك مؤلف الكلام لا يغنى عن تقديم مقدمة يُتطرق منها إلى ما يروم التّأليف فيه(1).

ومن تلك المقدمات: التّقريظ الذي كان العلماء والأدباء من المشتغلين بالتّأليف يُوردونه في كتبهم... والتّقريظ في اللّغة مأخوذ من تقريظ الأديم، أي: المبالغة في دباغه بالقَرَظِ، وهو ورق شجر السَّلَم، وكان يُعتبر عند العرب أجود ما تدبغ بورقه وثمره الأُهُب، وتصبغ الأَدَم.

وهو على الحقيقة: الغلو في المدح والثّناء. أمّا في المجاز فهو: التّحسين والتّزيين، والمقرظ هو من حسّن وزيّن شخصية صاحبه أو عمله – ومنه المؤلفات – بدافع من فرط حبّه إيّاه كما يُحسِّن القَرَّاظ الأديم.

ونجد من ميزات تلك التّقاريظ البراعة في أسلوب، والنّصاعة في التّعبير، إلّا أنّ بعضها يشوبها الغلو في الإطراء، والإفراط في الثّناء.

ولعل هذا الأمر لا يخلو من أحد باعثين إن لم يجمع بينهما:

الأول: نابع عن صدقِ مودّة، وخلوص تقدير، يُكِنهما كاتب التّقريظ لمؤلِف الكتاب المُقرظ، لكنّه يغلو في ذلك،

فيُوَشِّي المؤلف بأوصاف الجلال، ويُحلّي الكِتاب بنعوت الكمال.

الثاني: نابع عن فرط حرص عنده على صوغ كلامه بأسلوب تحسنه زينة السّجع، وتزخرفه حلية البديع حتى يتحقّق فيه وبه معنى التّقريظ(2).

بعد هذا نشير إلى أنّ بناء المقدمات قد شهد تطورات عدّة، وبخاصة بعد انتشار الثّقافة الغربية وبحوثها ودراساتها؛ إذ تندرج المقدمة عندهم فيما يسمّونه: عتبات النّص أو النّصوص الموازية أو الملحقات النّصية.

ويلحقون هذا الموضوع بالدّراسات الأدبيّة النّقدية؛ لأنّ كاتب المقدمة يعمد إلى تسليط الضّوء على الأثر الأدبي شعرًا كان أم نثرًا، وهو يكون عادة مقربًا من المؤلف ومن معارفه بحيث يمكّنه ذلك من أن يضيف أشياء تساعد على فهم الكتاب.

ويقصدون بالعتبات: بنيات لغوية وأيقونية، تتقدّم المتون وتعقبها، لتنتج خطابات واصفة لها تُعرّف بمضامينها وأشكالها وأجناسها، وتُقنع القرّاء باقتنائها. ومن أبرز مشمولاتها: اسم المؤلف، والعنوان، والأيقونة، ودار النشر، والإهداء والمقتبسة، والمقدمة...(3).

وعليه أصبح يندرج في مصطلح المقدمة: المدخل، والتوطئة، والدّيباجة، والملخص، والتّمهيد، والتّقديم، والاستقصاء، والاستهلال، والفاتحة، والخطاب التّمهيدي، والقول الأمامي...(4).



وصار لهذه المقدمات أنواع خمسة، حسب موقعها وواضعها، وهي:

أ- المقدمة الأصلية (الذّاتية)، وهي التي يكتبها الكاتب أو المبدع بنفسه.

ب- المقدمة اللّاحقة، وهي التي تلحق بالكتاب في الطبعة الثّانية، أو الثّالثة، أو الرّابعة.

ج- المقدمة المتأخرة، وهي التي تكون في الطّبعة الأخيرة، أو في الطّبعة النّهائية.

د- ومقدمة أحد شخصيات الرّواية.

هـ- المقدمة (الغيرية)(5).

وهذه الأخيرة شاعت واستهوت جمعًا من الأدبـاء والمفكرين العرب حتّى أضحت جزءًا من تراث كتّابها، ومصدرًا من مصادر دراستهم، والتّعرف إليهم، واستكناه خصائص أسلوبهم.

ولعل سبب شيوعها أنّها ورثت بعض أدبيات التّقريظ، وحلّت محلّه بحُلّة جديدة، تسحر به ألباب شُداة المؤلفين، وناشئة المصنفين، فيتعلقون بمن يتوسمون فيه الاستجابة من الأشياخ، يُتوجون أعمالهم بما تخطّه أقلامهم من تعريف بها وبأصحابها، فتكون

لعناوينها وسيلة ترويج، ولأسمائهم شبه تتويج(6).

1. تعريف المقدمة (الغيرية)

1 . 1 المقدمة لغة واصطلاحًا:

وقبل البدء بتعريف المصطلح التّركيبي، نعرّف أحد مفردات هذا المركب، وهي المقدمة.

إذ هي في اللّغة إمّا من الفعل قَدَم اللازم، نقول: قَدَم يقدُم قَدْمًا وقُدوما بمعنى تقَدَّم، وقَدِم كلاهما: صار أمام. فقَدَم وقَدِم اللازم بمعنى تَقَدَّم. واسم الفاعل: مقَدِّمٌ ومُقَدِّمَةٌ بكسر الدال.

وإمَا من الفعل قَدَم المتعدي، نقول: قَدَم فلانٌ فلانا، يَقدُمُه قُدومًا وقَدْمًا إذا تقدَّمه، وقَدِمَه كلاهما: صار أمامه، وقَدَم القوم قَدْمًا وقُدُومًا: سبقهم فصار قدَّامهم. والقَدَمَة: الشّجاعة، والقَادِمة من الجيش: طائفة منه تتقدّمه، ومن الرّحل أولُه، ومقدمة الجيش: طائفة منه تسير أمامه(7).

واسم الفاعل: بكسر الدال: مقدِّمة، واسم المفعول: بفتح الدال: مقدَّمة.

والتّاء في المقدمة للدلالة على النّقل من الوصفية للاسمية.

ومن مقدمة الجيش نقل اسم المقدمة على وجه الحقيقة أو المجاز، وأطلق على اسم أوّل كلّ شيء.

ويمكن تعريفها اصطلاحًا بما عرّفها به البيضاوي رحمه الله، حيث قال: مقدمة الكتاب طائفة من كلامه، قُدمت أمام المقصود لارتباط له بها، وانتفاع بها فيه، سواء توقف عليها أم لا(8).

> **حظيت المقدمات في التّراث العربي بمكانة سامقة، ومنزلة عالية؛ إذ يُتطرق منها إلى ما بعدها، ويُرتقى عليها إلى ما يتلوها، فهي بمنزلة الرّأس من الجسد، والأساس من البناء.**

1 . 2 تعريف المقدمات (الغيرية) اصطلاحًا:

وعلى هذا يمكن تعريف المقدمة (الغيرية) بأنّها: طائفة من كلام غير صاحب النّص، قُدمت أمام المقصود، بناء على طلبه أو من ينوب عنه، غالبًا لبيان موضوع الكتاب، ومنهجه، ومواطن القوّة فيه، والمآخذ عليه.

والمقصود بغير صاحب النّص: مبدع أو مفكر أو ناقد آخر أو أي شخصية ذات مكانة إبداعية خاصة، ووضع اعتباري مميز يتكفل بكتابة المقدمة.

والضمير في: (بناء على طلبه أو من ينوب عنه) يعود على صاحب النّص ذاته أو من ينوب عنه ممن يَعْنيهم أمر النّص.

2. الخلاف في استحضار المقدمات (الغيرية) في المفتتحات التّأليفية:

بعد التّعريف لابد أن نُعرج على آراء النّقاد في استحضار المقدمات (الغيرية) في المفتتحات التّأليفية، وأنّهم انقسموا إلى اتجاهين:

⁕الاتجاه الأول: يرى أصحابُه أنّ التّقديم عَتبةٌ قد تُشوش على طبيعة النّص الإبداعيةِ، لأنّه وشاية بأسرار النّص المركزي الجوهرية، وهي لا تشكل أيّة قيمة إضافية للنّص، وأنّ طبيعتها ومضامينها لا تكاد تخرج عن التّقريظ الذي يحتفي بصاحب العمل، ونادرًا ما تمتد إلى مجال النّقد الموضوعي.

⁕الاتجاه الثاني: يتبنى موقفًا آخر لا يتجاهل أهمية الخطاب التّقديمي؛ بل يعدّه عملا معرفيًا تَوْصيليًا، وأهميته تأتي من أهمية المعرفة التي تُقدمها حول تشكل النّص، وملابسات إنتاجه، بما يُعين القارئ على فكّ شفراته، وفتح مغالقه، واستكناه أعماقه، وفي الوقت ذاته تحمي النّص من التّأويلات المغرضة أو المغلوطة(9).

والمتأمل في هذا الخلاف يرى أنّه يقوم على تحقق فائدة المقدمات، فمن أثبت وجود الفائدة قال بجوازها، ومن نفاها قال بإسقاطها.

3. عمل المقدِّم:

3 . 1 نخلص بعد هذا للحديث عن عمل المقدِّم، ونجمله في النّقاط الآتية:

1 - تسليط الضّوء على ما جاء في

الكتاب من إضافاتٍ جديدة لا توجد في سواه.

2 - فإذا تعذرت هذه الإضافات فمجال الحديث يتّجه إلى أهداف الكتاب، ومنهجه الفكري، ومنحاه التّعبيري.

3 - وقد يخالف المقدِّم صاحب الكتاب في بعض آرائه، فيشير إلى وجهة نظره دون حرج؛ إذ المقصود: بيان أقوم المسالك، وأرشد المناهج(10).

3 . 2 ولابد للمقدِّم أن يراعي أمورًا منها:

1 - أن تكون بينه وبين موضوع الكتاب صلةٌ علميةٌ أو ذوقية، أو دراسةٌ وافيةٌ للموضوع وما أُلِّف فيه.

2 - أن لا يُبالغ في كلامه عن الأثر الذي يُقدمه، ويُسبغ عليه صفات ليست فيه.

3 - ارتباطٌ وثيقٌ بينه وبين المؤلف يمكِّنه من الاطلاع على تركيبه العقلي والعلمي والعاطفي إذا كان الكتاب في موضوع علمي أو أدبي أو فكري أو دعوي، وعلى مدى إخلاصه لموضوعه واختصاصه وتفانيه فيه، ورسوخه في العلم والدِّين، وأخذهما من أصحاب الاختصاص فيه المعترف بفضلهم إذا كان الكتاب في موضوع دينيٍّ كالتفسير والحديث والفقه وما إلى ذلك.

4 - أن يكون التّقديم عن اندفاع وتجاوب، وتحقيقًا لرغبة نشأت في نفس المقدِّم بعد قراءة هذا الكتاب تحثُّه على كتابة هذا التقديم، وتحبِّبها إليه وتيسِّرها له، بحيث إذا امتنع عنها اعتبر نفسه مقصِّرًا في أداء حقٍّ وإبداء مشاعر وانطباعاتٍ وحاجة في نفس يعقوب ما قضاها.

يمكن تعريف المقدمة (الغيرية) بأنّها: طائفة من كلام غير صاحب النّص، قُدمت أمام المقصود، بناء على طلبه أو من ينوب عنه، غالبًا لبيان موضوع الكتاب، ومنهجه، ومواطن القوّة فيه، والمآخذ عليه

4. تفاوت المقدمين والمقدمات:

تأسيسًا على الأمور السّالفة يتفاوت المقدمون في إجادة تقديمهم لكتب



غيرهم، بحسب منازلهم من التحرّي والتّثبت، والعلم والمعرفة، والبصر والعناية بموضوع الكتاب خاصّة، فمنهم الظّالم لنفسه المتكلّف ما ليس له به شأن، ومنهم المقتصد القائم بحق التّقديم كما ينبغي له، ومنهم السّابق بالإحسان الذي ربّما كانت مقدمته أهمَّ من الكتاب الذي يقدِّم له، وأكثر غناءً ونفعًا(11).

وتتفاوت المقدمات أيضًا من حيث الإيجاز والإطناب، فبعضها قد لا يتجاوز نصف صفحة، وبعضها قد يقارب ملزمة من ملازم الكتاب أو أكثر.

ومرجع هذا التفاوت قد يكون تبعًا لأهمية الكتاب، أو معرفة المقدم بأحوال المؤلف، أو بسبب الحاجة الدّاعية للتعليق على قضايا وردت في فصول الكتاب ومباحثه.

"تتفاوت المقدمات من حيث الإيجاز والإطناب، فبعضها قد لا يتجاوز نصف صفحة، وبعضها قد يقارب ملزمة من ملازم الكتاب أو أكثر. ومرجع هذا التفاوت قد يكون تبعًا لأهمية الكتاب، أو معرفة المقدم بأحوال المؤلف.

5. طالب المقدمة:

طالب هذا النّوع من المقدمات إمّا أن يكون مبتدئًا يعتمد على المقدِّم ليقوم فيرى النّاس كتابه، وإمّا أن يكون مساويًا للمقدِّم، وغرضه تنويع مادة كتابه في الغالب، وإمّا أن يكون أعلى من المقدِّم، وطلبه للتّقديم يكون من باب التّكريم والتّشجيع للمقدِّم(12).

6. طريقة جمع المقدمات وأهدافه:

يمكن تصنيف طريقة جمع المقدمات لدى أغلب الباحثين في الشّكلين الآتيين:

الأوّل: أن تُجمع مقدمات عَلَمٍ واحدٍ لكُتب شتّى، وهذا هو المنهج الغالب على من تصدّى لهذا الشّكل من التّأليف.

الثّاني: أن تُجمع مقدمات عدّة أعلام لمؤلف واحد. وهذا الشكل قليل، ومن أمثلته: كلمات تقديم مؤلفات الدكتور السعيد بنفرحي، وفيه: 27 مقدمة.

وأمّا أهداف جامع هذه المقدمات فنتلمسه في النّقاط الآتية:

• ضم هذه المقدمات في كتاب واحد يعكس تصورًا واضحًا، ورؤية دقيقة عن المقدم، وملامح عن ثقافته المعرفية والمنهجية، ويعطي الـدّارس لتراثه معلومات لم تكن معروفة عنه من قبل.

• التّعريف بالكتب المقدَّم لها وبمؤلفيها، بما يكون حافزًا على قراءتها، والاستفادة منها.

• تحتوي هذه المقدمات على مجموعة من الأفكار والأطروحات والمعلومات التي تفتح آفاقا بحثية وعلمية.

• جمع شتات هذه النّصوص في عقد واحد يحفظها من الضياع، ويجعلها قريبة من يد الباحثين والدراسين؛ إذ بعض الكتب المقدم لها أصبح من العسير الوصول إليها؛ لأنها صارت في حكم النادر والمفقود.

7. ثبت للمقدمات (الغيرية)

في نهاية هذه البحث يحسن أن نشير لأسماء جملة من الأعلام الذين جُمعت مقدماتهم، مرتبة حسب تاريخ نشرها، مع ذكر عدد المقدمات (الغيرية) لكل كتاب)):

1 - كتب ومؤلفون، طه حسين، جمع: شكري فيصل، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م. وفيه: 26 مقدمة.

* مقدمات طه حسين (ما قدمه عميد الأدب العربي لغيره)، جمع وتعليق: علي قطب، مجموعة بيت الحكمة للثقافة، القاهرة، 2023 م. وفيه: 78 مقدمة.

2 – المقدمات البنورية على المؤلفات العربية والفارسية والأردية للشيخ محمد يوسف البنوري، جمع وترتيب: محمد حبيب الله المختار، المكتبة البنورية، كراتشي، 1980م. وفيه: 45 مقدمة.

3 – مقدمات الشيخ علي الطنطاوي، جمعها وعلق عليها: مجد مكي، دار المنارة، جدة، 1997م. وفيه: 40 مقدمة.

4 - مقدمات الشيخ محمد زاهد الكوثري (وهي التي كتبها للكتب

التي حققها أو قرظها أو عرّف بها)، دار الثريا، دمشق، 1997م. وفيه 57 مقدمة، جمع فيها بين المقدمة (الذّاتية) و(الغيرية).

5 - أبعد من المنبر (محاضرات، مقدمات، مشاركة في الأدب) للدكتور غالب غانم، دار النضال، بيروت، 1998م. وفيه 5 مقدمات، والباقي مقدماته التي كان يلقيها في المؤتمرات والندوات والملتقيات.

6 - مقدمات توفيق بكار في الأدب العربي الحديث، دار الجنوب، تونس، 2002م. وفيه: 19 مقدمة.

7 - كلمات تقديم للدكتور عباس الجراري رحمه الله، جمع وتقديم: حميدة الصايغ الجراري، منشورات النادي الجراري، الرباط، 2006 - 2019 م، وفيها: 141 مقدمة.

8 - القطوف الدانية (يضم مجمل آثار العلامة الدكتور شاكر الفحام) (ج:1 المقدمات والكلمات)، جمعها وصنفها وقدم لها: محمود الأرناؤوط، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2007م. وفيه: 14 مقدمة.

9 - مقدمات سماحة الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز، إعداد: خالد بن علي الحيان، دار ابن الأثير، الرياض، 2008م. وفيه: 56 مقدمة.

10 - المجموعة الكاملة للمفكر والأديب الناقد الأستاذ عبد الله عبد الجبار (ج: 5 مقدمات)، أعده للنشر محمد سعيد طيب، عبد الله فراج الشريف، دار الفرقان، جدة، 2008م. وفيه: 12 مقدمة.

11 - 10 مقدمات لدواوين شعر وكتب، مختارات الطيب صالح، تحرير: د. حسن أبشر الطيب، محمود صالح عثمان صالح، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2009م. وفيه: 9 مقدمات.

12 - مقدمات الأستاذ الدكتور حسن الوراكلي رحمه الله، الجزء الأول- مطابع الشويخ، تطوان، 2009 م، الجزء الثاني- مطبوعات ندوة زمزم الجمعية، إعداد وتعليق وتقديم: د. بدر العمراني، تطوان، 2013 م. وفيهما: 48 مقدمة.

13 - مقدمات الإمام العلامة الداعية المفكر الإسلامي الكبير الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي، جمعها ورتبها: محمد منتظر عبد الحفيظ، مؤسسة الرسالة الناشرون، بيروت، 2004 م. وفيه: 40 مقدمة.

- مقدمات الإمام أبي الحسن الندوي، إعداد: سيد أحمد زكريا الغوري الندوي، دار ابن كثير، دمشق، 2010م. وفيه: 73 مقدمة.

14 - معهم.. مقدمات وندوات

> **يُمكن تصنيف طريقة جمع المقدّمات وفق شكلين، الأوّل: أن تُجمع مقدّمات عَلَم واحد لكتب شتّى وهذا هو المنهج الغالب، والثّاني: أن تجمع مقدّمات عدّة أعلام لمؤلف واحد، وهذا الشكل قليل.**



وشهادات للدكتور يوسف حسين بكار، دار فضاءات، عمَّان، 2012م. وفيه: 14 مقدمة.

15 - أوراق من دفتر الروح: مجموع بحوث ودراسات ومحاضرات ومقالات ومقدمات ومراجعات كتب وحوارات في آداب العرب والإنكليز والفرس وثقافتهم، أعدها على امتداد ثلاثين عاما: عيسى علي العاكوب، وزارة الثقافة، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2012م. وفيه: مقدمتان.

16 - المقدمات وما إليها لعبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، السعودية، 2012 م، وفيه تقريظان، والباقي مقدمات (ذاتية).

17 - المقدمات، بقلم أ. د. يوسف القرضاوي، دار المقاصد، القاهرة، 2015م. وفيه: 60 مقدمة تقريبا.

18 - مقدمات الدكتور ميشال خليل جحا، دار نلسن، بيروت، 2015م. وفيه: 9 مقدمات.

19 - المقدمات الممهدات للكتب والرسائل ووقائع المؤتمرات، للأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي، دار الماجد ودار العصماء، دمشق، 2015م. وفيه: 30 مقدمة.

20 - ظاهرة التقريظ والتقديم في الأدب العربي، الشيخ الصفار نموذجًا، أديب عبد القادر أبو المكارم، أطياف للنشر والتوزيع، القطيف، 2015م. وفيه: 76 مقدمة.

21 - المجموع الثمين لمقدمات الشيخ العلامة أبي أويس محمد بن الأمين بوخبزة الحسني للمؤلفين والمحققين، جمع وتقديم: رضوان بن عبد السلام زرغيل، مطبعة الهداية، تطوان، 2016 م. وفيه: 45 مقدمة.

إنّ المقدّمات لون من الحياة الأدبيّة التي ترتبط بكاتبِيها، وفيها دعامة للحياة الفكريّة للأمّة، ومظهر من مظاهر نشاطها العلميّ والأدبيّ.

22 - مقدمات وإشارات تعريفية بآثار إبداعية ومعرفية للأستاذ الدكتور حسن البياتي، دار الفارابي، بيروت، 2017م. وفيه: مقدمتان.

23 - مقدمات العلامة عبد الله كنون، جمع وتقديم: د. البراء الوراكلي، مطبوعات ندوة زمزم الجمعية، تطوان، 2018م. وفيه: 36 مقدمة.

24 - مقدمات، بقلم: نجدة فتحي صفوة، دار الذاكرة للنشر والتوزيع، العراق، 2018م. وفيه: 15 مقدمة.

25 - مقالات السير والتراجم والمناقب ومقدمات الكتب والتقاريظ لتقي الدين الهلالي رحمه الله، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار المقتبس، بيروت، 2019 م. وفيه: 14 مقدمة وتقريظ.

26 - مقدمات أحمد أمين، جمع وتحرير وتقديم: محمد بن سعود الحمد، كتاب المجلة العربية، الرياض، 2019 م، وفيه: 11 مقدمة.

27 - مقدمات العقاد، جمعها وقدّم لها واعتنى بها: د. عبد الرحمن بن حسن قائد، آفاق المعرفة، السعودية، 2020 م، وفيه: 99 مقدمة.

28 - كلمات تقديم مؤلفات الدكتور السعيد بنفرحي، جمع وإعداد: عمرو ومروان وزكرياء ومحمد بنفرحي، دار السلام، الرباط، 2020 م. وفيه: 27 مقدمة.

29 - رسيس الهوى: بقية تراث شيخ العربية محمود محمد شاكر (مقدمات، مقالات، مترجمات، ملخصات، حوارات، رسالات، تصحيحات)، جمعها: د. عبد الرحمن بن حسن قائد، شركة آفاق المعرفة للنشر والتوزيع، السعودية، 2021 م، وفيه: 8 مقدمات.

30 - وللمقدمات قصص لمحمد البدوي، منشورات ابن عربي، تونس، 2021 م. وفيه: 34 مقدمة.

31 - مقدمات وتقديمات الشيخ محمد الغزالي، دراسة وإعداد: علي عبد العظيم، المكتبة العصرية للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، 2022 م، وفيه: 14 مقدمة.

32 - مقدمات يحيى حقي، إعداد ودراسة صلاح معاطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2022، وفيه: 14 مقدمة.

33 - مقالات ومقدمات الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، جمعها

وأعدها للنشر: د. محمد عيد وفا منصور وسلمان بن عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2024 م. وفيه: 21 مقدمة وتقريظ.

34 - مقالات ومقدمات الإمام الحافظ لسان السنة الغراء السيد محمد عبد الحي الكتاني رحمه الله ومقالات مختارة عنه، جمعها وقدم لها وعلق عليها: خالد بن محمد المختار البداوي السباعي، (تحت الطبع)، وفيه: 23 مقدمة.

بقي أن نشير هنا إلى مؤلفات لا تدخل في باب المقدمات (الغيرية)، وهي:

1 - المقدمات لمطبوعات المكتب الإسلامي للشيخ زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، 2001م. وهو جمع لمقدمات الناشر.

2 - المقدمات الصادرة باللغة العربية لمنشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ألمانيا، 2011م. وهو جمع لمقدمات الناشر.

3 - أمتي في العالم (مقدمات الحكيم البشري)، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة، 2014 م. وهذه المقدمات هي افتتاحيات المقدِّم لحولية: أمتي في العلم.

لا بدّ أن يتحلّى كاتب المقدّمات بأمانة القلم، وصِدق البيان، ينقل أحاسيسه إلى قارئه في عمق وصدق، ومن لم يراعي هذه الخصيصة، فقد مسّ العلم بقُرحة، ووضع في سبيل فلاح الأمّة حجر عثرة.

4 - مقالات العلامة المؤرخ المحدث محمد راغب الطباخ: وبحوثه في التاريخ والتراث والآداب والتراجم ومقدمات الكتب التي حققها، جمعها ورتبها وقدم لها وعلق عليها: مجد أحمد مكي، أروقة للدراسات والنشر، عمان، 2015 م.

5 - هكذا تكلم الجواهري (مقدمات، ومقالات، وكلمات، وحوارات)، جمعها وحررها: وسام العبيدي، جامعة الكوفة، 2019 م. والمراد بالمقدمات هنا مقدمات بعض قصائده، ومقدمات بعض دواوينه.

6 - مقدمات النشرات الاستشراقية، ترجمة وتعليق: محمد محمد عبد السميع، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2021 م. حيث عمد المؤلف إلى ترجمة المقدمات (الذاتية) لتحقيق المستشرقين لكتب التراث، وجمعها في هذا الكتاب.

7 - وحي الفؤاد مقالات ومقدمات وآثار وترجمة شيخ المحققين محمد فؤاد عبد الباقي، جمع وإعداد: د.محمد عيد محمد وفا المنصور، دار المنهاج القويم، سوريا، 2023 م. والمراد بالمقدمات فيه: المقدمات (الذاتية).

وبعد: فإنّ المقدمات لون من الحياة الأدبية التي ترتبط بكاتبِيها، وفيها دعامة للحياة الفكريّة للأمّة، ومظهر من مظاهر نشاطها العلمي والأدبي، لذا لا بدّ أن يتحلّى كاتبها بأمانة القلم، وصِدق البيان، ينقل أحاسيسه إلى قارئه في عمق وصدق، ومن لم يراعي هذه الخصيصة، فقد مسّ العلم بقُرحة، ووضع في سبيل فلاح الأمّة حجر عثرة.

---

(1) مواد البيان لعلي بن خلف الكاتب (ص: 119-120).
(2) مقدمات حسن الوراكلي (ص: 115-116).
(3) عتبات النص ليوسف الإدريسي (ص: 21).
(4) العتبات ج. جنييت (ص: 150).
(5) هاجس الإبداع في التراث لعباس رحيلة (ص: 18).
(6) مقدمات حسن الوراكلي (ص: 116).
(7) لسان العرب (12/465-472).
(8) شرح تلخيص المفتاح المطول (ص: 31).
(9) الخطاب التقديمي عند حسن الوراكلي للدكتور جمال البختي (ص: 84 – 85).
(10) أمانة الكلمة في مقدمات الكتب، محمد رجب البيومي، مجلة الهلال، يونيو 1983، ص 44.
(11) مقدمات العقاد (ص: 20).
(12) مقدمات الطنطاوي (ص: 213).
(13) سبقني لهذا الجمع الدكتور عبد الرحمن قائد وفقه الله في كتاب «مقدمات العقاد»، وزدت عليه بعض المؤلفات، وحذفت بعضها.

حِوَارٌ مَعَ الدُّكتورِ الهوّارِي غَزالي
الأستاذِ المحاضرِ بجامعةِ باريس

بخصوصِ كتابِه الأخيرِ: موسوعةُ الشِّعرِ الخِيمْيَائِيِّ



لقد قمتَ بإصدارِ موسوعةِ الشِّعرِ الخيميائيِّ عن دار الآن ناشرون، فما الهدفُ الأساسُ من نشرِها؟

الموسوعةُ هي تحقيقٌ ودراسةٌ في أشعارِ الخِيمْيائيِّين، والهدفُ منها هو تأسيسُ غرضٍ شِعريٍّ مستقلٍّ سمَّيناه بغرضِ الصَّنعَويّاتِ، وهو غرضٌ لم يلتفتْ إليه النُّقادُ كثيرًا لكثرةِ غرقِ أشعارِه في الرُّموزِ واحتجابِه بالأسرارِ. ويَعرفُ التُّراثُ الشِّعريُّ العربيُّ الكثيرَ منَ الشُّعراءِ الذين نظَمُوا في هذا الغرضِ، بدايةً منَ الشَّاعرِ الأُمويِّ خالدِ بنِ يزيدَ بنِ معاويةَ (توفي 85/704)، ثمَّ تلاه آخرون كالطُّغرائيِّ ومحمّد بنِ أميل التَّميميّ ومحيي الدّين ابنِ عربي وصلاحِ الدّين الكُورانيِّ الحلبيِّ؛ وهو نظمٌ أكثرُه ألغازٌ وتَعمياتٌ. ويَستندُ مشروعِي إلى فكرةٍ مُفادُها أنَّ المقارنةَ بين الشّعراءِ الخِيميائيّين



مفيدٌ جدًّا لفهمِ التّطوُّرِ التّاريخيِّ لنظريّةِ الصَّنعةِ. وهو الحالُ الذي يَتجلَّى، على سبيلِ المثالِ، في اشتغالي بِإنجازِ هذه الموسوعةِ في شكلِها العامِّ. وبنشري لمجموعةٍ منَ الدَّواوين ضمْنَ هذه الموسوعةِ، فإنَّ مخطوطاتِها التي وصلتْ إليَّ تؤكِّدُ أنَّه كان يوجدُ نشاطٌ مكثَّفٌ جدًّا لاسيمًا في القرنِ الخامس الهجري الموافقِ للقرن الثّاني عشر الميلادي، وهي المرحلةُ التي وضعتِ الحجرَ الأسـاسَ لاسيمًا لهذا الغرضِ من خلال ديوانِ "شذورِ الذّهبِ" لابنِ أرفع رأس الجيّانيِّ الأندلسيِّ.

”الموسوعةُ هي تحقيقٌ ودراسـةٌ في أشعـارِ الخِيمْيائيِّين، والهدفُ منها هو تأسيسُ غرضٍ شِعريٍّ مستقلٍّ سمَّيناه بغرضِ الصَّنعَويّاتِ، وهو غرضٌ لم يلتفتْ إليه النُّقادُ كثيرًا لكثـرةِ غـرقِ أشعـارِه في الرُّموزِ واحتجابِه بالأسرار

لكنْ لماذا تُصرُّ على أنَّ هذا النَّوعَ لا بدَّ أن ينضمَّ إلى غرضٍ شعريٍّ مُستقلٍّ ؟

يوجدُ من يعتقدُ أنَّ الشّعرَ الخِيميائيَّ هو جزءٌ لا يتجَزَّأُ منَ النَّظم التَّعليميِّ. وإذا كان هذا صحيحًا، فإنَّ أقدمَ نظْمٍ تعليميٍّ معروفٍ في تاريخ الشّعرِ العربيّ، بالنِّسبة إلينا جميعًا، هو نظمُ خالدِ بنِ يزيدَ الذي يعدُّ أوَّلَ من ألَّفَ ديوانًا شعريًّا كاملًا على حروفِ الأبجديّةِ احتفاءً بعلمِ الخِيمياء. ويضمُّ هذا الدِّيوانُ المعنونُ بـ"فردوسُ الحكمةِ" أكثرَ من 2900 بيتٍ. إنّه حقًّا شهادةٌ على توافقٍ معيَّنٍ بين الشّعرِ والخِيمياء، منذُ ابتداءِ التّرجمة عندَ العربِ، مع الرّغبةِ في تكوينِ المريدين في هذا التّخصّصِ، إلّا أنَّه بالمقارنة بِالنَّظمِ النّحويِّ التَّعليميِّ على سبيل المثالِ، فإنَّ الشّعرَ الكيميائيَّ يبقى غامضًا إلى حدٍّ ما. ومَنْ ثَمَّ، فإنَّ تعلُّمَه سيظلُّ، في بعضِ النَّواحي، صعبَ المرام. وهو ما يؤكِّدُ بشكلٍ غيرِ مباشر، بأنَّ شِعرَ الخيمياءِ لا يُعدُّ نظمًا تعليميًّا.

وفي الواقعِ، فإنَّ النيَّةَ بعدمِ الكشفِ عن أسـرارِ حجرِ الفلاسفةِ لدى الخيميائيّين، من خلال نظْمِ القصائدِ على الأقـلِّ، لم تمنعْ هذا الغرضَ الشّعريَّ ليكون تعليميًّا فحسبُ، وإنَّما منعت أيضًا وبلا شكٍّ وجودَ أيّةِ دراسةٍ نقديّةٍ أو أدبيّةٍ حقيقيّةٍ عنه إلى يومِنا هذا. ولفكِّ شِفرةِ الخطابِ الشِّعريِّ في الخِيمياء العربيّةِ، يبرزُ السُّؤالُ الذي يبحثُ في طريقةِ ضبطِ المنهجيّةِ التّحليليّةِ والتَّفسيريَّةِ بالدَّرجةِ الأُولى.

هل تقصدون أنَّ النَّقدَ العربيَّ لم يكن بمقدورِه الالتفاتُ إلى هذا الغرضِ؟

ليس هذا بالضَّبطِ، وإنَّما حدَّدتُ مهامِّي في نقل أشعارِ الخِيمياء من عالَمِها الفلسفيِّ إلى عالَمِها الأدبيِّ. فمنَ الجيِّدِ القولُ: إنَّ تطوُّرَ الجانبِ النَّقديّ لهذا النّوعِ منَ الشّعرِ لم يتمَّ عن طريقِ



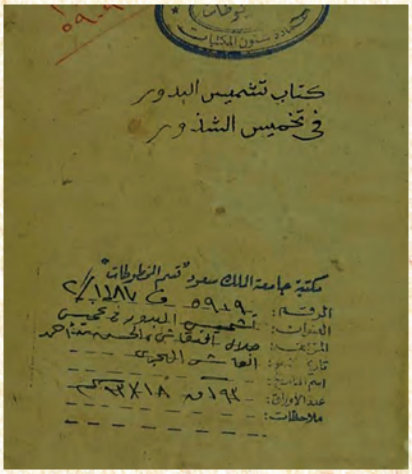
مخطوطةٌ بعنوان الأقاليمُ السَّبعةُ ذاتُ الصُّورِ التَّناسُبيّة

الأدبِ ولا عن طريقِ ما سمَّيناه بغرضِ الصَّنعويَّات، وإنَّما عبْرَ التَّعليقاتِ الفلسفيَّةِ التي أَسْهَمَتْ في عرض الخيمياءِ كاشفةً عنِ الجانبِ الرَّمزيّ فيه. ويُعدُّ شرحُ الجلدكيِّ لديوانِ الشُّذورِ لابنِ أرفع رأس إلى حدٍّ ما الشّمعةَ الأخيرةَ التي توهَّجت وانطفأت معها التّعليقاتُ الفلسفيّةُ للشِّعرِ الكيميائيّ عمومًا.

وفي الواقعِ، فــإنَّ تصنيفَ شعرِ الخيمياء أدبيًّا وليس فلسفيًّا قد يسمحُ بتحديدِ العلاقةِ بين الأدبِ العربيِّ والعلومِ التَّجريبيّةِ، أي بين الشِّعرِ والخيمياءِ من جهةٍ، ويسمحُ لنا من جهةٍ أخرى بالنَّظرِ في الأشكالِ الشِّعريّةِ النَّاتجةِ عن نشاطِ الفكرِ الكيميائيِّ (القصيدةِ، الأرجوزةِ، التَّخميسِ، ...) من جهةٍ أخرى.

تقصدُ أنَّ للخِيمياء أجناسًا أدبيَّةً أخرى غيرَ القصيدةِ؟

أجل، عرفتِ الخيمياءُ القصائدَ ولكن أيضًا الأراجيزَ والمقاطيعَ وهي أجناسٌ معروفةٌ لكونِها تعدُّ من صُلبِ الإبداعِ عند العربِ. ولقد ذكرتُ في الموسوعةِ



مخطوطة كتاب تشميسُ البدورِ في تخميس متنِ الشُّذورِ

القصائدَ الطِّوالَ لابن أرفع رأس ومقاطيعَ الطُّغرائي، وأرجوزةَ أبي بكر بنِ يحيى الكاتبِ الخرّاطِ، وهي مخطوطةٌ نُسخت بالقرن العاشر الهجري (السَّادس عشر الميلادي) وموجودةٌ بالمكتبة الوطنية بباريس رقم 2776 (6) بعنوان "أرجوزةُ الفصيحةِ في الأعمالِ الصّحيحةِ". وتوجدُ أراجيزُ أخرى كتلك التي للفضلِ بنِ المهذَّبِ وهي مخطوطةٌ منَ القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) مصنَّفة بمكتبة جامعة برنستون تحت رقم 1697.

كما ذكـرتُ أيضًا التَّخميسات. والمقصود بها أن يرجع الشّاعرُ إلى بيتٍ شعريٍّ بهدف توضيحِه وتفصيلِه، فيجعلَ صدرَه بعد ثلاثةِ أشطرٍ متتابعةٍ في الوزنِ والقافيةِ والرَّويِّ مراعيًا تناسبَ اللّفظ والمعنى بين الأصل والمزيدِ.

> عـرفـتِ الـخـيـمـيـاءُ الـقـصـائـدَ ولـكـن أيـضًـا الأراجيزَ والمقاطيعَ وهي أجناسٌ معروفةٌ لكونِها تـعـدُّ من صُـلـبِ الإبـداعِ عند العربِ









الطغرائي



خالد بن يزيد بن معاوية

ويحتلُّ عجزُ البيتِ الرُّتبةَ الخامسةَ من عدد الأشطرِ ولذلك سُمِّيَ بالتَّخميس. وعلى هذا النَّحوِ يمكنُ أن ينظمَ الشّاعرُ قبلَ البيتِ الأصليِّ أربعةَ أشطُرٍ أو خمسةً أو ستَّةً، فإذا تمَّ له ذلك، اصطلحَ على نظمِه بالتَّسديس والتَّسبيع والتَّثمين. ولا بدَّ أن يفسِّرَ المزيدُ الأصلَ فيضيفَ إليه لطافةً ووضوحًا وجمالاً. وذكرَ على سبيل المثال تخميسَ جلالِ النَّقاش الذي ألَّفه بمشهد سنة 810/1408، ويحمل عنوان «تشميسُ البدورِ في تخميس متنِ الشُّذورِ». وهو تخميسٌ يشرحُ أبياتَ الشّذورِ شرحًا اعتمدَ فيه على شُروحاتِ محمّد بنِ محمّد التُّستريّ الحُسينيّ التي أعطاها إيَّاه شفهيًّا. وتخميسًا آخرَ لشرفِ الدين المقدسيّ: يقول فيه صلاحُ الدّين الصّفدي إنَّه قد خمّس شذورَ الذّهبِ في صنعةِ الخيمياءِ تخميسًا حسنًا يقضي له بسبْقِ النّظم وجودةِ حوْكِ الكلام. ومع ذلك، لا تزالُ هذه المجموعاتُ الشّعريّةُ مبعثرةً حتّى اليوم في شكلِ مخطوطاتٍ. وللوصول إلى محتواها ودراستِه، فإنَّه منَ الضّروري جمْعُها في شكلِ مُختاراتٍ.

ذكرتَ في كتابِك أيضًا علاقةَ الخيمياءِ بالسَّردِ العربيِّ، فكيفَ تُفسِّرُ ذلك؟

سنلاحظُ، خارجَ مجالِ الشّعرِ، وجودَ نوعٍ جديدٍ منَ السَّردِ. ففي مخطوطةٍ بعنوانِ "الأقاليمُ السَّبعةُ، ذاتُ الصُّور التَّناسُبيّة"، لمؤلِّفه أبي القاسم، محمّد بنِ أحمد العراقيّ السيماويّ،ستتحوَّلُ المعادنُ رمزيًّا إلى حيواناتٍ، وقد تكون حيواناتٍ

يحتلُّ عجزُ البيتِ الرُّتبةَ الخامسةَ من عددِ الأشطرِ ولذلك سُمِّيَ بالتَّخميس. وعلى هذا النَّحوِ يمكنُ أن ينظمَ الشّاعرُ قبلَ البيتِ الأصليِّ أربعةَ أشطُرٍ أو خمسةً أو ستَّةً، فإذا تمَّ له ذلك، اصطلحَ على نظمِه بالتَّسديس والتَّسبيع والتَّثمين.



محيي الدين بن عربي



عز الدين الجلدكي

استنادًا إلى أَشعار الخِيميائيّين القُدامى، قمتُ بتطويرِ نظريَّةٍ في النَّقدِ الأدبيِّ من خلالِ تأليفِي لكتابٍ عنِ النَّماذج العُليا عنِ الشَّاعر العُماني سيفٍ الرَّحبي وذلك بعنوان: مدخلٌ إلى الأدبِ الرَّمزيِّ الخِيميائيِّ.

أسطوريَّةً أيضًا. فالتّنّينُ الذي يمثّلُ كوكبَ عُطارد على سبيل المثال هو كائنٌ استخدمَه العراقيّ السّيماويّ كما استخدمه الشُّعراءُ بجميع قصائدِهم. يقولُ عنِ التِّنين الموصوفِ بالحيَّةِ ذاتِ الجناحَين:

«فحين تكبّرَ وتخلخلَ سلطانُه وانحلَّ، وكان سببَ ذلك حيّةٌ بجناحَين وفعلتْ في ذلك الإقليم ذاتَ قامين، فلسعتِ الملك فتهرَّى، وزال ملكُه فتعرّى، وانقلبَ من على سريره ومالَ، وانحلَّ جسمُه من سُمّها وسالَ، فلمّا رأيتُ فعلَ الحيّةِ بالملكِ ولّيتُ الأدبارَ، فنادتني الحيّةُ بلسانٍ فصيح: يا أيّها الصّيادُ لا تخفْ منّي فأنا سمكةٌ بحريّةٌ عندَ امرئ، وأنا البلطيّةُ، فقلت لها: لستُ أنا بمن يُعنى بالبهتانِ، كيف تكونين بلطيّةً وأنت في شكلِ ثُعبان؟ فقالت: ألم تعلم أنّنا بناتُ الجان؟ ألم تعلم أنّ أختي كانت بلطيّةً، فصارت جاريةً إنسيّةً؟ فقلت لها: هل بقي لكم إخوةٌ آخرون غيرُكم؟ أم أنتم الإنسانُ وحدَكم؟ قالت: هذا الأمرُ لا يمكنُ كشفُه، وسيأتي في التّصويرِ وصفُه، ويَدريه من يفهمُ العددَ، منَ الأيّام والـمُدَدَ، فبينما أنا أتحدّثُ إذ دخلتْ في جسمِ الملسوعِ فأقعاها في جوفِه، وصار كلاهما سُمًّا ذائبًا،وبقيت صورتُها لشيءٍ غائبٍ، فلمّا صار التّشابه، وأنا مُتعجّبٌ لما قد أصابَه، إذ سمعتُ هاتفًا ينادِيش».

فبسببِ شِحنتِه الرّمزيّةِ في الخيمياءِ والتي تمثّلُ الاحتراقَ، والقوَّةَ، والطّاقةَ، فإنَّ هذا الحيوانَ يرمزُ إلى نَوْعٍ منَ الفوضَى المظلمةِ التي تتفاعلُ داخلَ الماءِ الكيميائيّ، فهو يُسهمُ في تلك "الولاداتِ الكامنةِ" التي تلتقي فيها البرودةُ بالرّطوبةِ.

إيجابيَّتُه الوحيدةُ هي الإشارةُ إلى الوعيِ؛ لأنَّه صاحبُ الأمرِ في نفسِه، وهو أيضًا قويٌّ، ويمارسُ يَقظتَه عند مداخلِ الحدائقِ التي تختزنُ الكنوزَ (الماديّة والمعنويّة). وفي الأساطيرِ أنَّ البطلَ الفيلسوفَ عندما يذهبُ إلى البحثِ عنِ الكنزِ، فسيجدُ التِّنينَ وعيناه مفتوحتان، لا ينامُ أبدًا، وهو ما يُثبتُ حقًّا روحَ التّمييز لديه وتعلُّقَه باللَّحظةِ الحاليّةِ أي تلك التي تُبقي صاحبَها على الاستيقاظِ الدَّائم. إلى جانبِ ذلك، فإنَّ أجنحةَ التِّنين تعبِّرُ بسهولة عن ذلك الانتقالِ البعيدِ عنِ الانتباه المستمرِّ للحاضر. يقول ابنُ أرفع رأس في الموسوعة :

إذا فَسَخَ التِّنِّينُ جِسْمًا بِسُمِّهِ
وَدَاوَاهُ لَمْ تَولمْهُ نَفْثَةُ نَاهِشِ
هُوَ الرَّعِشُ المَفْلُوجُ فَاعْجَبْ لِبَاطِشٍ
مِنَ الحَرِّ مَفْلُوجٍ، مِنَ البَرْدِ رَاعِشِ

على هذا النَّحوِ، واستنادًا إلى أَشعار الخِيميائيّين القُدامى، قمتُ بتطويرِ نظريَّةٍ في النَّقدِ الأدبيِّ من خلالِ تأليفِي لكتابٍ عنِ النَّماذج العُليا عنِ الشَّاعر العُماني سيفٍ الرَّحبي وذلك بعنوان: مدخلٌ إلى الأدبِ الرَّمزيِّ الخِيميائيِّ. قمتُ بنشرِ هذا الكتابِ للنَّظرِ في الحيواناتِ الأسطوريَّةِ التي يَستخدمُها هذا الشَّاعرُ كما لو كان خيميائيًّا.

هل تعتقدُ أيضًا أنّ النَّثرَ العربيَّ عدا ما هو موجودٌ في كتابِ الأقاليمِ السَّبعةِ يحتوي على رموزٍ خِيميائيَّةٍ؟

بالطَّبع، هذا مؤكَّدٌ جدًّا. فمنَ المدهشِ أيضًا أن نجدَ في التُّراثِ السَّرديِّ العربيِّ وجودَ هذا الكائنِ، لاسيمَا بنصوصِ أدبِ الرِّحلاتِ. ولو دقَّقنا النَّظرَ، فإنَّ ذكْرَ الرَّحالةِ العربِ للتِّنِّين يُوحي بأنَّهم لا يتحدَّثون عن حقيقةٍ أو واقعٍ حدثَ بقدْرِ ما يتحدَّثون عن شيءٍ رمزيٍّ له علاقةٌ بالعمليّاتِ الخِيميائيَّةِ. وهو ما سيدفعُنا إلى النَّظرِ من جديدٍ وبتحقُّقٍ بالغِ المسؤوليَّةِ في أدبِ الرِّحلاتِ. ففي "آثارُ البلاد وأخبارُ العبادِ"، للقزوينيّ: يقول: وحكى بعضُهم أنّه ظهرَ بأرضِ حلب سنةَ أربعٍ وعشرين وستمائة تنِّينٌ عظيمٌ بغِلظ منارةٍ وطولٍ مُفرطٍ، ينسابُ على الأرضِ يبلعُ كلَّ حيوانٍ يجدُه، ويَخْرُجُ من فمِه نارٌ تحرقُ ما تلقَاهُ من شجرٍ أو نباتٍ». أمَّا في كتاب المستطرف في كلّ فنّ مستظرف للأبشيهيّ، فيقولُ: «إنَّ التّنّينَ ضربٌ منَ الحيّات، وهو طويلٌ كالنّخلةِ وجسدُه كاللّيل، أحمرُ العينين لهما بريقٌ، واسعُ الفم والجوفِ، يبتلعُ الحيوانَ».

وفي «المسالك والممالك»، يقول أبو عبيدٍ البكريُّ عن جزيرةِ التّنّين إنَّه «كان بها تنّينٌ قد نال أهلَها بكلِّ مكروهٍ، فلمّا دخلَها الإسكندرُ، استغاثوا به، وذكرُوا له أنّ التِّنين أتلفَ مواشيَهم حتى جعلوا له ثورَين كلَّ يوم ضريبةً ينصبونَهما في موضعِه، فنصبُوا له الثّورَين، وأقبل كأنّه السّحابةُ السّوداءُ، وعيناه كالبرقِ اللّامعِ، والنّارُ تلهبُ من فيه، فابتلعَ الثّورَين وعاد إلى موضعِه. فأمرَ الإسكندرُ بثورَين عظيمَين فسُلخَا وحُشِيَتْ جلودُهما زفتًا وكبريتًا وكلسًا وزرنيخًا، وجُعل مع تلك الأخلاطِ كلاليبُ حديدٍ كثيرةٌ، وجعلَها في ذلك المكانِ، وخرج التّنّين على عادتِه فالتقمَهُما وانصرفَ، فانضربت تلك الأخلاطُ في جوفه، فلما أحسّ بثِقلِها ذهبَ لِيُلقيَها، فَتَشَبَّثَتْ تلك الكلاليبُ في حلْقِه، فخرجَ وفغرَ فاه».

هذه التَّعابيرُ الأسطوريَّةُ والتي ذُكرت كما لو أنَّها حقيقةٌ حدثتْ، نجدُها في أشعارِ الخِيميائيِّين كما هو الحالُ لدى الطُّغرائيّ الذي يقول:

قَدْ خَرَجَ التِّنِّينُ مِنْ بَحْرِنَا ... بَيْنَ هَبَابَاتٍ وَأَنَارِ
هَامَتُهُ فِي الأَرْضِ مَنْكُوسَةٌ ... وَرِجْلُهُ فِي فَلَكِ النَّارِ
أَقَامَ فِي دَاخِلِهِ مُدَّةً ... يَقْذِفُ تَيَّاراً بِتَيَّارِ
وَالنَّارُ تَحْتَ البَحْرِ مَشْبُوبَةٌ ... بِجَاحِمٍ لِلْجَمْرِ فَرَّارِ
وَمَسْكَنُ التِّنِّينِ فِي جَوْفِهِ ... جَزِيرَةٌ فِي جُرُفٍ هَارِ
مَأْوَى الشَّيَاطِينِ وَمِنْ فَوْقِهِ ... غُرْفَةُ أَخْيَارٍ وَأَبْرَارِ
لَهُ دَوِيٌّ وَحَفِيفٌ كَمَا ... لِلرِّيحِ إِذْ جَاءَتْ بِإِعْصَارِ
يَحْرِقُ مَا مَرَّ بِهِ رَاجِفاً ... مِنْ حَيَوَانَاتٍ وَأَشْجَارِ
جَاعَ فَمَا مَصَّ مَصَّةً ... مِنْ ذَنَبٍ بِالدُّرِّ مِشْكَارِ
رَمْزٌ لَنَا يَقْصُرُ عَنْ فَهْمِهِ ... مَجَالُ أَوْهَامٍ وَأَفْكَارِ

إنَّ حيوانَ التِّنّين كما وردَ لدَى الرَّحالةِ وشَبَهُهُ بتنِّين الخيميائيِّين يدفعُنا إلى الشَّكِّ في حقيقةِ ما نقلَه هؤلاء في أدبِهم، وأنَّ ما جاءَ في كتاباتِهم يكادُ يكونُ رمزًا لتأثيرِ الأدبِ الخِيميائيِّ فيهِم. ولذلك، فإنّني ألفتُ انتباهَ الباحثين إلى وجوبِ التَّوسُّعِ في أدبِ الخِيمياءِ لفهمِ التُّراثِ العربيِّ بجميعِ أجناسِه الأدبيَّةِ بطريقةٍ أعمقَ وأوثقَ وأليقَ.



تَلْقِينُ اللُّغَةِ العَرَبِيّةِ مِنْ قَضَايَا تَرْجَمَةِ أَدَبِ الطِّفْلِ

د. هــاجــر ســاســي
جامعة محمد بوضياف - الجزائر

يُعَدُّ أَدَبُ الطِّفلِ إِحْدَى اللَّبِناتِ الأساسيّةِ في البناءِ اللُّغويِّ لدَى الطّفلِ بدءًا بالأدبِ المسموعِ إلى غايةِ الأدبِ المقروءِ (الرّوايةِ والقصصِ). ويمثّلُ أدبُ الطّفلِ المُترجَمُ أي المنقولُ منَ اللُّغاتِ والثّقافاتِ الأجنبيّةِ إلى اللّغةِ العربيّةِ أكثرَ من 50% من أدبِ الطّفلِ العربيّ حسبَ الدّراساتِ الحديثةِ. ويُعدُّ الإنتاجُ الأضخمُ لهذا النّوعِ منَ الأدبِ باللّغةِ الإنجليزيّةِ. ومِنْ ثَمَّ تُطرحُ مشكلةُ التّرجمةِ إلى اللّغةِ العربيّةِ ضِمْنَ مسائلَ عديدةٍ وأبرزُها مسألةُ التّأثيرِ في الطّفلِ العربيِّ لهذهِ التّرجماتِ، ونوعِ النّصوصِ المنقولةِ إلى هذا الطّفلِ، كيفَ يجبُ أن تكونَ التّرجمةُ إلى اللّغةِ العربيّةِ حتى يكونَ تلقينُها سليمًا؟ وهل ما يتقبّلُه ويستقبلُه الطّفلُ الأجنبيُّ يمكنُ أن يتقبّلَه الطّفلُ العربيُّ؟ وهل يحملُ في طيّاتِه نفسَ التّأثيرِ الاجتماعيِّ والثّقافيِّ واللّغويِّ والتّربويِّ؟

لطالما أبدَتِ الدّراساتُ الأجنبيّةُ لهذا النّوعِ مِنَ التّرجمةِ اهتمامًا بمراحلِ نموِّ الطّفلِ وخصائصِه كفئةٍ خاصّةٍ، ولكنْ لم تظهرْ دراسةٌ معيّنةٌ في هذا الصّددِ، واختلفَ الباحثون في تسميةِ أدبِ الأطفالِ حسبَ الفئاتِ العُمُريّةِ ونوعِ الكتبِ الموجّهةِ إليهم فهو مقسّمٌ إلى نوعين: «أدبُ الطّفلِ» و«أدبُ النّاشئةِ» حسبَ علمِ نفسِ النّموّ (Developmental psychology) (هاجر ساسي، 206، 2022)، هناك تحديدٌ لمستوياتِ اللّغةِ لدَى الطّفلِ حسبَ العُمُرِ وكذلك مدَى تأثيرِ البيئةِ في نُـمُوِّهِ اللّغويِّ والمعرفيِّ.

عندَ التّرجمةِ للطّفلِ، يجبُ احترامُ كلِّ هذه الخصائصِ وَفقًا لقواعدَ علميّةٍ مدروسةٍ. لكنْ ما نسعَى إلى تسليطِ الضّوءِ عليه هنا هو اللّغةُ السّليمةُ في التّرجمةِ وأهمّيتُها وتأثيرُها في التّكوينِ اللُّغويِّ لدَى الطّفلِ العربيِّ.

تُعدُّ ترجمةُ أدبِ الطّفلِ إلى اللّغةِ العربيّةِ موضوعًا ذا أهمِّيَّةٍ بالغةٍ، لمكانةِ الطّفلِ في المجتمعِ ولخصوصيّاتِ هذه الفئةِ. وتتأثّرُ ترجمةُ أدبِ الأطفالِ بمجالاتٍ متعدّدةٍ، حيث لا يركّزُ باحثو التّرجمةِ على القضايا اللّغويّةِ فقط. في الواقعِ، أبدَى العديدُ من مترجمِي كُتبِ الأطفالِ اهتمامًا بأهمّيّةِ اختيارِ المنهجِ التّرجميِّ المناسبِ للأطفال

يمثّلُ أدبُ الطّفلِ المُترجَمُ أيِ المنقولُ مِنَ اللُّغاتِ والثّقافاتِ الأجنبيّةِ إلى اللّغةِ العربيّةِ أكثرَ من 50% من أدبِ الطّفلِ العربيّ حسبَ الدّراساتِ الحديثةِ . ويُعدُّ الإنتاجُ الأضخمُ لهذا النّوعِ مِنَ الأدبِ باللّغةِ الإنجليزيّةِ



وَفقًا لقُدراتِهم التّنمويّةِ واللّغويّةِ والمعرفيّةِ، وكذلك تأثيرِ البيئةِ (مقاربةً نفسيّةً)؛ولِذَلِكَ، فإنّ التّرجمةَ للأطفالِ تختلفُ عنِ التّرجمةِ للبالغين.

لا يملكُ الأطفالُ خبرةً (اجتماعيّةً وثقافيّةً) في حياتِهم يمكنُ أن تساعدَهم على فهمِ العالَمِ الآخرِ (الأجنبيّ) وكذلك ليس لديهم نفسُ اللّغةِ والقُدراتِ المعرفيّةِ، ولهذا السّببِ يُعَدُّ تحدّيًا للمترجِمِ حتى يتمكّنَ من نقلِ الـمُحتوَى نَفْسِهِ كما يفعلُ كاتبُ النّصِّ المصدّرِ إلى الجمهورِ المتلقّي الأصليّ.

*** تَرْجَمَةُ أدَبِ الطّفلِ بلُغَةٍ عَرَبِيَّةٍ فَصيحَةٍ وَسَليمَةٍ وأهمِّيَّتُهَا في تَكْوينِ اللُّغَةِ لدَيْه:**

مـادامَ أدبُ الطّفلِ منَ العواملِ الرّئيسَةِ المُسهِمةِ في تكوينِ شخصيّةِ الطّفلِ، فَلا بدَّ أن يكونَ الاهتمامُ به كبيرًا. فالكاتبُ والمترجمُ لهذه الفئةِ منَ المجتمعِ مسؤولان عن كلِّ ما يَنقلانِه إلى هذا الطّفلِ ويعكسُ نظرتَنا لهم كما ذكرت الباحثةُ الفنلنديّةُ في ترجمةِ أدبِ الطّفلِ (والتي قد مارستْ ترجمةَ أدبِ الطّفلِ لسنواتٍ) (Oittinen, 2000, P 41):

«It shows our respect or disrespect for childhood as an important stage of life, the basis for an adult future.»

«ما يعكسُ احترامَنا من عدمِه للطّفولةِ كمرحلةٍ عُمريّةٍ مهمّةٍ في الحياة، والتي هي أسـاسُ رجلِ المستقبلِ". (ترجمتنا)، وتؤكدُّ هذه الباحثةُ من خلالِ تجربتِها في ترجمةِ أدبِ الطّفلِ إلى الفنلنديّةِ أنَّ ما يهمُّ هو الاهتمامُ باللّغةِ وسلامتِها؛ لأنّنا نكرّسُ حبَّ تعلّمِ اللّغةِ لدَى الطّفلِ القارئِ في هذه المرحلةِ العُمريّةِ عكسَ ما نشهدُه في بعضِ التّرجماتِ إلى اللّغةِ العربيّةِ، للأسف!

والطّفلُ أوِ النّاشئةُ في هذه المرحلةِ العُمريّةِ يحتاجُ إلى أن يَبنيَ لغتَه (linguistic development) ويجبُ أن تكونَ على أسُسٍ صحيحةٍ حتى تتكوّنَ لديه لُغةٌ سليمةٌ. حيث تقولُ بورتينين في هذا الصدد:

«These translations are bound to have a significant effect on the way
children experience literature, and the language of translated texts may
have some bearing on their language development and acceptance of ideas.

(Puurtinen, 526, 1998)

«لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لهذه التّرجمة تأثيرٌ كبيرٌ في الطّريقةِ التي يَختبرُ بها الأطفالُ الأدبَ، وقد يكونُ لِلُغةِ النّصوصِ المترجَمةِ بعضُ التّأثيرِ على تطوّرِ لُغتِهم وتقبّلِ الأفكارِ». (ترجمتنا)

*** رَفْضُ العَناصرِ الدّخيلَةِ في اللُّغةِ:**

نجدُ في العديدِ منَ النُّصوصِ المترجَمةِ والمنقولةِ إلى اللّغةِ العربيّةِ للأطفالِ طابَعَ اللّغةِ الأجنبيّةِ بحروفٍ عربيّةٍ أو في أحسنِ الحالاتِ نجدُ نصًّا عربيًّا مفهومًا ومُستساغًا، لَكِنْ، يُؤْسِفُنا أَنْ نَجِدَهُ مُفْتَقِدًا العباراتِ العربيّةَ الأصيلةَ، والمتلازماتِ اللّفظيّةَ حيث تَستدعِي المفرداتُ بعضُها بَعْضًا بعيدًا عنِ النّقلِ الحرفيّ من أجلِ تحقيقِ الاتّساقِ المُعجميّ (lexical cohesion).

ولذلك منَ الواجبِ احترامُ ملَكةِ اللّغةِ العربيّةِ عندَ التّرجمة (Génie de la langue). فلكلِّ لُغةٍ خصائصُ تميّزُها عن غيرها من ناحية الصّرفِ والنّحوِ والقواعدِ وغيرِها.

تتميّزُ اللّغةُ العربيّةُ بتنوُّعِ المعاني الكثيرةِ والمفرداتِ والإعرابِ ودقّةِ التّعبيرِ والأمثالِ العربيّةِ التي تُضفي على النّصِّ الأصالةَ واللّغةَ الرّصينةَ.

يعتمدُ المنهجُ التّرجميُّ على نوعِ النّصِّ، فالنّصوصُ العلميّةُ بطبيعةِ الحالِ تميلُ إلى لُغةٍ بسيطةٍ ويَظَلُّ المشكلَ الوحيدَ في ترجمةِ هذا النّوعِ منَ النّصوصِ إلى اللّغةِ العربيّةِ هو المصطلحُ، لكنْ بفضلِ اجتهادِ المترجمين واللّغويّين يمكنُ أن يوجدَ الحلُّ عن طريقِ مُختلفِ طُرقِ توليدِ المُصطلحِ (الاقتراضُ، النّحتُ، الاشتقاقُ ...).

وفي ترجمةِ أدبِ الطّفلِ إلى اللّغة العربيّة، يجبُ تحقيقُ المقروئيّةِ (readability) على جميعِ المستوياتِ بواسطةِ لغةٍ سليمةٍ دون أن يظهرَ الطّابعُ الأجنبيُّ من خلالِ احترامِ قواعدِ

> **نجدُ في العديدِ منَ النُّصوصِ المترجَمةِ والمنقولةِ إلى اللّغةِ العربيّةِ للأطفالِ طابَعَ اللّغةِ الأجنبيّةِ بحروفٍ عربيّةٍ أو في أحسنِ الحالاتِ نجدُ نصًّا عربيًّا مفهومًا ومُستساغًا، لَكِنْ، يُؤْسِفُنا أَنْ نَجِدَهُ مُفْتَقِدًا العباراتِ العربيّةَ الأصيلةَ، والمتلازماتِ اللّفظيّةَ حيث تَستدعِي المفرداتُ بعضُها بَعْضًا بعيدًا عنِ النّقلِ الحرفيّ من أجلِ تحقيقِ الاتّساقِ المُعجميّ**



اللّغةِ والمفرداتِ السّليمةِ، والسّعي لأن تكونَ ترجمةُ الأمثالِ والحِكم بالمكافئ (Equivalence) فاللّغةُ العربيّةُ غنيّةٌ بالأمثالِ، كما ينبغِي لَنَا الابتعادُ قدرَ الإمكانِ عن ترجمتِها ترجمةً حرفيّةً حتى لا تكونَ دخيلةً على اللّغةِ ومِنْ ثَمَّ سيظهرُ تأثيرُها مع مرورِ الزّمن من خلالِ هذه الأجيالِ، فبقاءُ اللّغةِ أوِ اندثارُها يتوقّفُ على استعمالِها وإحيائِها.

يجبُ أن يكونَ هناك تشديدٌ على ترجمةِ أدبِ الطّفلِ، ولا يمكنُ التّساهلُ أبدًا مع المُترجمِين لهذا النّوعِ منَ الأدبِ؛ لأنَّ مصيرَ لُغةٍ بين أيديهم، والمطلوبُ هو أن نزرعَ في الأجيالِ الصّاعدةِ حبَّ هذه اللّغةِ والحرصَ على سلامتِها.

في الحقيقةِ، تتحمّلُ دُورُ النّشرِ جزءًا كبيرًا من هذه المسؤولية، يرَى البعضُ أنَّ ترجمةَ أدبِ الطّفلِ لا تتطلّبُ مترجمًا متمكّنًا أو ذا خبرةٍ، ويكتفون بمترجمِين مُبتدئين، لكنّ الأمرَ يتطلّبُ كِفايَةً وجودةً في التّرجمةِ، والأمرُّ من هذا وذاك أن يعتقدَ أغلبُهم أنَّ ترجمةَ أدبِ الطّفلِ إلى اللّغةِ العربيّةِ تحتاجُ إلى لغةٍ بسيطةٍ ونقلِ مُحتوًى بسيطٍ.

وفي الأخيرِ، إنَّ ترجمةَ أدبِ الطِّفلِ إلى اللّغةِ العربيّةِ مسؤوليّةٌ كبيرةٌ؛ لأنَّ الطِّفلَ القارئَ في مرحلةِ النّموِّ اللُّغويِّ والفكريِّ وما يحتاجُ إليهِ هو لغةٌ سليمةٌ يكبرُ عليها ومعها وهو مُستقبلُ اللّغةِ الذي سنراه على لسانِ هذا الطّفلِ وقلَمِه. وعلى المترجِم احترامُ ملكةِ اللّغةِ العربيّةِ أي تجنّبُ كلِّ العناصرِ الدّخيلةِ على هذه اللّغةِ والابتعادُ عن طابعِ اللّغةِ الأجنبيّةِ في اللّغةِ العربيّةِ (التّرجمةُ الحرفيّةُ/Literal translation) واحترامُ المتلازماتِ اللّفظيّةِ واستعمالُ التّرجمةِ بالمكافئِ في اللّغةِ (مثل ترجمةِ الأمثالِ والحِكمِ والعِبر). وعلى دُورِ النّشرِ الحرصُ على نشْرِ أدبٍ يُوافقُ الثّقافةَ العربيّةَ ومبادِئَها من أجلِ النّشأةِ السّليمةِ للطّفلِ العربيِّ وكذلك الحرصُ على المترجمِين الأَكْفِيَاء؛ لأنّ لغةَ الطّفلِ تتوقّفُ على حسنِ عملِهم وجودتِه.

كما يجبُ أن يكونَ تكوينُ المترجمِ في كلِّ الجامعاتِ العربيّةِ مُتَّفِقًا على إتقانِ اللّغةِ الأمِّ، أي اللّغةِ العربيّةِ قبلَ إتقانِ أيِّ لُغةٍ أجنبيّةٍ وتقديسِها ومنْحِها المكانةَ الأولى من بين جميعِ اللّغاتِ.



المصادر والمراجع:

أطروحة دكتوراه:

* هاجر، ساسي، التبسيط في ترجمة أدب الطفل، هاري بوتر للكاتبة ج.ك رولينج أنموذجا، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2022 ص 206.

المراجع بالانجليزية:

* Oittinen, Riitta: translating for children, New York, Garland
* Publishing Inc, 2000, P 41 * Puurtinen, Tiina: Syntax, Readability and Ideology in Children's Literature, Meta : journal des traducteurs/Meta: Translators' Journal, vol. 43, n°4,1998, p.526.

حكومة الشارقة Government of Sharjah

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

إصدارات مجلّة مجمع اللغة العربيّة بالشّارقة

















المدينة الجامعية – الشارقة –الإمارات العربية المتحدة | مبنى مجمع اللغة العربية | الدور الأول

هاتف: 400 60 51 6 971+ | فاكس: 410 60 51 6 971+ | ص.ب: الشارقة: 1973

البريد الإلكتروني:info@alashj.ae | الموقع الإلكتروني: www.alashj.ae

